

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190439

UNIVERSAL
LIBRARY

طوق الحمامة

في الألفه والألاف

تأليف

الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي
المتوفي سنة ٤٥٦ هـ

عنيت بنشره

مكتبة عرفتة بدمشق





﴿ كلمة النادر ﴾

كان اول معرفتي بطوق الحمامة ان رأيت في مكتبة المجمع العلمي العربي ، فرأيت خير كتاب في وصف الحب ، ودرس ادواره ، وتحليل حوادثه ، واحسن اثر في تراثنا الادبي ثبت للناس ان في ادبائنا من اوتي ملكة التحليل النفسي ، ومن استطاع ان يفهم الحب قبل عشرة قرون كما يفهمه الادباء اليوم ، وعجبت منا ومن هؤلاء المستشرقين كيف عنوا به ، ونشروه وخدموه ، وجهلناه ثم حسبناه كتاب دعارة ومجون فلنأمنه وعرضنا بصاحبه ، ورأيت انه من العار علينا ان يكون الكتاب لنا ثم ينشر في كل لغات الناس قبل ان ينشر بيننا ، ولا نزاع في ان المكتبة العربية لم تغلق على كتاب مثله في فنه ، فعزمت على نشره ليرى ادباؤنا عظمة الادب العربي وعلو ما وصل اليه ، من غير ان تضرهم قراءته في اخلاقهم شيئاً ، بل انه سينفعهم حين يتحول ابن حزم الى واعظ تقي في فصليه الاخيرين : قبيح المعصية ، وفضل التعفف ، وسيرون فيها ما ينفرهم من الرذيلة ، ويحبب اليهم مكارم الاخلاق ويبعدهم عن دركات الشر والهلاك فيعلمون ان في نشره ابتناء الفضيلة وهدم الفساد وعلى الله التوكل

فقرات

مقتبسة من مقدمة الناشر الاول د . ك . بيتروف
الاستاذ في الجامعة الامبراطورية في بطرسبرغ (*)

الاستاذ بيتروف هو الرجل الذي استطاع ان يخرج للناس هذا الكتاب القيم ، وقد كاد يضع فلا يبقى له من اثر ، وقد صدره بمقدمة طويلة ملأت اربع واربعين صفحة بالحرف الفرنسي الدقيق استهلها بشكر من ساعده على نشر الكتاب ، من رجال الادب ومعاهده ولاسيما مجمع العلوم ومعهد الآداب في بطرسبرغ ، ومكتبة جامعة لايد

ثم اهدى الكتاب الى البارون فيكتور رورن...

ثم شرع في درس الكتاب وصرح انه يختص بهذا الدرس القراء الذين لا يعرفون العربية ، فلم نر لترجمته كبير حاجة ، وانما احترنا منه هذه الفقرات التي تبين لنا مقدار الجهد الذي يصرفه المستشرقون في سبيل نشر تراثنا العلمي والادبي وتطلعنا على ملع اهتمامهم بهذا الكتاب الذي يعد بحق من الاسفار الادبية النادرة المثال عند جميع الامم
قال الاستاذ :

لم يكن كتاب ابن حزم الموسوم بطوق الحمامة معروفا قبل ان ينشر دوزي في مجموعته لآثار لايد قطعاً منه صغيرة . ويخصص له بضع صفحات من كتابه ، تاريخ الاسلام في اسانيا ، يترجم فيها بعضاً من حوادث ابن حزم العاطفية وما كان من حبه العذري ، وقد خدمه دوري وعرف به الناس
ولكن هذا المستشرق لم يشأ او لم يستطع ان ينشر اصله العربي ، فقام من

(*) طبع الدكتور بيتروف طوق الحمامة سنة ١٩١٤ في مطبعة بر - ي - لايدن

بعده فرنسيسكو بون بواغ يريد تحقيق هذه الامنية التي اوضحها وبين عزمه عليها لكثير من اصدقاءه ، والتي مهد اليها بمحاولته تحليل الكتاب تحليلًا عامًا وترجمة فهرسته في مقالة نشرها سنة ١٨٩٩ عن كتاب الملل والنحل ولكن النية عاجلته ولما يقدر على تحقيقها

ولم يكن في العالم الا نسخة واحدة من كتاب الطوق محفوظة في مجموعة قارتر في لايد وهي كراس مجلد عدد صفحاته ٢١٦ واسطر كل صفحة تتراوح بين العشر والحسة عشر سطرًا ، واضح الخط مشكول الشعر ، بين العناوين ، والخبر الاحمر مستفيض في اكثرها ، والناسخ يقظ جداً لا ينجونه قلمه الا نادراً ، وما الغموض (١) الذي يرى في الطوق الامن الاصل والمعنى لامن الخط والنسخ ولكنها ليست بنسخة المؤلف ، وتاريخ نسخها متأخر عن عصره لانها نسخت في سنة ٧٣٨ للهجرة اي في سنة ١٣٣٧ للميلاد بقلم ناسخ مولع بها ، فرح بقدرته على اكملها ، ثم ان الاسطر الاخيرة من الصفحة ١٧٦ تدلنا على ان كاتباً لم يعرف اسمه عمد الى اختصار الطوق واجزائه ، واختيار قسم من منظومه الجيد ، ولكنه قصر في هذه ايضاً ، فلم يثبت في اكثر الاحيان الا شطر البيت ، فنتج من هذا ان الاصل الصحيح للطوق ، لم يصل الينا ونحن نجمل كون الكاتب صرف جهده الادبي الى نسختنا هذه ، او الى نسخة غيرها او الى ثالثة هي اقدم عهداً منهما

ثم قال الاستاد :

كان ابن حزم فيلسوفاً ومتألفاً ومؤرخاً وعالمًا اخلاقياً وكان له اثره العظيم في تاريخ بلاده ، فترك لنا في كتابه طوق الحمامة مرآة جليلة تبدو فيها هذه

(١) بذلنا عاية جهدنا في اصلاح الغامض وتصحيح التصحيف وتركنا ما لم

نهتد الى صوابه على علالاته ونهنا اليه

المواهب على اكملها ، وتتضح فيها مشاهد ذكائه الفنية ، وتظهر لنا فيها نواح عديدة من نفسه ، وهو فوق هذا مرب ، ذو بصيرة وقادة وانتباه عظيم وقصصي ماهر وشاعر لطيف ، وله احياناً ذوق الناقد الادبي البصير ، مدقق إني عادات المعاصرين شريف النفس ، مستقيم السيرة ، اما كتابه فجم الافكار ، واضح الاسلوب ، لذيد ممتع .

ثم عمد الاستاذ الى بيان فصول الكتاب مما يعني عن ايراده الفهرس ، وعرض الاستاذ في بيانه هذا بتخصيص ابن حزم فصلين من كتابه للكلام على قبج المعصية وفصل التعفف ، ثم تكلم عن تغيير ابن حزم لهذه الخطة التي اختطها لنفسه ووجد له العذر في ذلك فقال :

وقد رجح ابن حزم — كما قال — تصوير الحب ، من مبدأ امره الى ان ينتهي بالموت ، وتعقيب ذلك بصفات مباينة له كالتي ذكرها عن الرائي ، فخرج على ترتيبه ولكنه ارانا سير الحب الطبيعي وعوارضه ، وكشف لنا عن هنائه وشقائه ثم بدأ الاستاذ بدرس للكتاب ، لا يبدو ان يكون تلخيصاً له يفيد — كما قال هو — من لا اطلاع له على الاصل العربي ، وليس له كبير نفع لقرائه فضربنا عنه صفحاً



(ترجمة المؤلف)

مأخودة من نفح الطيب وابن خلكان ومعجم الادباء واخبار الحكماء ودائرة
المعارف لوجدي ، والاعلام الأستاذ الزركلي

نسبه

هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف
ابن معد ان ابن صفيان بن يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب
ابن امية بن عبد شمس الاموي

وطنه

اصل آباءه من قرية اقليم الرواية من كورة نبلة من غرب الاندلس واول
من دخل الاندلس من اجداده خلف

مولده

وكان مولده بقرطبة آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٣ وكان ابوه ابو
عمرو احمد بن سعيد احد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن ابي
عامر لابنه المظفر بعده

حياته

كان مزحماً وزيراً اعبد الرحمن المستظهر بالله ثم لهام المعتد بالله ثم نبذ هذه
الطريقة واقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن واوغل في الاستكثار من
علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينله احد قط بالاندلس قبله وقد ناظر الباجي

شارح الموطأ فقال له الباجي انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقديل باث لسوق ، فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لالك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ماتعلمه وماذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فاحممه

مؤلفاته

وله مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد ومعظمها في اصول الفقه وفروعه وقد روى عن ابنه الفصل المسمى ابا رافع ان تأليفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ واللس وكتب الادب نحو اربعائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة قال ياقوت وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان في دولة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير انطبري فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً

نكته

وكان يحمل علمه ويحادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه وبذل باسراده واستناد على العهد الذي اخذ الله على العلماء من عاده (لتبينه للناس ولا تكتُمونه) فنفرت عنه القلوب واعد عن وطنه وتوغل في البادية سنة ٢٥٦ هـ وهو في ذلك بيت علمه في العامة ويققههم . ومما نك فيه حرق مؤلفاته في حياته وتمزيقها علانية من قل اعدائه وفي ذلك يقول :

وان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي تصممه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائى ويرى ان ارل ويدرس في قري
دعوني من اطراق رق وكاعد وقولوا علم كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا في المكاتب بداءة فكم حزن ما تبغون لله من ستر

وله من قصيدة يخاطب بها حساده :
 انا الشمس في جو العاوم منيرة ولكن عبي ان مطلعني الغرب
 ولو ابي من جانب الشرق طالع لجد على ماضع من ذكرى النهب
 الى ان قال :

هناك تدري ان لالعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب
 وان مكاناً ضاق عني لضيق على انه فيج مهامه سهب
 وان رجلاً ضيعوني لضييع وان زماناً لم انل حصبه جذب

طوق الحمامة

ولم يتعرض لذكر طوق الحمامة من مؤلفاته من ترجموه غير المقرئ في نصح
 الطبيب حيث قال : قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مر يوماً هو وابو عمر
 ابن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الخطابين بمدينة اشبيلية فلقبهما شاب حسن
 الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نر الا الوجه فلعل
 حاسرته اثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارنجلا :

ودي عدل في من ساني حسنه يطبل ملامي في الهوى ويقول
 آمن احل وجه لاح لم تر غيره ولم تدري كيف الجسم انت عليل
 فقلت له أهرقت في اللوم فائتد فعندي رد لو اشاء طويل
 أن تر اني طاهري وانني على ما ارى حتى يقوم دليل
 وقد ذكر هذا الكتاب ابن القيم الجوزية في كتابه روضة المحبين في
 غير ما موضع

اقوال العلماء فيه

قال ابن صاعد وفيه قال ابو العباس العريف كان لسان ابن حزم وسيف
 الحجاج س يوسف الثقفي شقيقين

وقال الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه

وقال بن بشكوال في حقه كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار

وقال الذهبي : وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والمثل والنحل العربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً لابي محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه

وقال ابو مروان بن حيان : كان ابو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بادبال الادب مع المشاركة في كثير من انواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة وله في ذلك كتب كثيرة

خاتمة

هذا طرف من سيرة هذا الامام الكبير ، والوزير الخطير ، ترى منها صفاء نفسه ، ورقة شعوره ، وعلو همته ، وشدة مراسه ، وثبات اعتقاده ، وقوة يقينه ، وتعلم انه بهذه المواهب الماددة استطاع ان يكون وزيراً بارعاً في السياسة ومؤلفاً بارعاً في الادب ، ووقياً اماماً في المذهب ومناحلاً ثابتاً في النصال ، رحمه الله وعفّر له .

مقدمة

بقلم الشاعر العربي الكبير الاستاذ البزم

ماوفق البشر ولن يوفق الى خدعة اطرف ولا اطرف من خدعة تكريم
العطاء وتعظيم النابغين والتنويه بذكرهم ودلالة الناس على سر عظمتهم والرفع
من اقدارهم الى حيث ينالون بعض مايجب لهم من لهج الناس بهم والحرص
على ما أسأروه من آثار قيمة ومتاع باق مستقر

ولهذا ما زراه ونسمع به من اقامة المهارج والاحتفال في عقد المواسم ورفع
النصب والتماثيل والحفاوة باخراج الكتب بتراجم الرجال واحوال العبقريين
فرادى ومجتمعين

وسواء أكان النافع فاتحاً قذف بنفسه في لهوات الموت في الذود عن امته
او عالماً أذاب مهجته في مهج الحنادس وقضى دهره بالاستنباط والتأليف او مخترعاً
وقف عمره على نفع ابناء جلدته او الانسانية جمعاء ، او شاعراً سكب روحه دموعاً
ونفسه حسرات وارق دمه بعبرات بل شعر يبقى بقاء الدهر ويجري جريان
الفلك ، فان للامة من تكريمه والصعود بشأنه غاية واحدة لا تعدى
الارتفاق بما تركه لها من تراث . ولا فرق عندها ان يكون هذا التراث سيرة
او علماً ، اختراعاً او شعراً ، او اي شيء غير ذلك مما يعود عليها بالنفع

وقد تتخذ الامة بنفسها فيذهب بها الظن الى ان تحفيها بنابقها ان هو الا
الاريجية المهيمنة وهزة الكرم الغالبة في حين ان من تغى بشأنه وتشيد بذائع
صيته كثيراً ما يكون ممن اوسعهم مقتاً وهجراناً وطوت كشحها عنهم جفاء واعراضاً

فلم ينالوا من برها الا انهم نجوا بعض النجاة من كيدها وعدوانها اذ لم تكن المباشرة قتلهم الا بغمطها حقوقهم والانصراف عنهم والتلوي بمن لا يعلق بغبارهم حتى اذا مات احدهم بحسرتة حشف أنفه تلك الميتة البائسة الشقية وقبض الله له من نظرائه البائسين او غير البائسين من يجمع اخباره ويدون أحواله ويشير الى القيم من آثاره ليحله التاريخ من صدره مكاناً رجباً ومقعد صدق مكين ثم استمر الفلك في دورته والايام في تقلبها ، واعتورت الامة الاحداث ومست الحاجة الى الارتفاق بما ترك ذلك النايغ هبت الامة او نفر منها تعلو من امره وتحيي ما كاد يندثر من ارثه . وهذا لا يكون منها على الغالب الا بعد ان تطمئن من انه امسى سرّاً مكتماً بين ثنايا التراب ونهباً مقسماً في احشاء ديدان الارض . اي لاتفعل هذا لشيء من العطف عليه او لخير تريده له بل لتثير به الهمم وتحرك النفوس وتبعث في بعض القلوب نار التأسى وحرارة حب الاقتداء فلا تعمد من انبائها على وجه الدهر وكرر الاعصار رهطاً يمجود بنفسه على اتفادي في سبيلها في ناحية من نواحي الحياة

واكبر فائدة تجنى من كتب التراجم أو التاريخ على الجملة هي ان يكون للعظمة سبيل لايعفو رسمها ولاتمحي معالمها فلا يعدم طالب المجد في كل امة من مختلف الشعوب من نظرة في كتب التاريخ تكون له نبزاً فيما يطمح اليه ورفقداً وضاء ينير له طريق ما يقتحمه ويسمو اليه فيأمن العثرة ويتجنب مواطن الشكوة

ولو كان اكل امة ان تفاخر بمن مضى من رجالها العبقريين ، وافذاذها الغابرين . وانتهى الامر لهذه الامة العربية لكان لها من عظمائها ونوابغها العدد الدثر والحظ الاوفر ولنالت القدح الملى والمكان الارفع بين امم الارض وقد جرت السنة . ونعم السنة ماجرت ، ان تعاد الكرة بالتنبية على قدر كل عظيم عندما يراد الاتفاع بشيء مما نسجته بنانه ، او قذف به خاطره .

وابن حزم ، ولا كهران ، في الذروة من اولئك الذين يجب ان تستنار بهم همم
النابيين وتحرك بذكرهم عبقرية العبقريين . وان من بعض الوفاء للتزيخ والعلم
لا لابن حزم ، ان نعرض على الناس من ابن حزم صورة صادقة بقدر ماتنفرج
لنا مسافة القول في هذه الكلمة الموجزة نجلو بها من حقيقة امره وكنه ذاته
ما يغري مطالع كتابه هذا بان يتتبع كل أثر من آثاره ، وما أكثر هذه الآثار
وأعرقها بالبقاء لو رفقت بها او أبقت على مجموعها يد الدهر العاتية

لم يستطع احد ممن تكلم عن ابن حزم ان يصعد بنا الى القمة التي تربع
ذروتها ، واحتل قتها كما انهم عجزوا بعض العجز اوكله عن ان يأخذوا بيد
قاريه ترجمته الى حيث يجب ان يقف من اعظام الرجل واكباره . وكأنه هو
لما رأى بوادر ذلك من اهل دهره في اقليمه لم يشأ ان يحرمنا من نقشات
يعرفنا بها بعض ما خشي ان يغمطه بعد الموت ، فمن تلك النقشات هذه القطعة
وفيها صورة بينة تشير الى حرقه متأججة ، وحسرة صالية على ماسلبه الدهر من
مكانة ، وحرمة من علو . قال :

انا العلق الذي لاعيب فيه سوى بلدي واني غير طاري
تقر لي العراق ومن يلها واهل الارض الا اهل داري
طووا حسداً على اب وفهم وعلم ما يشق له غباري
فهما طار في الآفاق ذكرى فما سطع الدخان بغير نار

ولولا ما مني به من علماء عصره ، وشهرهم الحرب عليه واتهاء هذه الحرب
بتراجمه بعد احراق كتبه وفراقه قرطبة مهد عزه ، ومثوى عظمته ومثار عبقرية
وبنوغه ، الى موطن اجداده حيث قضى ولولا انه كان جريئاً متمرداً على
الاقدمين ، نقاداً وثاباً على غير المخلص من العلماء ، من حاضر او ماض ، صلب
العريكة ، صعب المقادة ، صلباً فيما ترجى فيه الهوادة ويطلب اللين يحمل بين
فكيه ذلك اللسان العصب الذي قيل فيه ، انه شقيق سيف الحجاج ، لكان

ابن حزم في الاندلس بلا نزاع صخرة واديتها وحجر الارض فيها ورجل الدهر في عامة امصارها ، ولقد سامت الحق او واشكته من قال : ان ابن حزم كان يجهل سياسة العلم لانه كان يجادل من خالفه على استرسال في طباعه وبذل باسراة ، ولم يكن يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ، ولا يرقه بتدريج بل كان يصك معارضه به صك الجندل ، وينشق متلفعه انشاق الخردل . فنفر عنه القلوب وألب عليه الخصوم)

وناهيك برجل ينشأ في مقاصير العز والزنا ، على عروش الحكم واسرة المجد يتردد من نبله وعلمه ورتبته عند السلطان بين عرش يحله ربه وسرير يمتطي صهوته متقلباً على طنافس النعيم ونمازق السعادة يشمخ بانفه عن الوزارة وينأى بطرفه عن حجة الملوك فلا يرى متعة لنفسه الا السعي وراء العلم للعلم . فلا يزال يسمو ويرتقي ويقرأ ويكتب ويؤلف على منابر الذهب والفضة ، على ما في الجدة والنعيم من مشغلة عن العلم ، حتى يكون له من التأليف ما لا يكون لرجل غيره في العرب قاطبة الا ابن جرير الطبري في المشرق ، ولو انصفه رجال دهره ورزق شتاً من اللين فيما يصدع به من امره وما يحاوله من اصلاح في الدين والعلم لانضوى تحت لوائه كل حامل محبرة او ممل في علم ودين

رجل هذا شأنه يطلب اليه احد اهل معرفته ان يضع له كتاباً في الحب على بعد مكانه وسمو مكانته عن الكلام في الحب . فلا يعدم من كرم خيمه ، ورقة طبعه أريحية مضطربة ، وقريحة مطواعة ، وخاطراً سمحاً وقلماً يرسل من بين شقيه شؤوباً من جزل القول ورصينه يبتدع ذلك ابتداءً ، ويرتجه ارتجالاً من غير سابق عهد به او أثر يجري عليه ويحتذي حذوه . واني لاجب مهما ترفعت عن العجب لهذه النفس ، نفس ابن حزم الذائبة المكلومة بسهام الصبوة العفة بل الروح الخصلة الندية بماء الشغف والشوق تلك الروح الناعمة التي صقلتها رحمة الحب الطاهر وتقفها نار الكلف بالجمال . كيف تحدثك اصدق

الخبر عما كان لها وعليها في غابر دهرها وعنفوان شرخها ، وتقضي اليك بان كان لها الحظ الاوفر من احترام ماخطته بنان الخالق من حسن وجمال ، وما وقته على صفحة الوجود من بديع الصور . ذلك الاحترام الطاهر من درن الريبة كما اراد ان يدلنا عليه في اول كتابه وآخره حيث قال : وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن رآها علي اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه ، فهذا مذهب المتحلين بقول الشعر واكثر ذلك « فان اخواني يحشموني القول فيما يعرض لهم على طرائقهم » ثم بعد شيء من وصف شأن الحب يقول « واني لاعرف هذا واتقنه ومع هذا يعلم الله وكفى به عليا اني بريء الساحة ، سليم الاديم ، صحيح البشرة ، نقي الحجرة » ويداخله الجزع فيرجع فيقول في آخر الكتاب : « وانا اعلم انه سينكر علي بعض المتعصين تأليني لمثل هذا ويقول : انه خالف طريقته وتجافى عن وجهته ، وما أحل لاحد ان يظن في غير ماقصده

الحب قديم والبشر ان لم نقل الحيوان نتيجة من نتائجه وقد عرفه الانسان قبل ان يعرف الكلام فهو رفيق البشر منذ طفولة البشرية والكلام فيه يرجع الى العهد الذي اخذ الانسان يعبر فيه عما يخامرهم من نوازع نفسه ومضطرب فؤاده وقد كان نصيب الامم من الاجادة في نغته والكلام عليه اكثاراً واقللاً تابعاً لحظها منه وعلاقته من ارواحها ونفوسها ولمقدار مالمديها من صفاء القرائح وقوة الطباع على القول والوصف والتخيل

والامة العربية احدى الامم التي كثر حظها من الحب ونصيبها من الكلام في شأنه اريقة طباعها ولبن عواطفها وتجايف اكبادها عن الغلظة وقلوبها عن التمسوة الا في بعض مواطن الغضب لما يوجبها الذود عن الاعراض والنفوس ، فقد عرف العرب الحب وتغنوا في تعريفه ونغته ووصفه حتى صار الشغل الشاغل

للجسم الكثير ممن وهب قوة القول منهم سواء في ذلك الشاعر والنائر والعالم
والفقيه والمحدث والمتصوف والحكيم

وقد اوسعوا له من لغتهم سعة تدل على مكانه من نفوسهم ومكانهم من الفلسفة
الفطرية ومقدار مآلديهم من الخلابة والاقناع فلو جمع ماخصوه به من الشعر
والنثر المبثوث هنا وهناك من كتب الادب والتاريخ والاجتماع لضافت عنه ضخم
الاجلاد مما لم تستطع فلسفة القرن العشرين اي الفلسفة الحديثة بما دبعها من
فن وعلم وما تقدمها من فلسفات ان تريد عليه شيئاً يذكر

وقف العرب من لغتهم للحب طائفة بل طوائف من الالفاظ تندو وتروح بين اسم
له او صفة تلازمه او حال ينتهي اليها هو او من وحل به وتورط في هوته مما
لم تتسع للجود به يمين لغة من لغات البشر وقد اتى على معظم ذلك ابو بكر ابن قيم
الجوزية في كتابه روضة المحيين فكان مآجعه من ذلك خمسين لفظة تعدها بالشرح
وتفقيدها بالتحقيق والتدقيق مثل الحب والعشق ، والشوق والهوى ، والصبابة
والشفق ، والمقة والوجد ، والكلف واللوعة ، والتيم والغرام . مما يحمل الوقوف
عليه بكل ذي اربة يود ان يعرف مآلجده العرب من خواطر ملهمة واحوزية
خارقة

ومهما قال القائلون في الحب فلن يتجاوزوا في الدنو من اصابة المرمى ،
والوقوع على ما يشبه الحق قول ابن سقاء الكوفة احمد بن الحسين المتنبى
اذ قال :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت اني اسلم
ولم يقصر عنه في الاحسان من قال :

يقول اناس لو نمت لنا الهوى فوالله ما ادري لهم كيف انمت

فليس لشيء منه حد احده وليس لشيء منه وقت موقت

وما اصدق قول احد العرب واجله واجمه واوجزه وقد وشي اليه بان ابنه

— ف —

يجب فقال : دعوه فانه يالطف وينظف ويظرف . وقال احد الفلاسفة : لم أر حقاً اشبه بباطل ولاباطلاً اشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل وأوله لعب وآخره عطب ، وقيل لابي زهير المديني ما العشق فقال : الجنون والذل ، وهوداء اهل الظرف وما احسن قول الشاعر :

اذا انت لم نعشف ولم تدر ما الهوى فكن حجباً من يابس الصخر جليداً
وقول الآخر :

وما سرني اني خالي من الهوى ولو ان لي ما بين شرق ومغرب
ولآخر :

وما احبتها محباً ولكن رأيت الحب اخلاق الكرام
وسأل المأمون يحيى بن اكرم عن العشق ما هو فقال هو سراخ تسبح للمرء فيهم بها قلبه وتؤثرها نفسه وكان ثمانية بن اشرس حاضراً فقال اسكت يا يحيى انما عليك ان تحب في مسألة طلاق او محرم صاد طيباً او قتل نمة فاما هذه فمائلنا نحن فقال له المأمون فل يائمة فقال : العشق جليس تمتع واليف مؤنس وصاحب ملك مسالكة لطيفة ومداهبه عامضة واحكامه جائزة ملك الابدان وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها واعطي عنان طاعتها وقود تصرفها توارى عن الابصار مدخله وعمي في القلوب مسلكه فقال له المأمون احسنت والله يائمة وامر له بالف دينار

وكلام الناس في الحب على اختلاف أصقاعهم وتباين اقاليمهم وتباين اجناسهم نكاد يكون متفجراً من معين واحد لان الحب واحد والبشر فيه سواسية وهو « حق لا يجوز ان يحرم احده » فقد نقذ الشرفي الكلمة في شأن من شؤون الحب فتجيء وفق كلمة قالها الغربي كأن الكلمتين صدرتا عن ضمير واحد ، فما يجري هذا الجرى ويسلك هذا النهج من الاتفاق ان احدى محاكم فرنسا وضعت قانوناً للحب جاء فيه ، ولعله احسن ما فيه : « كل عمل يعمل به المحب

ينتهي بالتفكر في حبيبه » وهو معنى عرض الكثير عزة قبل اثني عشر قرناً
وزيادة في حال وقعت له نراه بيناً في الثالث من هذه الايات قال :

سهلك في الدنيا شقيق عليكم اذا عاله من حادث الدهر عائله
بود بان يمسي سقيماً لعلها اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويرتاح المعروف في طلب العلى لتحمد يوماً عند عز شئائه

وقد اراد الديق الى معنى البيت الاخير السد بوفيق البكري صاحب كتاب
صهاريج الاولو فضل الطربى واخفق في ستر الاختلاس فانترعه انزعاعاً شائناً
مع بعض الاحسان بزيادة المعنى فقال :

واطلب المجد والمكرامات لتحسن لي شيمه عندك

وقبيح بنا الانشاطر القاري، لذة النقصه التي دعت كثيراً لارتجال الايات
الثلاثة وهي من غرائب الاسواق وطرائف قصص العرب وذلك انه كان لكثير
غلام يتجر على العرب فاعطى النساء الى اجل فلما اقتضى ماله منهن وفيهن
عزة ماطلته فقال لها يوماً وقد حضرت في ساء، اما آن ان تي بما عندك
فقلت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاي حيث يقول :

قضى كل ذي دين فوق عريمه وعزة بمطول معنى عريمه

وهو بيت مشهور من قصيدة الكثير بحبيته عزة فقلن له أتدري من
غريمك فقال لا فقلن هي والله عزة فقال اشهدكن على انها في حل مما عندها
ومضي واخر كثيراً بالحكاية فقال : وات حر وما عندك لك وكان ماؤهبه اياه
الف دينار واشد الايات المتقدمة وفيها من الصراحة ما يفر منه اكثر الناس وهو
ان ما اياه بفعائه هذا وما حرص ويحرص عليه من استجاء انواع المكارم وضروب
الحامدان هو الا ينتهي اليها ويفرح سمها

وطوق الحماة ان صح انه اول كتاب اخرج للناس في الحب فهو على
كثرة ما ألف بعده في موضوعه لا يزال ينفرد بتحسان ويعصم بخصائص تقضي

ق -

له بالمكانة العليا بين هذه الكتب فمن ذلك المامه ببعض مايتفاهم به المتحابون وتعريجه على الخوض في معرفة سياسة الحب وما يلزم الوحل فيه من حذر واحتراس وعطفه على التماس العلة في ان النساء اكثر تعرضاً للحب واشد اشتغالا به من الرجال لكثرة فراغ النساء وزيادة مشاغل الرجال ، ولست بواجد عند احد ممن الف في الحب مثل قول ابن حزم في باب الهجر عن هية المحبوب وما تبلغه الذلة من العاشق امام المعشوق كما انه قد نزه كتابه عن كثير مما شان به المؤلفون في الحب كتبهم . واهام وابطل فانك لاترى في طوق الحمامة شيئاً مما شحن به صاحب تزين الاسواق كتابه من الخرافات السمجة والالوهام المستبشرة وما تظرف به بحان الشعراء من ادعاء عشق الحيوان ووضعهم الشعر عن لسان العشاق من الحمير وغيرها مثل الزاغ !! فهو يعتدر في اول الكتاب عن ترك ماهو اولى من هذا بالتدوين فيقول : « ودعني من اخبار الاعراب والمقدمين فسبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت عنهم الاخبار وما مذهبي ان اضي مطية سواي ولا اتحلى بحلى مستعار »

وان في هذا الاسم طوق الحمامة من الحيال والشعر والحلاقة والحسن والنعومة والطراوة مايشعرك بان الاندلسيين قد بلغوا من التألق والتلطع في اتقاء الالفاظ واستخدامها والتصرف بها في وجوه التسمية حداً كادوا ان يبروا به على من محدوهم وجروا على آثارهم من البغادة والمشاركة وسيمر بك مما يدل على حذق الاندلسيين هذا الشيء الكثير امثال : صبح ، وعزلاف وخلوة ، ودعجاء ، وطروب ، وواحد ، اسماء الحوار وعجيب اسم لعلام

ومما لاريد فيه ان عمل ابن حزم في تأليفه هذا اما هو عمل القلب الجريح للكدب المصدوعة والروح المتألمه للارواح البائسة تجد فيه النفوس من المتعة والسلوة ما لايجده النسيم المهجور في النديم المساعد المخلص على الراح . وجيل بنا وقد دللنا على بعض محاسن طوق الحمامة ان تناولها بشيء من النقد وان كان امما

كتبها لصديق وانه قد اخذ على نفسه ان لا يبحث فيها الا بما علمه وشاهده وحل عنده محل اليقين من نفسه واهل عصره

لم يحسن ابن حزم باقتصاره على شعره في طوق الحمامة فقد قيد نفسه من هذا بقيد ضيق عليه المضطرب وهن من خطاه وقصر من مدى جريه وكف من جولانه في طبائت الموضوع وكأن ابن حزم لم يكن يريد ان يحشر مع الشعراء او يطلع على الناس بديوان شعر اكتفاء بمكاته المليمة وزغامته الدنيه وصعب عليه ان تعبت يد الصباغ بحامه شعره فأثر ان يجعل من طوق الحمامة مدخراً أميناً وحرزاً مكيناً على هذا المقدار من شعره

ومهما اخطأ التوفيق ابن حزم بعمله هذا فقد افادنا ما كان يخامره من الصبوة الى نظم الشعر والزرعة الى صناعته وانه كان يغالب نفسه ويخالفها في صرفها عن الشعر وانه لو لم يكن ذلك الفقيه الكبير والمحدث العظيم رجل النطق والكلام وفحل الجدل والمناظرة والبالغ من الفلسفة درجة التجويد اسكان الاندلس منه شاعر لا يدع الى جانب اسمه ذكراً لشاعر في قطره فصلاً عن ابن احتصاره على شعره قد حال بينه وبين شيء من الاحسان واقام حاجزاً دون لموعه الغاية المرجوة من امتاع القاريء لانه كثيراً ما يسرع بإبراد خبر فاداً باع مكان اللذة منه بتره فجأة وحملك على ان تقرأ قطعة شعرية له تشبه ذلك الخبر او تجري مجراه ولا تحوي الا شيئاً قليلاً من طرافه ولده . وخير ما يقال في شعر ابن حزم انه صوب قريحة قطن في جوانبها من الفلسفة والفقه والكلام ما فسد على اكثر الشعراء شاعريتهم ولهذا تراء يحدر في شعره ويسف بقدر ما يترك من قياده للفلسفة والكلام يدهبان به ويحيثان في اعراض تلك مرة ومآرب هذه اخرى واونجا من ذلك لجاء من شعره ما يجري مع الطبع ويتغلغل في اجزاء النفس ويشند شبهه بكلام العرب ولئل من صباة اهل البادية المعروحة برقة الحضر وخنوته وما يتبع هذا من دل وضرع واستكانة وتهافت على عتبات الحصوص

لساطان الهوى وجبروت الحب ما لا يقل عن شعر كثير وحمل وابن ابي ربيعة
وذى الرمة

ولم ينح بن حزم من الوقوع في احابل الفلسفة في اول كتابه فقد اوشك
ان يرتبك بعض الارتباك حين قسم اعراض الحب ثم فطن الى ان الحب انما
هو عرض فجعل ذلك من مجاز اللغة واقامة الصفة مقام الموصوف وهو قول
مستمد من قول القدماء من ان العرص قد يرتفع الى مقام الجوهر فيكون له
من الاعراض ما للجوهر وهو قول يتردد بين السفسطة والحلافة وقد نظمه احد
شعراء العرب فقال :

فسد القياس فللمغرام قضية ليست على نهج الحجى تنقاد

منها بقاء الشوق وهو بزعمهم عرص وتفتى دونه الاجساد

وخرافة اخرى علفت ابن حرم في طوق الحمامة فلم ير لنفسه مندحاً عنها
وهي ذهاب فلاسة اليونان الى ان الارواح كانت لها قبل انصائها بالاجسام
وهبوطها من عالمها الاول الالة وتمازج وحب فلما باشرت هياكلها من الاجساد
كان لها من الحنين وزوع بعضها الى بعض بفقد ما وحدته من شفاقة الاجساد
ورقتها ولطافتها ومروتها وقد علق ابن حزم بشرك هذا الوهم واكنه اجاد
في صوغه وتعليقه وموه له زخرفاً برافاً مشى به الى ما يردام من الحقيقة كما
اجاد «معاصره» ابو علي بن سينا في عينيته بالروح وهي قصيدة مشهورة شرحها
كثيرون ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء دات تدرر وتمنع

وقد اح الشعراء من المتصوفة كان الفارض وغيره يقلبون هذه الفكرة
ويوردونها على وجوه مختلفة يتغنون بها حسب مآلدهم من قوة الشعر، ولقد
اجاد وظرف وحسن الخبرارزي الشاعر في حوك هذه الخرافة فقال :

- ت -

ولكن ارواح المحيين تلتقي اذا كانت الاجساد عنهن نوّماً
واحبر روحينا من الاصل واحد ~~وايكنه~~ ما بيننا قد تقسما
ولوم يكن هذا كهد - له مهجتي في الغيب لما تألما
ولا بن الفارض نظم في هذا المعنى :

يني وبينك في المحبة نسبة مطوية من قبل هذا العالم
نحس اللذان تعارفت ارواحنا من قبل خلق الله طينة آدم
وقد يكون ابن حزم اول من اطل على الناس بمؤانف في الحب الا اذا
كان ابن سينا في الشرق قد تقدمه بوضع رسالة في العشق لان وفاة ابن حزم
تأخرت عن وفاة ابن سينا بثمان وعشرين سنة كما ان ابن سينا تقدم ميلاده
لدّة ابن حرم باربعة عشر عاماً ولا اعتقد ان واحداً منهما وقع اليه ما كتبه
الآخر في الحب يدل على ذلك اختلاف المنحى وتباين الجهة في مقصد التأليف
على ان رسالة الرئيس ابن سينا لا يصح في حال من الاحوال ان تسمى
تأليفاً وان كان سبب كتابتها الاقتراح كما اقترحت رسالة ابن حزم وان هي
الافسكرة فلسفية عرضت له كما عرضت لمن تقدمه وتأخر عنه من فلاسفة اليونان
والاسلام والصوفيين فتكلموا بالفلسفة باسم الحب واستخدموه لاعراضها كما
استخدم اخوانهم النجاة المنطق لاعراضهم (لا لاعراض النحو) فافسدوا النحو
على العرب كما افسد هؤلاء البحات الحب فانك لترى ابن سينا على جلاله قدره
وعلمه يتكلف ويحشم نفسه محاولة اثبات ان العوالم الثلاثة الحمد والنبات والحیوان
بابواعه خاضعة لقانون الحب مدعنة لناموس تجارده في معالجة ذلك وينبع
عله والتباس اسبابه حداً يكاد يشرف منه على السخف وينتهي الى ما شبه الخف
(ان صحيح ان يكون سؤ التعليد سخفماً وحمقاً) واسب بمجادل بهذا ان اضع
من شأن اى علي وشأنه في العلم والفلسفة ماهو مشهور ولكها الجهرة بالحق
والصدعة بامرء واجبة بقود اليها الاخلاص كما قاد ابن سينا وابن حزم وكلاهما

مأخوذ باطرفة الدين يخشى ويتذم ويؤثر ان لا يؤثر عنه ما يחדش سمعته او يدفع بعض المتعصين الى النيل من دينه ، فكما عد ابن سينا العشق من وجهته الحيوانية نقيصة وعادراً فقد نقل نقل مثبت واثق ان العقلاء الاكياس يعدون النظر الى الصورة الجميلة قوة وتطرفاً واستنتاج من هذا ونظائر ان الحب ليس حتماً فيه ان يكون حيوانياً وينتهي به البحث الى ان الحب مهما تخلله من قرب ولس ان لم تكن الفساية منه الفحش تطرف وفتوة ورجولة ومروءة وانه حينما تكون الصورة الجميلة الحسنة فحة الاعتدال في التركيب مما يفيد طيباً في الشئال وعذوبة في السجاي ويجعل من هذا الحديث القائل : اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ، وفي هذا من الاخلاص للعلم مالم يوفق اليه بل ناصبه وعاداه بعض من الف في الحب وغيرهم ممن اخذ على عاتقه من طريق التحشية والشرح ان ينال من دين الناس نيل متسرع لا يدري من امور الدين الا ظواهر براقه محكوكة الجبهة بالثوم فأساء الى الناس والدين وزعم ان بين من يتوهم بهم اتيان الموفقات بين سمع الناس وبصرهم من لا يفهم من الدين بقدر ما يفهم ويؤذنههم ويؤذيهم بقوله ان للمتقين مفازاً كأنهم يحولون بينه وبين مفازه او كأنه احرز صكا بذلك المغاز ذاهلاً عن ان ابن هؤلاء من يحمل قلباً بضطرب به من معرفة ذات الله وجوهر الدين مالا مطمح له ببعضه وان نقاء السرار وطيب القلوب ليس بالتظاهر والدعوى

وما اشبه كلمة ابن سينا هذه بقول ابن حزم في ماهية الحب وهي : الحب عزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالته عن ان توصف فلا تدرك صقيقتها الا بالعمارة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة اذ القلوب بيد له عز وجل

كان ابن حزم رحمه الله تنبأ بما سينشئ بين العلماء من خلاف في اعتبار الحب اختيارياً عند قوم واضطراباً عند آخرين وان الفرقة الاولى ستستتحي

خ -

من كره اختصاراً ما يصح ان يكون سداً لتجريمه فيوفون الناس من الدين في حرج وهم وان اخلصوا في هذا للدين فانهم لم يخلصوا للدين الذي يكتسبون فيه على ان الاخلاص في العلم فطره لادبه لحاميه والناهضين باعبائه فلا تظن ان احداً صحت حوائجه على شيء من العلم او اشملت نرائبه على قليل او كثير مما يسمى فناً الا وفي قلبه حدوده توقد وهيب به تمسكه بمقادته الى الاخلاص طوعاً او كرهاً مهما اعمورت طريقه العثرات واتصت امامه من عقاب الامن كان دحلاً في العلم دعياً بين اسائه

وما دام امد القول في شأن ان حرم يجب ان يكون قصيراً وجبه مقتصباً عن التطويل فلا بأس ان نخرج الى كلمة ختام يحتمها علينا الياحز وبدعو اليها المقام وقضي بها الرفق بالناشر وهو انما طبع كتاباً لا يعود اكثر من تعريفه الى فرائه مع شيء من ذكر قمة مؤلفه وان كان الواجب يقضي على ان امد في نفس القول كيداً به وكاية له وطلباً لارهاقه زيادة نفقة الطبع كما ارهقي وحلمي على الكتابة اشد ما كنت مفتقراً الى الراحة ورك التفكير بيد اني رجعت الى نفسي وفطنت الى ان لا خطر ولا ضرر عليه من هذا مادام القراء هم القارئون بهذه الزيادة في الاتفاق راضين او مكريهين ، وهم المستحقون للعقوبة لانهم اصل البلاء ولولاهم لاستراح كثير من القرائع والاقلام في هذا العصر . وكفى القراء عقوبة ان لا سبيل لهم الى هذا الكتاب المتع الاعن طريق هذه المقدمة فهي قنطرة لانجوا من تكلف عبورها الامن يحسن الظفيرة ويجيد النزوة ، وما اخالهم فاعلين وقد دفعوا ثمنها في جملة ثمن الكتاب .

« محمد الهزم »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

قال ابو محمد عفا الله عنه افضل ما ابتديء به حمد الله عز وجل بما هو اهل به
ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصة وعلى جميع انبيائه عامة . وبعد عصمنا
الله واياك من الحيرة ولا حملنا ما لا طاقة لنا به وقبض لنا من جميل عونه دليلاً
هادياً الى طاعته ووهبنا من توفيقه ادباً صارفاً عن معاصيه ولا وكلنا الى ضعف
عزائمتنا وخور قوانا ووهاء بنيتنا وتلد (١) ارائنا وسؤ اختيارنا وفله تمييزنا وفساد
اهوائنا فان كتابك وردني من مدينة المرة الى مسكني بمحضرة شاطبة تذكر
من حسن حالك ما يسرني وحمدت الله عز وجل عليه واستدمت لك واستزدت فيك
ثم لم البث ان اطلع على شخصك وقصدتني نفسك على بعد الشقة وتناهي الديار
وشحط المرار وطول المسافة وغول الطريق وفي دون هذا ما سلى المشتاق
ونسى الذاكر الا من تمسك بحبل الوفاء مثلك ورعى سالف الادمة (٢) ووكد
المودات وحق الشاة ومحبة الصبي وكانت مودته لله تعالى ولقد اثبت الله بيننا
من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون وكانت مغاريك في كتابك زائدة
على ما عهدته من سائر كتبك ثم كشف الي باقبالك غرضك واطلقتني على
مذهبك سجة لم ترل علينا من مشاركتك لي في حلوك ومرك وسرك وجهرك
يحدوك الود الصحيح الذي انا لك على اضعافه لا ابتغي جرأ غير مقابلته بمثله
وفي ذلك اقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن امير المؤمنين
الناصر رحمه الله في كلمة لي طويله وكان لي صديقا

اودك ودأ ليس فيه غصاصة وبعض مودات الرجال سراب

(١) لدده خيره (٢) اللمام الحق : الحرمة : والجمع اذمة

والمحضنك النصيح الصريح وفي الحشى
فلو كان في روحي هواء اقتلعت
وما لي غير الود منك ارادة
اذا حزته فالارض جمعاء والنورى
لودك نقش ظاهر وكتاب
ومزق بالكفين عنه اهاف
ولا في سواه لي اليك خطاب
هباء وسكان البلاد ذباب

وكلفتني اعزك الله ان اصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه واسبابه
واعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متريداً ولا مغتناً (١) لكن مورداً
لما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه حيث انتهى حظي وسعة باعي فيها اذكره
فبادرت (٢) الى مرعوك واوولا الانجاب لك لما تكلمته فهذا من الفقر والاولى لنا
مع قصر اعمارنا الا نصرفها الا فيما نرجوه به رحب القلب وحسن المسآب
غداً. وان كان القاضي حمام بن احمد حديثي عن يحيى بن مالك عن عائذ
باسناد يرفعه الى ابي الدرداء انه قال احبوا النفوس بسوء من الباطل ليكون
عوناً لها على الحق. ومن بعض اقوال السالحين من السلف المرضي: من لم يحس
يتقى لم يحس يتقوى. وفي مض الاثر: اريحوا النفوس فاسها بصداً كما بصداً
الحديد. والذي كلفتني فلا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وادركته عناتي
وحديثي به الثقات من اهل دمانى فاعفروا لي الكنايه عن الاسماء فهي اما عودة
لا نستجيز كشفها واما نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً وبحسبي ان
أسمى من لا صر في تسميته ولا يلحقها والمسمى عيب في ذكره اما لاشتهار
لا يعني عنه الطي وترك التبيين واما ارضى من المحتقر عنه ظهور خبره وفاة اسكار
منه لقله وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تذكر انت ومن
رأها عليّ اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه فهذا مذهب المتحليين
بقول الشعر واكثر ذلك فان اخواني بحشمتوني القول فيما مرص لهم على
طرائقهم ومذاهبهم وكفاني اني اذكر لك ما عرض لي مما يشاكل ما نحوت نحوه

(١) من الشيء خلطه: رأيه لونه ولم يثبت على رأي واحد (٢) في الاصل فبادرت

وناسبه اليّ والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك والاقصار على ما رأيت
اوضح عندي بنقل الثقات ودعني من اخبار الاعراب والمتقدمين فسبيلهم غير
سبيلنا وقد كثرت الاخبار عنهم ومأذهبي ان انضي مطية سواي ولا اتحلى بحلي
مستعار والله المستغفر والمستعان لارب غيره

(باب) وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً منها في اصول الحب عشرة فأولها هذا الباب في
علامات الحب ثم (باب فيه ذكر من احب في النوم) ثم (باب فيه ذكر من احب بالوصف)
ثم (باب فيه ذكر من احب من نظرة واحدة) ثم (باب فيه ذكر من لاتصح محبته
الاعم المطاولة) ثم (باب التعريض بالقول) ثم (باب الاشارة بالعين) ثم (باب المراسلة)
ثم (باب السغير) ومنها في اعراض الحب وصفاته الحمودة والمذمومة اثنا عشر باباً وان
كان الحب عرضاً والعرض لا يحتمل الاعراض وصفة والصفة لا توصف فهذا على
مجاز اللغة في اقامة الصفة مقام الموصوف وعلى معنى قولنا وجودنا عرضاً اقل
في الحقيقة من عرض غيره واكثر واحسن واقبح في ادراكنا لها علمنا انها
متبانية في الزيادة والنقصان من ذاتها المرئية والمعلومة اذ لاتقع فيها الكمية
ولا التجزي لانها لاتشغل مكاناً وهي (باب الصديق المساعد) ثم (باب الوصل) ثم
(باب طبي السر) ثم (باب الكشف والاذاعة) ثم (باب الطاعة) ثم (باب
الخالفة) ثم (باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها) ثم (باب
القنوع) ثم (باب الوفاء) ثم (باب العذر) ثم (باب الضنى) ثم (باب الموت)
ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة ابواب وهي (باب العادل) ثم (باب الرقيب)
ثم (باب الواشي) ثم (باب الهجر) ثم (باب اليبين) ثم (باب السلو) من هذه الابواب
الستة بابان اسكل واحد منهما ضد من الابواب المتقدمة الذكر وهو (باب العادل وضده)
(باب الصديق المساعد) (باب الهجر وضده) (باب الوصل) ومنها اربعة ابواب لاضدها
من معاني الحب وهي (باب الرقيب) و (باب الواشي) ولا ضد لهما الا ارتفاعهما
وحقيقة الضد ما اذا وقع ارتفع الاول وان كان المتكلمون قد اختلفوا في ذلك

ولولا خوفنا اطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب لتقصيناه (وباب الين
 وضده تصاقب الديار) وليس التصاقب من معاني الحب التي تتكلم فيها (وباب السلو
 وضده الحب بعينه) اذ معنى السلو ارتفاع الحب وعدمه ومنها بيان ختمنا بهما
 الرسالة وهما (باب الكلام في قبج المعصية) و (باب في فضل التعفف) ليكون خاتمة
 ايرادنا وآخر كلامنا الحظ على طاعة الله عز وجل والامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن لكننا خالفنا في نسق بعض هذه
 الابواب هذه الرتبة المقسمة في درج هذا الباب الذي هو اول ابواب الرسالة
 فجعلناها على مبادئها الى متنها واستحقاقها في التقدم والدرجات والوجود ومن
 اول مراتبها الى آخرها وجعلنا الضد الى جنب ضده فاختلف في المساق في
 ابواب يسيرة والله المستعان وهياتها في الايراد اولها هذا الباب الذي نحن فيه
 وفيه صدر الرسالة وتقسم الابواب والكلام في ماهية الحب ثم (باب علامات الحب)
 ثم (باب من احب بالوصف) ثم (باب من احب من نظرة واحدة) ثم (باب من
 لا يحب الامع المطاولة) ثم (باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها)
 ثم (باب التعريض بالقول) ثم (باب الاشارة بالعين) ثم (باب المراسلة) ثم
 (باب السفير) ثم (باب طي السر) ثم (باب اداعته) ثم (باب الطاعة) ثم (باب
 المخالفة) ثم (باب العاذل) ثم (باب المساعد من الاخوان) ثم (باب الرقيب)
 ثم (باب الواشي) ثم (باب الوصل) ثم (باب الهجر) ثم (باب الوفاء) ثم
 (باب الغدر) ثم (باب الين) ثم (باب القنوع) ثم (باب الصنى) ثم (باب
 السلو) ثم (باب الموت) ثم (باب قبج المعصية) ثم (باب فضل التعفف).

(الكلام في ماهية الحب)

الحب اعزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه جلالته عن ان توصف
 فلا تدرك حقيقتها الا بالعمارة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحذور في السرعة اذ
 القلوب بيد الله عز وجل وقد احب من الحلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير

منهم باندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدعجاء والحكم بن هشام وعبد الرحمن ابن الحكم وشغفه بطروب ام عبد الله ابنه اشهر من الشمس ومحمد بن عبد الرحمن وامره مع غزلان ام بنيه عثمان والقاسم والمطرف معلوم والحكم المستنصر وافتتانه بصبح ام هشام انؤيد بالله رضي الله عنه وعن جميعهم وامتناعه عن التعرض للولد من غيرها ومثل هذا كثير ولولا ان حقوقهم على المسلمين واجبة وانما يجب ان نذكر من اخبارهم ما فيه الحزم واحياء الدين وانما هو شيء كانوا ينفردون به في قصورهم مع عيالهم فلا ينبغي الاخبار به عنهم لاوردت من اخبارهم في هذا الشأن غير قليل واما كبار رجالهم ودعائم دولتهم فاكثر من ان يحصوا واحداث ذلك ماشاهدناه بالامس من كلف المظفر بن عبد الملك ابن ابي عامر ، واحد بنت رجل من الجبائين حتى حمله حبها ان يتزوجها وهي التي خلف عليها بعد فناء العامر بن الوزير عبد الله بن مسلمة ثم تزوجها بعد قتله رجل من رؤساء البربر ومما يشبه هذا ان ابا العيش بن ميمون القرشي الحسيني اخبرني ان زرار بن معد صاحب مصر لم ير ابنه منصور بن زرار الذي ولي الملك بعده وادعى الالهية الا بعد مدة من مولده مساعدة لجارية كان يحبها حباً شديداً هذا ولم يكن له ذكر ولا من يرث ملكه ويحي ذكره سواه (ومن الصالحين والفقهاء) في الدهور الماضية والازمان القديمة من قد استغنى باشعارهم عن ذكرهم وقد ورد من خبر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وشعره ما فيه الكفاية وهو احد فقهاء المدينة السبعة وقد جاء من فتيا بن عباس رضي الله عنه ما لا يحتاج معه الى غيره حين يقول هذا قاتل الهوى لاعقل ولا قود وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا واطالوا والذي اذهب اليه انه اتصال بين اجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في اصل عنصرها الرفيع لا على ما حكاه محمد ابن داود رحمه الله عن بعض اهل الفلسفة الارواح أكر مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها وقد علمنا ان سر

التمازج والتباين في المخلوقات انما هو الاتصال والافتصال والشكل دأبا يستدعي شكله والمثل الى مثله ساكن والمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد والتنافر في الاضداد والموافقة في الانداد والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا فكيف بالفسر وعالمها العالم الصافي الخفيف وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل وسنخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار كل ذلك معلوم بالحضرة في احوال تصرف الاكسارها والله عز وجل يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها) فجعل علة السكون انها من ولو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب الا يستحسن الانقص من الصورة ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الادنى ويعلم فصل غيره ولا يجد محيداً لقلبه عنه ولو كان للموافقة في الاخلاق لما احب المرء من لايساعده ولا يوافقه فعلما انه شيء في ذات النفس وربما كانت المحبة لسبب من الاسباب وتلك تقضى بفناء سببها فمن ودك لامر ولي مع انقصائه وفي ذلك اقول :

ودادي لك الباقي على حسب كونه تاهى فلم ينقص بشيء ولم يرد
ولست له غير الارادة علة ولا سبب حاشاء يعلمه احد
اذا ما وجدنا الشيء علة نفسه فذاك وجود ليس يفنى على الابد
واما وجدناه لشيء خلافة باعدامه في عدمنا ما له وحد

ومما يؤكد هذا القول انا علمنا ان المحبة سرور فافضلها محبة المتحابين في الله عز وجل اما لاجتهاد في العمل واما لاتفاق في اصل النحلة والمذاهب واما لفصل علم يمنحه الانسان ومحبة القرابة ومحبة الالقة والاشتراك في المطالب ومحبة التصاحب والمعرفة ومحبة لبر يضما المرء عند اخيه ومحبة لطمع في جاء المحبوب ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه بلزهما ستره ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر ومحبة العشق التي لاعلة لها الا مادكرنا من اتصال الفوس وكل هذه الاجناس فننقصية مع انقضاء عللها ورائدة بريادتها وناقصة نقصانها متأكدة

بدنوها فآترة ببعدها حاشى محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي
 لافناء لها الابلوت وانك لتجد الانسان السالي بزعمه وذا السن المتناهية اذا
 ذكرته تذكر وارتاح وسبا واعتاده الطرب واحتجاج له الحين ولا يعرض في
 شيء من هذه الاجناس المذكورة من شغل البال والحبل والوسواس وتبدل
 الغرائز المركبة واستحالة السجاي المطبوعة والتحول والزفير وسائر دلائل الشجا
 مايعرض في العشق فصّح بذلك انه استحسان روحاني وامتزاج نفساني فان قال
 قائل لو كان هذا كذلك لكانت المحبة بينهما مستوية اذ الجزءان مشتركان
 في الاتصال وحظهما واحد فالجواب عن ذلك ان نقول هذه لعمرى معارضة
 صحيحة ولكن نفس الذي لايجب من محبه مكثفة الجهات ببعض الاعراض
 الساترة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية فلم تحس بالجزء الذي كان
 متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة ونفس
 المح متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له قاصدة اليه
 باخه عنه مشتهية للملافة جاذبة له لو امكها كالمغنطيس والحديد قوة جوهر
 المغنطيس انتصلة بقوة جوهر الحديد لم تباع سن تحكمها ولا من نصفيتها ان
 تقصد الى الحديد على انه من شكلها وعنصرها كما ان قوة الحديد لشدها
 قصدت الى شكلها وانجذبت نحوه اذ الحركة ابدأ اما تكون من الاقوى وقوة
 الحديد متروكة الذات غير ممنوعة بحابس تطلب مايشبهها وتقطع اليه وتنهص
 نحوه بالطبع والضرورة بالاختبار والتعمد وانت متى امسكت الحديد بيدك لم
 تنجذب اد لم يبلغ من قوته ايضاً مغالبة المسك له مما هو اقوى منه ومتى
 كثرت اجزاء الحديد اشتغل بعضها ببعض واكتفت باشكالها عن طاب اليسر
 من فواها النارحة عما فتى عظم جرم المغنطيس ووازت قواه جميع قوى جرم
 الحديد عاد الى طبعها المعهود وكالنار في الحجر لايرز على قوة النار في الاتصال
 والاستدعاء لاجزائها حيث كانت الا بعد القدح ومجاورة الجرمين صعظهما

واصطلكهما والا فهي كامنة في حجرها لا تبدو ولا تظهر ومن الدليل على هذا ايضاً انك لاتجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشكلة واتفاق الصفات الطبيعية لا بد من هذا وان قل وكلما كثرت الاشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة فانظر هذا تراه عياناً وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد (الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وقول مروي عن ابي عبد الصالحين (ارواح المؤمنين تتعارف) ولهذا ما اغتم بقراط حين وصف له رجل من اهل النقصان يحبه فقيل له في ذلك فقال ما احبني الا وقد وافقته في بعض اخلاقه وذكر افلاطون ان بعض الملوك سجنه ظمأ فلم يزل يحتاج عن نفسه حتي اظهر براءته وعلم الملك انه له ظالم فقال له وزيره الذي كان يتولى ايصال كلامه اليه ايها الملك قد استبان لك انه بريء فمالك وله فقال الملك لعمري مالي اليه سبيل غير اني اجد لنفسي استقئالا لادري ماهو فأدى ذلك الى افلاطون قال فاحتجت ان افتش في نفسي واخلاقي شيئاً اقابل به نفسه واخلاقه مما يشبهها فنظرت في اخلاقه فادا هو محب للعدل كاره للظلم فيرت هذا الطبع في فما هو الا ان حركت هذه الموافقة وقابلت نفسه بهذا الطبع الذي نفسه فأمر باطلاقي وقال لوزيره قد انحل كل ما احد في نفسي له .

واما العلة التي توقع الحب ابدأ في اكثر الامر على الصورة الحسنة الظاهر ان النفس حسنة توافق بكل شيء حسن وتميل الى التصاوير المتقنة فهي اذا رأت بعضها تثبتت فيه فان ميزت وراءها شيئاً من اشكالها اتصلت وصحت المحبة الحقيقية وان لم تميز وراءها شيئاً من اشكالها لم يتجاوز احبابها الصورة وذلك هو الشهوة وان للصور لموصلاً عجباً بين اجزاء النفوس النائية وقرأت في السفر الاول من التوراة ان النبي يعقوب عليه السلام اياه رعيه عننا لابن خاله مهراً لابنته شارطه على المشاركة في اسائها فكل بهيم ليعقوب وكل اعر للان فكان يعقوب عليه السلام يعمد الى قصبان الشجر يساخ نصفاً ويترك نصفاً

محاله ثم يلقي الجميع في الماء الذي ترده الغنم ويتعمد ارسال الطروقة في ذلك الوقت فلا تند الا نصفين نصفاً بهماً ونصفاً غراً وذكر عن بعض القافة انه اتى ببس اسود لا يبصين فنظر الى اعلامه فرآه لهما غير شك فرغب ان يوقف على الموضع الذي اجتماعا عليه فأدخل البيت الذي كان فيه مضجعهما فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة اسود في الحائط فقال لأبيه من قبل هذه الصورة اتيت في ابك وكثيراً ما يصرف شعراء اهل الكلام هذا المعنى في اشعارهم فيخاطبون المرئي في الظاهر خطاب العقول الباطن وهو المستفيض في شعر النظام ابراهيم بن سيار وغيره من المتكلمين وفي ذلك اقول شعراً منه :

ما علة النصر في الاعداء تعرفها	وعلة الفر منهم ان يفرونا
الا نزاع نفوس الناس قاطبة	اليك يالولؤراً في الناس مكنونا
من كنت قدما لا ينثني اداً	فهم الى نورك الصعداد يعشونا
ومن تكن خلفه فالنفس تصرفه	اليك طوعاً فهم دأباً يكرونا

وفي ذلك اقول :

امن عالم الاملاك انت ام السي	ابن لي فقد ازرى بتميزيّ العي
ارى هيئة انسية عبر انه	اذا عمل التعمكير فالجرم علوى
تارك من سوى مذاهب خلقه	على انك النور الانيق الطبعي
ولاشك عندي انك الروح ساقه	الينا مثال في النفوس اتصالي
عندما دليلا في حدوثك شاهدأ	نفيس عليه غير انك مرئي
ولو لا وقوع العين في الكون لم يقل	سوى انك العقل الرفيع الحقيقي

وكان بعض اتحاشا يسمى قصيدة

رى كل ضد به قائماً	فكيف تحد اختلاف المعاني
فيآيها الجسم لا ذا جهات	ويا عرضاً ثابتاً غير فان
نقص عليها وجود الكلام	بما هو مذ لحت بالمستبان

وهذا بينه موجود في البغضة ترى الشخصين يتباغضان لا لمعنى ولا علة
ويثقل بهما بعضا بلا سبب والحب اعزك الله داء عيآء وفيه الدواء منه
على قدر المعاملة ومقام مستند وعلة مشتهة لا يود سليمها البرء ولا يتمى عليها
الافاقة يزين للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى
يحيل الطبائع المركبة والحيلة المخلوقة وسيأتي كل ذلك ملخصاً في باب ان
شاء الله (خبر) ولقد علمت فتي من بعض معارفي وقد وحل في الحب وتورط في
حبائه واضر به الوجد وانصحه الدنف وما كانت نفسه تطيب بالدعاء الى الله
عز وجل في كشف ما به ولا ينطلق به لسانه وما كان دعاؤه الا بالوصل
وانتمكن ممن يحب على عظيم بلائه وطويل همه فما الظن بسقيم ولا يريد فقد سقمه
ولقد جالسته يوماً فرأيت من اكبابه وسوء حاله واطرافه ما ساءني فقلت له
في بعض قولي فرج الله عنك فلقد رأيت اثر الكراهية في وجهه وفي مناله
اقول من كلمة طويلة :

واستلذ بلأني فيك يأملني واستعك مدى الايام انصرف

ان قيل لي تتسلى عن مودته فما جواني الا اللام والالام
(خبر) وهذه الصفات مخالفة لما اخبرني به عن نفسه ابو بكر محمد بن قاسم
ابن محمد القرشي المعروف بالشاشي من ولد الامام هشام بن عبد الرحمن ابن
معاوية انه لم يحب احداً قط ولا اسف على الف بان منه ولا تحاور حد الصلحة
والالفة الى حد الحب والعشق منذ خلق

(باب علامات الحب)

وللحب علامات يقفوها الفطن ويهتدي اليها الدكي فأولها ادمان الطر
والعين باب النفس الشارع وهي المنقبة عن سرأثرها والمعبرة اصثارها والمعربة عن
بواطنها فترى الناظر لايطرف يتنقل بتنفل الحبوب ويروي بنزوائه وبميل حيث
مال كالحرباء مع الشمس وفي ذلك افول شعراً منه

فليس لعيني عند غيرك موقف كأنك ما يحكون من حجر الهت
اصرفها حيث انصرفت وكيف ما تقلبت كالنعوت في النحو وانعت

ومنها الاقبال بالحديث بما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمد ذلك وان
التكلف ليستين لمن يرمقه فيه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتي
به ولو انه عين المحال وخرق العادات وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم
والشهادة له وان جار واتباءه كيف سلك واي وجه من وجوه انقول تناول
ومنها الاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للقعود بقره والدنو منه
واطراح الاشغال الموجبة للزوال عنه والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقه
والتباطيء في الشيء، عن القيام عنه وفي ذلك اقول شعراً :

واذا قتت عنك لم امش الا مشي عان يقاد نحو الفناء
في مجيئي اليك احث كالبد ر اذا كان قاطعاً للشعاء
وفيامي ان قتت كالانجم العال لية الثابتات في الابطء

ومنها بهت يقع وروعة تبده على الحب عند رؤية من يحب فحأة وطلووعه
بغته ومنها اضطراب يدو على الحب عند رؤية من يشبه محبوبه او عند سماع
اسمه فحأة وفي ذلك اقول قطعة منها

اذا ما رأت عيناى لابس حمرة تقطع قلبي حسرة وتغطرا
غدا لدماء الناس بالاحظ سافكا وضرع منها ثوبه فتعصفرا

ومنها ان يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان متمسكاً به قبل ذلك
كأنه هو الموهوب له والمسعى في حظه كل ذلك ليبدى محاسنه ويرغب في نفسه
فكم بخيل جاد وقطوب تطلق وجبان شجع وغليط الطبع تطرب وحاهل تأدب
وتقل تزين وففر تجمل وذو سن تقى وناسك فتك ومصون تمسك وهذه
العلامات تكون قبل استعار نار الحب وتأجيج حريقه وتوقد شعله واستطارة لهبه
فاما اذا تمكن واخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سراراً والاعراض عن

كل ما حضر الا عن المحبوب جهاراً ولي ايات جمعت فيها كثيراً من هذه
العلامات منها :

اهوى الحديث اذا ما كان يذكر لي فيه ويعبق لي عن عنبر أرج
ان قال لم استمع ممن يجالسني الى سوى لفظة المستطرف العنج
واو يكون امير المؤمنين معي ما كنت من اجله عنه بمنعرج
فان اقم عنه مضطراً فاني لا ازال ملتقاً والمشى مشى وجى
عناي فيه وجسمي عنه مرئحل مثل التفات الفريق البر في اللجج
اعص بلقاء ان ادكر تباعده كمن تائب وسط النقع والوهج
وان تقل ممكن قصد السماء اقل نعم واني لادري موضع الدرج
ومن علاماته وشواهد الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد
واتصاق في المكان الواسع والمجادة على الشيء يأخذه احدهما وكثرة الغمز
الخي والميل بالانكاء والتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء
الظاهرة وشرب فصلة ما ابقى المحبوب في الاناء وتحري المكان الذي قابل فيه
ومنها علامات متصادة وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة والاسباب المحركة
والحواطر المهيجة والاضداد انداد والاشياء اذا افرطت في غايات تضادها ووقفت
في استواء حدود اختلافها تشابهت قدرة من الله عز وجل تصل فيها الاوهام
وهذا التلج اذا ادم حسبه في اليد فمل فعل النار ومجد الفرح اذا افراط قتل
والعم اذا افراط قتل والصحك اذا كثر واشتد سال الدمع من العينين وهذا
في الغناء كثير فوجد الحجين اذا تكافيا في الحبة وتأكدت بينهما تأكيداً شديداً
اكثر هما احدهما بغير معنى وتصادهما في القول تعمداً وخروج بعضهما على بعض
في كل يسير من الامور وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على
غير معناها كل هذه تجربة ليدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه والفرق
بين هذا وبين حقيقة الهجرة والمضادة المتولدة عن الشحنة ومخارجة التشاجر

سرعة الرضى فانك بينما ترى المحبين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا تقدره
يصلح عند الساكن النفس السالم من الاحقاد في الزمن الطويل ولا يتجبر عند
الحقود ابداً فلا تلبث ان تراهما قد عادا الى اجد الصبغة واهدرت المسابة
وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه الى المضاحكة والمدااة هكذا في
الوقت الواحد مراراً واذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالك شك ولا يدخلك
ريب البتة ولا تمار في ان بينهما سرّاً من الحب دفينا واقطع عليه قطع من
لا يصرفه عنه صارف ودونكها تجربة صحيحة وخبرة صادقة هذا لا يكون الا عن
تكاف في المودة واتلاف صحيح وقد رأيت كثيراً ومن اعلامه ان تجد الحب
يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في اخباره ويجملها هجاء ولا
يرتاح لشيء ارتاحه لها ولا ينهنه عن ذلك تخوف ان يغطن السامع ويفهم
الحاضر وجبك الشيء يعمي ويصم فلو امكن الحب ان لا يكون حدث في مكان
يكون فيه الا ذكر من يحبه لما تعداه ويعرض للصادق المودة ان يبندي في
الطعام وهو له مثته فما هو الا وقت ماتحتاج له من ذكر من يحب صار الطعام
غصة في الحلق وشجي في المريء وهكذا في الماء وفي الحديث فانه يما تحكه
متهجاً فتعرض له خطرة من خطرات الفكر فيمن يحب فتستين الحوالة في
منطقه والتقصير في حديثه وآية ذلك الوجوم والاطراق وشدة الانعلاق فينا
هو طلق الوجه خفيف الحركات صار منطقاً متناقلاً حار النفس جامد الحركة
يرم من الكلمة ويضجر من السؤال ومن علاماته حب الوحدة والانس بالانفراد
وتحول الجسم دون حد يكون فيه ولا وجع مانع من الثقل والحركة والمشى
دليل لا يكذب ويخبر لا يخون عن كلمة في النفس كامنة والسهر من اعراض
المحبين وقد اكثر الشعراء في وصفه وحكوا انهم رعاة الكواكب ووصفوا طول
الليل وفي ذلك اقول واذا ذكر كتمان السر وانه يتوسم بالعلامات
تعلمت السحائب من شؤوني فعمت بالحسا السكب الهتون

وهذا الليل فيك غدا رفيقي بذلك ام على سهري معيني
فان لم ينقض الليل الا ما اطبقت نوماً جفوني
فليس الى النهار لنا سبيل وسهد زائد في كل حين
كأن نجومه والغيم يخفي سناها عن ملاحظة العيون
ضميري في ودادك يامنائي فليس يبين الا بالظنون
وفي مثل ذلك قطعة منها :

ارعى النجوم كأنني كلفت ان ارعى جميع ثبوتها والخمس
فكأنها والليل نيران الجوى قد اضرمت في فكرتي من خندس
وكأنني امسيت حارس روضة خضراء وشع نبتها بالزجس
لو عاش بطليموس ايقن انني اقوى الورى في رصد جري الكس
والشيء قد يذكر لما يوجه وقع لي في هذه الايات تشبيه شيئين بشيئين
في بيت واحد وهو البيت الذي اوله فكأنها والليل وهذا مسعرب في الشعر
ولي ما هو اكمل منه وهو تشبيه ثلاثة اشياء في بيت واحد وتشبيه اربعة اشياء
في بيت واحد وكلاهما في هذه القطعة التي اوردها وهي :

مشوق معنى ما ينسام مسهد بخمر اتجنني مارال يعربد
قفي ساعة بدني اليك عجائباً (و) يعدو ويستحلي ويدني وبعد
كان النوى والمعب والهجر والرضى قران وانداد ونحس واسعد
رئى اغرامي بعد طول تمنع واصبحت محسوداً وقد كنت احسد
نعمنا على نور من الروض زاهر سقته الغواصي فهو يثني ويحمد
كأن الحيا والمزن والروض عاطراً دموع واحقان وخد مورد
ولا ينكرن على منكر قولي قران فاهل المعرفة بالكواكب يسمون انتفاء
كوكبين في درجة واحدة قراناً ولي ايضاً ما هو اتم من هذا وهو تشبيه خمسة
اشياء في بيت واحد في هذه القطعة وهي :

خلوت بها والراح نائلة لها وجنح ظلام الليل قدمد وائلج
فناة عدمت العيش الا بقربها فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج
كاني وهي والسكاس والحمر والدحي ترى وحياً والد والتبر والسنج
فهذا امر لاميذ فيه ولا يقدر احد على اكثر منه اذ لا يحتمل العروض
ولابنية الاسماء اكثر من ذلك ويعرض للمحين القلق عند احد امرين احدهما
عند رجائه لقاء من يحب فيعرض عند ذلك حائل

(خير) واني لاعلم بعض من كان محبوبه بعده الزيارة فما كنت اراه الا جائياً
وزاهباً لا بقربه القرار ولا ثبت في مكان واحد مقبلاً مدبراً قد استخفه السرور
بعد ركاة واشاطه بعد رزاة ولي في معنى انتظار الزيارة

اقت الى ان جاءني الليل راجياً لقائك ياسؤلى ويا غاية الامل
فأياسني الاظلام عنك ولم اكن لأبأس يوماً ان بدى الليل يتصل
وعندي دليل ليس يكذب خبره بامثاله في مشكل الامر يستدل
لأنك لو زمت الزيارة لم يكن ظلام ودام النور فينا ولم يزل
والثاني عند حادث يحدث بينهما من عتاب لا تدري حقيقته الا بالوصف فعند
ذلك يشتد القلق حتى توقف على الجلية فاما ان يذهب تحمله ان رجا العفو
و (اما) ان يصير القلق حرنأ واسفأ ان تخوف الهجر ويعرض للمحب الاستكانة
لجفاء المحبوب عليه وسيأتي مفسراً في باب ان شاء الله تعالى . ومن اعراضه الجزع
الشديد والحمة المقطعة تغلب عندما يرى من اعراض محبوبه عنه ونفساره منه
وآية ذلك الزفير وقلة الحركة والتأوه وتنفس الصعداء وفي ذلك اقول
شعراً منه :

وجيل الصبر مسجون ودموع العين سارحه
ومن علاماته انك ترى الحب يحب اهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا
احظى لديه من اهله ونفسه ومن جميع خاصته والبكاء من علامات الحب ولكن

يتفاضلون فيه فمنهم غزير الدمع هامل الشؤون تجيبه عينه وتحضره عبرته اذا شاء
ومنهم جمود العين عديم الدمع وانا منهم وكان الاصل في ذلك ادماني اكل الكندر
لخفقان القلب وكان عرض لي في الصبي فاني لاصاب بالمصيبة الفادحة فأجد قلبي
يتفطر ويتقطع واحس في قلبي غصة امر من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام
حق مخارجه وتكاد تشوقني بالنفس احيانا ولا تجيب عيني البتة الا في الندرة بالشيء
اليسيز من الدمع

(حبر) ولقد اذكرني هذا الفصل يوما ودعت انا وابو بكر محمد ابن اسحق
صاحبي ابا عامر محمد ابن عامر صديقاً رحمه الله في سفرته الى المشرق
التي لم نره بعد فعمل ابو بكر بيكي عند وداعه وينشد متمثلاً هذا البيت :
الا ان عيناً لم تجد يوم واسط عليك باقي دمعها لجمود

وهو في رثاء يزيد بن عمر بن هبيرة رحمه الله ونحن وقوف على ساحل البحر
بمالقة وجعلت انا اكثر التفجع والاسف ولا تساعدني عيني فقلت محبباً لابني بكر
وان امرأ لم يفن حسن اصطباره عليك وقد فارقتك جليد

وفي المذهب الذي عليه الناس اقول من قصيدة قلتها قبل بلوغ الحلم اولها
دليل الاسى نار على القلب تلفح ودمع على الحدين يحمي ويسمح
اذا كتم المشغوف سر ضلوعه فان دموع العين تبدي وتفضح
اذا ما جفون العين سالت شؤونها فني القلب داء للغرام مبرح

ويعرض في الحب سوء الظن واتهام كل كلمة من احدهما وتوجيهها الى غير
وجهها وهذا اصل العباب بين المحبين واني لاعلم من كان احسن الناس ظناً
واوسعهم نفساً واكثرهم صبراً واشدهم احتيلاً وارحهم صدرأ ثم لا يخطر على
اللبس شيئاً ولا يقع له معه اسر مخالفة حتى يبدي من التعديد فنوناً ومن سوء الظن
وجوهاً وفي ذلك اقول شعراً منه :

أسيء ظني بكل محقر تأتي به والحقير من حقر

كي لا يرى اصل هجرة وقلبي فالأثر في بدء امرها شررا
 واصل عظم الامور اهونها ومن صغير النوى ترى شجرا
 وترى الحب اذا لم يتق ببقاء طوية محبوبه له كثير التحفظ مما لم يكن يتحفظ
 قبل ذلك متقفاً لكلامه مزيناً لحركاته ومرامي طرفه ولا سيما ان دهمي بمتجن
 وبلى بمعربد . ومن آياته : مراعاة الحب لمحبوبه وحفظه لكل ما يقع منه
 ومحته عن اخباره حتى لا يسقط عنه دقيقة ولا جليله وتتبعه لحركاته ولعمري لقد
 ترى البليد يصير في هذه الحالة ذكياً والغافل فطناً
 (خبر) ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان اسمعيل بن يونس الطيب
 الاسرائيلي وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها وكنا في لمة فقال له مجاهد ابن
 الحصين القيسي ماتقول في هذا وأشار الى رجل متبذعنا ناحية اسمه حاتم
 ويكنى ابا البقاء فنظر اليه ساعة يسيرة ثم قال هو رجل عاشق فقال له
 صدقت فمن اين قلت هذا ؟ قال : لبثت مفرط ظاهر على وجهه فقط دون
 سائر حركاته فعملت انه عاشق وليس بمريب

﴿ باب من احب في النوم ﴾

ولا بد لكل حب من سبب يكون له اصلاً وانا مبتديء بابعد ما يمكن ان
 يكون من اسبابه ليجري الكلام على نسق وان يتبدأ ابدأ بالسهل والأهون
 فمن اسبابه شيء لولا اني شاهدته لم اذكره لغرابته
 (خبر) وذلك اني دخلت يوماً على ابي السري عمار بن زياد صاحبنا مولى
 المؤيد فوجدته مفكراً مهتماً فسألته عما به فتمنع ساعة ثم قال لي اعجوبة ما سمعت
 قط قلت وما ذاك قال رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب
 قلبي فيها وهمت بها واني لاني اصعب حال من حبها ولقد بقي اياماً كثيرة
 يزيد على الشهر مغموماً مغموماً لايهنته شيء وجدأ الى ان عدلته وقلت له
 م : « ٢ »

من الخطأ العظيم ان تشغل نفسك بغير حقيقة وتعلق وهمك بـمعدوم لا يوجد هل تعلم من هي قال لا والله قلت انك لقليل الرأي مصاب البصيرة اذ تحب من لم تره قط ولا خلق ولا هو في الدنيا ولو عشقت صورة من صور الحمام لكنت عندي اعذر فما زلت به حتى سلا وما كاد وهذا عندي من حديث النفس واضافها وداخل في باب التمني وتخيل الفكر وفي ذلك اقول شوراً منه :

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت أطلعة الشمس كانت ام هي القمر
اظنة العقل ابداه تدره او صورة الروح ابدتها الى الفكر
او صورة منلت في النفس من املي فقد تخيل في ادراكها البصر
او لم يكن كل هذا فهي حادثة اتى بها سناً في حقي النفس

﴿ باب من احب بالوصف ﴾

ومن غرّب اصول المشتق ان تقع المحبة بالوصف دون المعاينة وهذا امر يترق منه الى جميع الحب فتكون المراسلة والمكاتبة والهلم والوجد والسهر على غير الابصار فان للحكايات ونعت المحاسن ووصف الاخبار تأثيراً في النفس ظاهراً وان تسمع نغمتها من وراء جدار فيكون سبباً للحب واشغال البال وهذا كله قد وقع لغير ما واحد ولكنه عندي ببيان هار على غير أس وذلك ان الذي افرغ ذهنه في هوى من لم ير لا بد له اذ يخلو بعكره ان يمثل لنفسه صورة يتوهمها وعيناً يقيمها نصب ضميره لا يتمثل في هاجسه غيرها قد مال بوجهه نحوها فان وقعت المعاينة يوماً ما حُبْنِثْداً يتأكد الامر او يبطل بالكلية وكلا الوجهين قد عرض وعرف واكثر ما يقع هذا في ربات القصور المحجوبات من اهل البيوتات مع اقاربهن من الرجال وحب النساء في هذا اثبت من

حب الرجال لضعفهن وسرعة اجابة طبائهن الى هذا الشأن وتمكنه منهن
وفي ذلك اقول شعراً منه :

ويا امن لامنني في حب من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصفك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنة يوماً بسوى الوصف

واقول شعراً في استحسان النعمة دون وقوع العين على العيان منه :

قد حل جيش الغرام سمعي وهو على مقلتي يبدو
واقول ايضاً في مخالفة الحقيقة لظن المحبوب عند وقوع الرؤية :
وصنوك لي حتي اذا ابصرت ما وصفوا علمت بانه هذيان
فالطبل جلد فارغ وطنينه يرتاع منه ويفرق الانسان
وفي ضد هذا اقول :

لقد وصفوك لي حتى التقينا فصار الظن حفاً في العيان
فاوصاف الجنان مقصرات على التحقيق عن قدر الجنان

وان هذه الاحوال لتحدث بين الاصدقاء والاخوان وعني احدث
(خبر) انه كان بيني وبين رجل من الاشراف ود وكيد وخطاب كثير
وما ترآينا قط ثم منح الله لي لقاءه فما مرت الا ايام قلائل حتى وقعت لنا
منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة الى الآن فقلت في ذلك قطعة منها :

ابدأت اشخاصنا كرهاً وفرط قلى كما الصحائف قد يبدلن بالنسخ
ووقع لي ضد هذا مع ابى عامر ابن ابى عامر رحمة الله عليه فاني كنت
له على كراهة صحيحة وهو لي كذلك ولم يرني ولا رأيته وكان اصل ذلك
تنقيلاً يحمل اليه عني والي عنه يؤكد انحراف بين ابوينا لتنافسهما فيما كانا
فيه من صحبة السلطان ووجاهة الدنيا ثم وفق الله الاجتماع به فصار لي اود
الناس وصرت له كذلك الى ان حال الموت بيننا وفي ذلك اقول قطعة منها :

اخ لي كسبني اللقاء واوجدني فيه علماً شريفاً
وقد كنت اكرمه الجوار وما كنت ارغبه لي اليفاً
وكان البغيض فصار الحبيب وكان الثقل فصار الخفيفا
وقد كنت ادمن عنه الوجيف فصرت اديم اليه الوديفا

واما ابو شاكر عبد الرحمن بن محمد القبري فكان لي صديقاً مدة على غير
رؤية ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت وتمادت الى الآن

(باب من احب من نظرة واحدة)

وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة وهو ينقسم قسمين
فالقسم الواحد مخالف للذي قبل هذا وهو ان يعشق المرء صورة لا يعلم من هي
ولا يدري لها اسماً ولا مستقراً وقد عرض هذا لغبر واحد

(خبر) حدثني صاحبنا ابو بكر محمد بن احمد بن اسحق عن ثقة اخبره
سقط عنى اسمه وأظنه القاضي بن الحذاء ان يوسف بن هرون الشاعر المعروف
بالرمادي كان مجتازاً عند باب العطارين بقرطبة وهذا الموضع كان مجتمع النساء
فرأى جارية اخذت بمجامع قلبه وتخلل حبها جميع اعصائه فانصرف عن
طريق الجامع وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو الفنطرة فيحارتها الى الموضع المعروف
بالربض فلما صارت بين رياض بني مروان رحيم الله المبنية على قبورهم في
مفبرة الربض خلف النهر نظرت منه منفرداً عن الناس لاهمة له غيرها
فانصرفت اليه فقالت له مالك تمشي ورائي فاخبرها بعظيم بليته بها فقالت له
دع عنك هذا ولا تطلب فصيحتي فلا مطمع لك في النية ولا الى ما ترغبه
سبيل فقال اني اقنع بالنظر فقالت ذلك مباح لك فقال لها ياسيدي احره
ام مملوكة قالت مملوكة فقال لها ما اسمك قالت خلوة قال ولم انت فقالت
له علمك والله بما في السماء السابعة اقرب اليك مما سألت عنه فدع المحال

فقال لها ياسيدي واين اراك بعد هذا قالت حيث رأيته اليوم في مثل تلك الساعة من كل جمعة فقالت له إما تنهض انت وإما أنهض انا فقال لها انهض في حفظ الله فنهضت نحو القنطرة ولم يمكنه اتباعها لانها كانت تلتفت نحوه لترى ايسارها ام لا فلما تجاوزت باب القنطرة أتى يقفوها فلم يقع لها على مسألة قال أبو عمر وهو يوسف بن هرون فوالله لقد لازمت باب العطارين والربض من ذلك الوقت الى الآن فما وقعت لها على خبر ولا ادري أسماء لحسها أم أرض بلغتها وأن في قلبي منها لأحر من الجمر وهي خلوة التي يتنزل بها في اشعاره ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سببها الى سرقسطة في قصة طويلة ومثل ذلك كثير وفي ذلك اقول قطعة منها :

عيني جنت في فؤادي لوعة الفكر فأرسل الدمع مقتصاً من البصر
فكيف تصبر فعل الدمع منتصفاً منها باغراقها في دعمها الدرر
لم القها قبل أبصاري فاعرفها وآخر العهد منها ساعة النظر
(والقسم الثاني) مخالف للباب الذي يأتي بعد هذا الباب ان شاء الله وهو ان يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم والمكان والمنشأ ولكن التفاضل يقع في هذا في سرعة الفناء وابطائه فمن احب من نظرة واحدة واسرع العلاقة من لحظة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر ومخبر بسرعة السلو وشاهد الظرافة والمثل وهكذا في جميع الاشياء اسرعها نمواً اسرعها فناء وابطؤها حدوثاً ابطؤها نفاذاً

(خبر) اني لأعلم فتياً من ابناء الكتاب ورأته امرأة سرية النشأة عالية المنصب غليظة الحجاب وهو مجتاز ورأته في موضع تطلع منه كان في منزلها فملقته وعلقها وتهاديا المراسلة زماناً على ارق من حد السيف ولولا اني لم اقصد في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكائد لاوردت مما صح عندي اشياء تحير اللبيب وتدهش العاقل اسبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين بئنه وكفانا

﴿ باب من لا يحب الا مع المطاولة ﴾

ومن الناس من لاتصح محبته الا بعد طول المحافاة وكثير المشاهدة ومتادي الأانس وهذا الذي يوشك ان يدوم ويثبت ولا يحيك فيه مر الليالي فادخل عسيراً لم يخرج يسيراً وهذا مذهبي وقد جاء في الاثر (ان الله عز وجل قال للروح حين امره ان يدخل جسد آدم وهو فخار فهاب وجزع ادخل كرهاً واخرج كرهاً) حدثناه عن شيوخوا ولقد رأيت من اهل هذه الصفة من ان احس من نفسه بابتداء هوى او توحش من استحسانه ميسلاً الى بعض الصور استعمل الهجر وترك الامام لثلا يزيد مايحجد فيخرج الأمر عن يده ويحال بين الغير والنزوان وهذا يدل على لصوق الحب باكباد اهل هذه الصفة وانه اذا تمكن منهم لم يحل ابدأ وفي ذلك اقول قطعة منها :

سأبعد عن دواعي الحب أني رأيت الحزم من صفة الرشيد
 رأيت الحب اوله التصدي بعينك في ازاخير الحدود
 فينا انت مقببط مخلى اذا قد صرت في حلق القيود
 كمغتفر بضحضاح قريب فذل فغاب في غمر المدود

واني لا أطيل العجب من كل من يدعي انه يحب من نظرة واحدة ولا أكاد أسدقه ولا أجعل حبه الا ضرباً من الشهوة واما ان يكون في ظني متمكناً من صميم الفؤاد نافذاً في حجاب القلب فما اقدر ذلك وما لصق باحشائي حب قط الا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ وأخذني معه في كل جد وهزل وكذلك انا في السلو والتوق فما نسيت ودأ لي قط وان حضي الى كل عهد تقدم لي ليغضي بالطعام ويشرقني بالماء وقد استراح من لم تكن هذه صفته وما ملئت شيئاً قط بعد معرفتي به ولا اسرعت الى الانس بنبيء قط اول لقائي له وما رغبت الاستبدال الى سبب من اسبابي مذكنت لا اقول في الألاف

والاخوان وحدهم لكن في كل ما يستعمل الانسان من ملبوس ومركوب ومطعم وغير ذلك وما انتفعت بميش ولا فارقي الاطراق والانغلاق مذ ذقت طعم فراق الاحبة وانه لشجى يعتادني وولوع هم مايفنك يطرقني ولقد نقص تذكري ماضى كل عيش استأنفه وأني لقتيل الهموم في عدد الاحياء ودفين الاسى بين اهل الدنيا والله المحمود على كل حال لا اله الا هو . وفي ذلك اقول شعراً منه :

حبة صدق لم تكن بنت ساعة ولا وريت حين ارتباد زنادها
ولكر على مهل سرت وتولدت بطول امتزاج فاستقر عمادها
فلم يدن منها عزمها وانتفاضها ولم ينأ عنها مكثها وازديادها
يوكد ذا انا نرى كل نشأة تم سرها عن قريب نهادها
ولكنني ارض عزاز صليبة منبع الى كل العروس اقيادها
فما نفذت منها اديها عروقه فليست تبالي ان يحود عهادها
ولا ظن ظان ولا يتوهم متوهم ان كل هذا مغلط لمولي المسطر في صدر
الرسالة ان الحب اتصال بين النفوس في اصل عالمها العلوي بل هو مؤكد له
فقد علمنا ان النفس في هذا العالم الأدنى قد نمرتها الحجب ولحقتها الاعراض
واحاطت بها الطبائع الارضية الكوربة فسترت كثيراً من صفاتها وان كانت لم
تحله لكن حالت دونه فلا برج الاتصال على الحقيقة الا بعد التهيؤ من النفس
والاستعداد له وبعد اصال المعرفة اليها بما يشاكلها ويوافها ومقابلة الطبائع التي
خفت مما يشابهها من طبائع المحبوب حينئذ يتصل اتصالاً صحيحاً بلا مانع . واما
مايقع من اول وهلة بعض اعراض الاستحسان الجسدي واستطراف البصر
الذي لايجاوز الالوان وهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة فاذا فصلت الشهوة
وتجاوزت هذا الحد ووافق الفصل اتصال نفسياني تشترك فيه الطبائع مع النفس
يسمى عشقاً ومن هذا دخل الغلط على من يزعم انه يحب اثنين ويعشق

شخصين متغايرين فانما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آتفاً وهي على المجاز تسمى حجة لاعلى التحقيق واما نفس الحب فما في الميل به فضل يصرفه من اسباب دينه ودينه فكيف بالاشتغال بحب ثان وفي ذلك اقول :

كذب المدعي هوى اثنين حتماً مثل ما في الاصول اكذب ما في
ليس في القلب موضع لحيي ن ولا احدث الامور بذاتي
فكما العقل واحديس يدري خالقاً غير واحد رحمان
فكذا القلب واحديس يقري غير فرد مباعداً او مدان
هو في شرعة المودة ذو شك بيد من صحة الايمان
وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

واني لأعرف فتى من اهل الجدة والحسب والأدب كان يتناع الجارية وهي سالمة الصدر من حبه واكثر من ذلك كارهة له لقلة حلاوة شمائل كانت فيه وقطوب دائم كان لا يفارقه ولا سيما مع النساء فكان لا يلبث الا يسيراً ربما يصل اليها بالجماع ويعود ذلك الكره حباً مفرطاً وكلاماً زائداً واستهتاراً مكشوفاً ويتحول الضجر لصحبته صجراً لمراقبه صحبته هذا الامر في عدة منهن فقال بعض اخواني فسألته عن ذلك فتبسم نحوي وقال ادا والله اخبرك اما ابطأ النس انزالا تقضي المرأة شهوتها وربما ننت وانزالي وشهوتي لم ينقضيا بعد وما فترت بعدها قط واني لا أتقي بحسي بعد انقضائها الحين الصالح وما لاقى صدري صبر امرأة قط عند الحلوة الا عند تعمدي المعانقة وبحسب ارتفاع صدري نزول مؤخري فثقل هذا وشبهه ادا وقع وافق اخلاق النفس وولد المحبة اذ الاعضاء الحساسة مساك الى النفوس ومؤديات نحوها (١)

(١) خطر لنا حذف ما في هذا الكتاب مما يمانل هذا بلدنا لم نرجح لانساننا اسقاط ما ارتصاه ابن حزم لكتابه وما نحن باورع ولا انقى ولا احفظ لحرمة لاخلق منه .

(باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها)

واعلم اعزك الله ان للحب حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً وامراً لا يخالف وحداً لا يصح ومدكماً لا يتمدى وطاعة لا تنصرف وشاذاً لا يرد وانه يغص المرر ويحبل المبرم ويحبل الحامد ويحبل الثابت ويحبل الشغاف ويحبل المنوع ولقد شاهدت كثيراً من الناس لا يهتمون في تمييزهم ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في حدسهم قد وصفوا احباباً لهم في بعض صفاتهم ما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال فصارت هويراهم وعرضة لاهوائهم ومنتهى استحسانهم ثم مضى اولئك اما بسلو او بين او هجر او بعض عوارض الحب وما فارقه استحسن تلك الصفات والابان عنهم تفضيلها على ما هو افضل منها في الخليفة والامالوا الى سواها بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم وساقطة لديهم الى ان فارقوا الدنيا وانقضت اعمارهم حينئذ منهم الى من فقدوه والفة ان يحسوه وما اقول ان ذلك كان تصنعاً لكن طبياً حقيقياً واخياراً لادخاله فيه ولا يرون سواه ولا يتولون في طي عندهم بعيره واني لأعرف من كان في حيد حبيبه بعض الوقص فما استحسن اعيد ولا غيداء بعد ذلك واعرف من كان اول علاقته بحاربة مائلة الى القصر فإحب طريفة بعد هذا واعرف ايضاً من هوى جارية في مهبها فوره لطيف فاقد كان تقدر كل فم صغير ونذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة وما اصف من منوصي المخطوط في العلم والادب لكن عن اوفر الناس قسماً في الادراك واحتمهم باسم القهم والدرايه . وعني اخبرك اني احببت في صبي حارة لي شفاء الشعر فما استحسننت من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو انه على الشمس او على صورة الحسن نفسه واني لاجد هذا في اصل تركيبي من ذلك الوقت لاتزانيني نفسي على سواه ولا تحب غيره البتة وهذا العارض عينه

عرض لأبي رضي الله عنه وعلى ذلك جرى الى ان وافاه اجله واما جماعة خلفاء بني مروان رحمهم الله ولاسيما ولد الناصر منهم فكلمهم مجبولون على تفضيل الشقرة لا يختلف في ذلك منهم مختلف وقد رأيناهم ورأينا من رأيهم من لدن دولة الناصر الى الآن فما منهم الا اشقر نزاعاً الى أمهاتهم حتى قد صار ذلك فيهم خلقة حاشى سليمان الطاهر رحمه الله فإني رأيته اسود الملة واللحية واما الناصر والحكم المستنصر رضي الله عنهما فحدثني الوزير ابي رحمه الله وغيره انهما كانا اشقرين اشهلين وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدي وعبد الرحمن المرتضى رحمهم الله فإني قد رأيتهم مراراً ودخلت عليهم فرأيتهم شقراً شهلاً وهكذا اولادهم واخوتهم وجميع اقاربهم فلا ادري أذلك استحسان مركب في جميعهم ام لرواية كانت عند اسلافهم في ذلك فجروا عليها وهذا ظاهر في شعر عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن امير المؤمنين الناصر وهو المعروف بالطليق وكان اشقر اهل الادلس في زمانهم واكثر تغرله فبالشتر وقد رأيته وجالسته وليس المعجب فيمن احب قبيحاً ثم لم يصحبه ذلك في سواء فقد وقع من ذلك ولا فيمن طبع مذ كان على تفضيل الادنى ولكن فيمن كان ينظر بعين الحقيقة ثم غاب عليه هوى عارض بعد طول بقائه في الجماعة فاحاله عما عهدته نفسه حوالة صارت له طبعاً وذهب طبعه الاول وهو يعرف فضل ما كان عليه اولاً فاذا رجع الى نفسه وجدها تأبى الا الادنى فاعجب لهذا التغلب الشديد والتسليط العظيم وهو اصدق المحبة حقاً لامن يتحلى بشيم قوم ليس منهم ويدعي غريزة لاتبه فيزعم انه يتخير من يحب لهما لو شغل الحب بصيرته واجاح فكرته واجحف بتمييزه لحال بينه وبين التخلي والازتاد وفي ذلك اقول شعراً منه :

منهم فتي كان في محبوه وقص كأنما الفيد في عينه جنان
وكان منبسطاً في فضل خيرته بحجة حقها في القول تبيان

ان المها وبها الامثال سائرة لا ينكر الحسن فيه الدهر انسان
وقص فليس بها عنقاء واحدة وهل تران بطول الجيد بعران
وآخر كان في محبوبه فوه يقول حسبي في الافواه غزلان
وثالث كان في محبوبه قصر يقول ان ذوات الطول غيلان
واقول ايضاً :

يعيونها عندي بشقرة شعرها فقلت لهم هذا الذي زانها عندي
يعيون لون النور والتبر ضاة لرأي جهول في الغواية ممتد
وهل عاب لون النرجس الغض عائب ولون النجوم الزاهرات على البعد
وابعد خلق الله من كل حكمة مفضل جرم فاحم اللون مسود
به وصفت الوان اهل جهنم ولبسة باك مشكل الامل محتد
ومذلاحت الرايات سوداً تيقنت نفوس الوري ان لاسبيل الى الرشد

﴿ باب التعريض بالقول ﴾

ولا بد ان كل مطلوب من مدخل اليه وسبب يتوصل به نحوه فلم ينفرد
بالاختراع دون واسطة الا العالم الاول جل ثناءه فاول ما يستعمل طلاب الوصل
واهل المحبة في كشف ما يحذونه الى احبتهم التعريض بالقول اما بانشاد شعر
او بارسال مثل او تسمية بيت او طرح لغز او تسليط كلام والناس يختلفون في
ذلك على قدر ادراكهم وعلى حسب ما يروه من احبتهم من نفاذ او انس او فطنة
او بلادة واني لاعرف من ابتداء كشف محبته الى من كان يحب بايات قتها
فهذا وشبهه يتبدى به الطالب للمودة فان رأى انسا وتسهيلاً زاد وان يماين
شيئاً من هذه الامور في حين اشاده لشيء مما ذكرناه او ايراده لبعض المعاني
التي حددنا وانتظاره الجواب اما بالفظ او بهيئة الوجه والحركات لموقف ين
الرجاء والياس هائل وان كان حيناً قصيراً ولكنه اشراف على بلوغ الامل

او انقطاعه (ومن التعريض بالقول) جنس ثان ولا يكون الا بعد الاتفاق ومعرفة
الحجة من الجبوب فينذيق التشكي وعقد المواعد واتعدد واحكام المودات
بالتريض وبكلام يظهر لسامعه منه معنى غير ما يذهبان اليه فيجب السامع عنه
بجواب غير ما يتأدى الى المقصود بالكلام على حسب ما يتأدى الى سمعه ويسبق
الى وهمه وقد فهم كل واحد منهما عن صاحبه واجابه بما لا يفهمه غيرهما الا
من أحد محس نافذ واعين بذلك وامد بتجربة ولا سيما ان احسن من معانيهما
بشيء وقل ما يغيب عن المتوسم المجيد فهناك لاختفاء عليه في ما يريد ان
(وانا اعرف) ففي وجارية كانا يتحaban فارادها في بعض وصلها على بغض
ما لا يحجل فقالت والله لاشكونك في الملا علانية ولا فصحنك فصيحة مستورة
فلما كان بعد ايام حضرت الجارية مجلس من اكابر الملوك واركان الدولة
واجل رحال الخلافة وفيه ممن يتوق امره من النساء والخدم عدد كثير وفي
حملة الحاضر بن ذلك الفتى لانه كان بسبب من الرئيس وفي المجلس مغنيات
غيرها فلما انتهى العناء اليها سوت عودها واندفعت تغني بايات قديمة وهي :

عزال قد حكى بدر التمام كشمس قد تجلت من غمام
سسى قلبي بالحط مرض وقد العصى في حس النوم
حصعت خضوع صب مستكين له ودلت دلة مستهام
وصلاني يا فديتك في حلال لما اهوى وصالا في حرام

وعلمت ان هذا الامر فقلت :

عتاب واقع وشكاة ظلم انت من ظالم حكم وخصم
تشكت ما بها لم يدرك خلق سوى المشكو ما كانت تسمي



﴿ باب الإشارة بالعين ﴾

ثم يتلو التعريض بالقول اذا وقع القبول والموافقة الاشارة باحفظ العين
 فانه ليقوم في هذا المعنى المقام المحمود ويبلغ المبلغ العجيب ويقطع به وتواصل
 ويوعد ويهدد وينتهر ويبسط ويؤمر وينهى وتضرب به الاوعاد ونسبه على الرقيب
 ويضحك ويحزن ويسئل ويحاج ويمنع ويعطى واكمل واحد من هذه المعاني
 ضرب من هيئة اللحظ لا يوقف على تحديده الا بالرؤية ولا يمكن تصويره ولا
 وصفه الا الاقل منه وانا واصف ما تيسر من هذه المعاني والاشارة بمؤخر العين
 الواحدة فهي عن الامر وتقديرها اعلام بالقول وادامة نظرها دليل على التوجع
 والاسف وكسر نظرها آية الفرج والاشارة الى اطباقها دليل على التهديد
 وقلب الحدة الى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه والاشارة
 الخفية بمؤخر العينين ككتاتهما سؤال وقلب الحدة من وسط العين الى المساق
 بسرعة شاهد المنع وترعيد الحدقتين من وسط العينين فهي عام وسائر ذلك
 لا يدرك الا بالمشاهدة واعلم ان العين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد
 والحواس الاربعة ابواب الى القلوب ومنافذ نحو النفس والعين ابغها واحبها دلالة
 واوعاها عملاً وهي رائد النسس الصادق ودليها الهادي ومرآتها المحلوه التي بها
 تقف على الحقائق وتحوز الصفات وتفهّم المحسّسات وقد قيل ليس الخبر
 كالمعين وقد ذكر ذلك افليمون صاحب الفراسة وجعلها معتمدة في الحكم
 وبحسبك من قوة ادراك العين انها اذا لاقى شعاعها شعاعاً مجلياً صافياً اما
 حديداً ففصولاً او زجاجاً او ماء او بعض الحجارة الصافية او سائر الاشياء
 المحلوة البراقة دوات الرفيف والبصيص والمعان يتصل اقصى حدوده بحجم
 كثيف سائر مناع كدور انعكس شعاعها فادرك الناظر نفسه وحازها عياناً
 وهو الذي ترى في المرأة فانت حينئذ كالناظر اليك بعين غيرك ودليل عياني

على هذا انك تأخذ مرأتين كبيرتين فتمسك احدهما بيمينك خلف رأسك
والثانية بيسارك قبالة وجهك ثم تزويها قليلاً حتى يلتقيان بالمقابلة فانك ترى
قفاك وكل ماوراءك وذلك لانعكاس ضوء العين الى ضوء المرأة التي خلفك
اذ لم تجد منفذاً في التي بين يديك ولما لم تجد وراء هذه الثانية منفذاً انصرف
الى ما قبله من الجسم وان كان صالح غلام ابي اسحق النظام خالف في
الادراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه احد ولو لم يكن من فضل العين
الا ان جوهرها ارفع الجواهر واعلاها مكانا لانها نورية لاتدرك الالوان
بسواها ولاشيء ابعد مرمى ولا انأى غاية منها لانها تدرك بها اجرام الكواكب
التي في الافلاك البعيدة وترى بها السماء على شدة ارتفاعها وبعدها وليس ذلك
الاتصالها في طبع خلقها بهذه المرأة فهي تدركها وتصل اليها بالظفر لاعلى
قطع الاماكن والحلول في المواضع وتنقد الحركات وليس هذا لشيء من
الحواس مثل الذوق واللمس لايدركان الا بالمجاورة والسمع والشم لايدركان
الا من قريب ودليل على مادكرناه من الظفر انك ترى الصوت قبل سماع
الصوت وان تعمدت ادراكهما معاً وان كان ادراكهما واحداً لما تقدمت
العين والسمع .

﴿ باب المراسلة ﴾

ثم يتلو ذلك اذا امتزح المراسلة بالكتب وللكتب آيات ولقد رأيت اهل
هذا الشأن يبادرون لقطع الكتب ويحلقها في الماء ويمحو اثرها قرب فصيحة
كانت بسبب كتاب وفي ذلك اقول :

عزيز عليّ اليوم قطع كتابكم ولكنه لم يلف اللود قاطع
فأثرت ان يبقى وداد ويمتحي مداد فان الفرع للاصل تابع
فكم من كتاب فيه مية ربه ولم يدره اذ تمتمته الاصابع

وينبغي ان يكون شكل الكتاب الطف الاشكال وجنسه املح الاجناس
ولعمري ان الكتاب للسان في بعض الاحايين اما لخصر في الانسان واما
لحياء واما لهية نعم حتى ان لوصل الكتاب الى المحبوب وعلم الحب انه قد
وقع بيده ورآه للذة يجدها الحب عجيبة تقوم مقام الرؤية وان لرد الجواب
والنظر اليه سروراً يدل اللقاء ولهذا ماترى العاشق يضع الكتاب على عينيه
وقلبه وبناقه ولهمدي ببعض اهل المحبة ممن كان يدري ما يقول ويحسن
الوصف ويعبر عما في ضميره بلسانه عبارة جيدة ويجيد النظر ويدقق في الحقائق
لايدع المراسلة وهو ممكن الوصل قريب الدار آتي الزار ويحكى انها وجوه
المنذ ولقد اخبرت عن بعض السقاط الوضعاء انه كان يضع كتاب محبوه
على احليله وان هذا النوع من الاغلام قبيح وضرب من الشبق فاحش واما
سقي الحبر بالدمع فاعرف من كان يفعل ذلك ويقارضه محبوه بسقي الحبر بالريق
وفي ذلك اقول :

جواب أناني عن كتاب بعته فسكن مهتاجاً وهيج ساكناً
سقيت بدمع العين لما كتبتة فعال محب ليس في الود خائناً
فما زال ماء العين يمجو سطوره فيا ماء عيني قد محوت المحاسنا
عدا بدموعي اول الخط بيننا واضحى بدمعي آخر الخط باثنا

(خبر) ولقد رأيت كتاب الحب الى محبوه وقد قطع في يده بسكين له
فسال الدم واستمد منه وكتب به الكتاب اجمع ولقد رأيت الكتاب بعد جفوفه
فما شككت انه يصبع اللك .

﴿ باب السفير ﴾

ويقع في الحب بعد هذا بعد حلول الثقة وتتمام الاستئناس ادخال السفير
ويجب تخيره وارتياده واستجاده واستفراجه فهو دليل عقل المرء وبده حياته
وموته وستره وفضيحته بعد الله تعالى فينبغي ان يكون الرسول ذا هيئة حاذقاً

يكتفي بالإشارة ويقرطس عن الغائب ويحسن من ذات نفسه ويضع من عقله ما عقله باعته ويؤدي الى الذي ارسله كل ما يشاهد على وجهه كأنما للأسراراً حافظاً للعهد وفيأ قنوعاً ناصحاً ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعته بمقدار ما نقصه منها وفي ذلك أقول شعراً منه :

رسولك سيف في يمينك فاستجد حساماً ولا تضرب به قبل صقله
فمن يك ذا سيف كهام فضره يعود على المغني منه بجمله
واكثر ما يستعمل المحبون في ارسالهم الى من يحبونه اما حائلاً لا يؤبه له ولا يهتدي للتحفظ منه لصباه او لهيأة رثة او بدادة في طلعه واما جليلاً لانتلقه الظن لنسك يظهره اولس عالية قد بلغها وما اكثر هذا في النساء ولا سيما ذوات العكاكيز والتسايسج والثوبين الاحمرين واني لاذكر بقرطبة التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيث مارأيتها او ذوات صناعة يقرب بها من الاشخاص فمن النساء كالطبيبة والحجامة والسراقاة والدلالة والمماشطة والنائحة والمغنية والكاهنة والعلمة والمستخفة والصناع في المغزل والنسج وما اشبه ذلك او ذا قرابة من المرسل اليه لا يشح بها عليه فكم منيع سهل بهذه الاوصاف وعسير يسر وبعيد قرب وجموح انس وكم داهية دعت الحجب المصونة والاستار انكثيفة والمفاصير المحروسة والسدد المضبوطة لارباب هذه النعوت ولولا ان ابنه عليها لما ذكرتها ولكن لقطع النظر فيها وقلة الثقة بكل واحد والسعيد من وعظ بغيره وبالضد اسبل الله علينا وعلى جميع المسلمين ستره ولا ازال عن الجميع ظل العافية

(خبر) واتي لاعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة ويعقد الكتاب جناحها وفي ذلك أقول قطعة منها

تخبرها نوح فما خاب ظهه لديها وجاءت نحوه بالبشائر
سأودعها كتي اليك فما كها رسائل تهدي في قوادم طائر

﴿ باب طي السر ﴾

ومن بعض صفات الحب الكتان باللسان ووجود الحب ان سئل والتضع
بإظهار الصبر وان يري انه عزهاة (١) خلى وبأبى السر الدقيق ونار الكلف
المتأججة في الضلوع الاظهوراً في الحركات والعين وديباً كديب النار في
الفحم والماء في بيس المدر وقد يمكن التمويه في اول الامر على غير ذي
الحس اللطيف واما بعد استحكامه فحال وربما يكون السبب في الكتان
تصاون المحر عن ان بسم نفسه بهذه السمة عند الناس لانه يزعمه من صفات
اهل البطالة فيفر منه ويتفادى منه وما هذا وجه التصحيح فبحس المرء المسلم
ان يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتيها باختياره ويحاسب عليها يوم
القيامة واما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه
اذ القلوب بيد مقلها ولا يلزمها غير المعرفة والنظر في فرق ما بين الخطاء
والصواب وان يعتقد الصحيح باليقين واما المحبة فحلقة وانما يملك الانسان
حركات جوارحه المكتسبة وفي ذلك اقول :

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى	وسيان عندي فيك لاح وساكت
يقولون جابت التصاون جملة	وانت عليهم بالشرعة قانت
فقلت لهم هذا الرياء بعينه	صراحاً وزي للمرائين ماقت
منى جاء تحريم الهوى عن محمد	وهل منعه في محكم الذكر ثابت
اذا لم اوقع محرماً اتقي به	محيئي يوم البعث والوجه باهت
فلست ابالي في الهوى قول لأم	سواء لعمرى جاهر او مخافت
وهل يلزم الانسان الا اختياره	وهل بنجاي اللفظ يؤخذ صامت

(١) قال في الاساس : هو عزهاة عن الله والنساء اذا لم يردهن ورغب عنهن . قال

اذا كنت عزهاة عن الله والصبا فكان حجراً من يابس الصخر جلدا
م : « ٣ »

(خبر) واني لأعرف بعض من امتحن بشيء من هذا فسكن الوجد بين جوانحه فرام ججده الى ان غلظ الامر وعرف ذلك في شمائله من تعرض للمعرفة ومن لم يتعرض وكان من عرض له بشيء نجبه (١) وقبحه الى ان كان من اراد الخطوة لديه من اخوانه يوجهه تصديقه في انكاره وتكذيب من ظن به غير ذلك فسر بهذا ولعهدي به يوماً قاعداً ومعه بعض من كان يعرض له بما في ضميره وهو ينتهي غاية الانشاء اذا اجتاز بهما الشخص الذي كان يتم بعلاقته فما هو الا ان وقمت عنه على محبوبه حتى اضطرب وفارق هيأته الاولى واصفر لونه وتفاوتت معاني كلامه بعد حسن تثقيف فقطع كلامه المتكلم معه فلقد استدعى ما كان فيه من ذكره فقبل له ما عدا عما بدا فقال هو ما تظنون عذر من عذر وعذل من عذل ففي ذلك اقول شرأ منه :

ماعاش الا لان الموت يرحمه مما يرى من تباريح الصنى فيه
وانا اقول :

دموع الصب تسفك وستر الصب ينهك
كأن القلب اد يبدو قطرة ضمها شرك
فيا أصحابنا قولوا فان الرأي مشترك
الى كم ذا أكاتمته وما لي عنه مترك

وهذا انما يعرض عند مقاومة طبع الكتمان والتصاون الطبع المحب وغلبته فيكون صاحبه متحيراً بين نارين محرقين وربما كان سبب الكتمان ابقاء المحب على محبوبه وان هذا لمن دلائل الوفاء وكرم الطبع وفي ذلك اقول :

درى الناس أني فتى عاشق كئيب معنى ولكن بمن
اذا عابنوا حالي ايقنوا وان فقتشوا رجعوا في الظن
كخط يرى رسمه ظاهراً وان طلبوا شرحه لم بين

كصوت حمام على ايكبة يرجع بالصوت في كل فن
تلد بفحواه أسمعنا ومعناه مستعجم لم يين
يقولون بالله سم الذي نفى حبه عنك طيب الوسن
وهيأت درن الذي حاولوا ذهاب العقول وخوض الفتن
فهم ابدأ في احتلاج الشكوك بظن كقطع وقطع كظن

وفي كتمان السر اقول قطعة منها :

للسر عندي مكان لو يحل به حي اذا لا اهتدى رب المنون له
اميته وحياة السر ميته كما سرور المعنى في الهوى الوله
وربما كان سبب الكتمان توقي الحب على نفسه من اظهار سره لجلالة
قدر المحبوب

(خبر) ولقد قال بعض الشعراء بقرطبة شعراً تغزل فيه بصبح ام المؤيد
رحمه الله فغنت به جارية ادخلت على المنصور محمد ابن ابي عامر لابتاعها
فامر بقتلها

(خبر) وعلى مثل هذا قتل احمد بن مغيث واستئصال آل مغيث والتسجيل
عليهم الا يستخدم بواحد منهم ابدأ حتى كان سبباً لهلاكهم وانقراض بيتهم فلم
يبق منهم الا الشريد الفال وكان سبب ذلك تغزله باحدى بنات الخلفاء ومثل
هذا كثير ويحكى عن الحسن بن هاني انه كان مغرمًا بحب محمد بن هارون
المعروف بابن زبيدة واحس منه ببعض ذلك فاتهّره على أدامة النظر اليه فذكر
عنه انه قال انه كان لا يقدر ان يديم النظر اليه الا مع غلبة السكر على محمد
وربما كان سبب الكتمان الا ينفر المحبوب او ينفر به فاني أدري من كان
محبوبه له سكناً وجليساً ولو باح باقل سبب من انه يهواه لكان منه مناط
التزيا قد تملت نجومها وهذا ضرب من السياسة ولقد كان يبلغ من انبساط
هذا المذكور مع محبوبه الى فوق الغاية وابعد النهاية فما هو الا ان باح اليه

بما يجد صار لا يصل الى التافه السير مع التيه ودالة الحب وتمنع الثقة بملك
الفؤاد وذهب ذلك الانبساط ووقع التصنع والتجني فكان اخاً فصار عبداً
ونظيراً فعاد اسيراً ولوزاد في برحه شيئاً الى ان يعلم خاصة المحبوب ذلك لما
رآه الا في الطيف ولا نقطع القليل والكثير ولعاد ذلك عليه بالضرر وربما كان
من اسباب الكتمان الحياء الغالب على الانسان وربما كان من اسباب الكتمان
ان يرى الحب من محبوه انحرافاً وصدأ ويكون ذا نفس ابيه فيستتر بما يجد لئلا
يشمت به عدو او يريهم ومن يحب هوان ذلك عليه

﴿ باب الاذاعة ﴾

وقد تعرض في الحب الاذاعة وهو من منكر ما يحدث من اعراضه ولها
اسباب منها ان يريد صاحب هذا الفعل ان يتري بزي المحين ويدخل في
عدادهم وهذه خلافة لاترضي وتخليج بعض ودعوى في الحب زائفة وربما
كان من اسباب الكشف غلبة الحب وسور الظهر على الحياء فلا يملك الاسان
حينئذ لنفسه صرفاً ولا عدلاً وهذا من ابعاد عاتات العشق وافوى تحمكه على
العقل حتى يمثل الحسن في تمثال الفبيح والفبيح في هيئة الحسن وهنالك يرى
الخير شراً والشر خيراً وكَم من مصون السر مسبل الفناء مسدول العطاء فد
كشف الحب ستره واباح حريمه واهمل حاد فصار بعد النصاية علماً وبعد
السكون مثلاً وأحب شيء اليه النصيحة بما لو مثل له قبل اليوم لاعتراف النافس
عن ذكره ولطالت استعاذته منه فسهل ما كان وعراً وهان ما كان عريراً
ولان ما كان شديداً ولعهدي بقى من سروات الرجال وعليه اخواني قد دهي
بمجة جارية مقصورة فلم بها وقطعه حبها عن كثير من مصالحه وظهرت آيات
هوان لكل ذي بصر الى ان كانت هي تعذله على ما ظهر منه مما يفوده
اليه هوى .

(خبر) وحدثني موسى بن عاصم بن عمرو قال كنت بين يدي ابي الفتح والدي رحمه الله وقد امرني بكتاب اكتبه اذ لحت عيني جارية كنت اكلف بها فلم املك نفسي ورميت الكتاب عن يدي وبادرت نحوها وبهت ابي وظن انه عرض لي عارض ثم راجعني عقلي فمسحت وجهي ثم عدت واعتذرت بانه غلبني الرعاف واعلم ان هذا داعية نفاق المحبوب وفساد في التدبير وضعف في السياسة وما شيء من الاشياء الا والمأخذ فيه سنة وطريقة متى تعداها الطالب او خرق في سلوكها انعكس بعمله عليه وكان كدءه عناء وتمعه هباءً وبخمه زيادة وكلما زاد عن وجه السيرة المحرفاً وفي تجنبها اغرافاً وفي غير الطريق ايغالا ازداد عن بلوغ مراده بعداً وفي ذلك اقول قطعة منها :

ولا تسع في الامر الجسم تهازئاً ولا تسع جهراً في السير تريده
وقال افانين الرمان متى يرد عليك فان الدهر جم وروده
فاشكالها من حسن سمك يكفك السير بغير والشريد شريده
الم تبصر المصباح اول وقده واشعاله بالنفخ يطفأ وقوده
وان ينصرم لفحه ولهيه فنفخك يذكىه وتبدو مدوده

(خبر) واني لاعرف من اهل قرطبة من ابناء الكتاب وجلة الخدمة من اسمه احمد س فتح كنت اعهد كثير التصاون من بغاة العلم وطلاب الادب يبرز اصحابه في الانقباض وبفوت في الدعة لا يظهر الا في حلقة فضل ولا يرى الا في محفل مرضي محمود المذاهب جميل الطريقة بائناً بنفسه ذاهباً بها ثم ابعدت الاقدار داري من داره فأول خبر طراً علي بعد اطاعتني شاطبة انه خلع عذاره في حب فتى من ابناء الفتانين يسمى ابراهيم بن احمد اعرفه لاستأهل صفاء محبة من بيته خير وتقدم واموال عريضة ووفر تالد وصح عندي انه كشف رأسه وادى وجهه ورمى رسنه وحسر محياه وثمر عن ذراعيه وصمد صمد الشهوة نصار حديثاً للسمار ومدافعاً بين نقلة الاخبار وتهودي ذكره في

الاقطار وجرت نقلته في الارض راحلة بالتعجب ولم يحصل من ذلك الا على كشف الغطاء واذاعة السر وشنعة الحديث وفتح الاحدثة وشروء محبوه عنه حجة والتحذير عليه من رؤيته البتة وكان غنياً عن ذلك وبمندوحة واسعة ومعزل رحب عنه ولو طوى مكنون سره واخفى بليات ضميره لاستدام لباس العافية ولم ينهج (١) برد الصيانة ولما كان له في لقاء من يلي به ومحادثه ومجالسته امل من الآمال وتعلل كاف وان حبل الغدر ليقطع به والحجة عليه قائمة الا ان يكون مختلطاً في تميزه او مصاباً في عقله بحليل مافدحه فربما آل ذلك لغدر صحيح واما ان كانت بقية او ثبتت مسكة فهو ظالم في تعرضه ما يعلم ان محبوه يكرهه ويتأذى به هذا غير صفة اهل الحب وسيأتي هذا مفسراً في باب الطاعة ان شاء الله تعالى

﴿ ومن اسباب الكشف وجه ثالث ﴾

وهو عند اهل القول وجه مردول وفعل ساقط وذلك ان يرى المحب من محبوه غدرأ او مللا او كراهة فلا يجد طريق الاتصاف منه الا بما ضرره عليه اعود منه على المقصود من الكشف والاشتهار وهذا اشد العار واقبح الشنار واقوى بشواهد عدم العقل ووجود السخف وربما كان الكشف من حديث ينتشر واقوايل تفشو وتوافق قلة مبالاة من المحب بذلك ورضى بظهور سره اما لالعجاب واما لاستظهاره على بعض ما يؤمله وقد رأيت هذا الفعل لبعض اخواني من ابناء القواد وقرأت في بعض اخبار الاعراب ان نساءهم لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه وبجهره ويعلن وينوه بذكرهن ولا ادري ما معنى هذا على انه يذكر عنهن العفاف واي عفاف مع امرأة اذ اقصى منهاها وسرورها الشهرة في هذا المعنى

(باب الطاعة)

ومن عجيب مايقع في الحب طاعة الحب لمحبوبه وصرفه طباعه قسراً الى طماع من يحبه ربما يكون المرء شرس الخالق صعب الشكيمة جروح القياد ماضي الغزمية حي الف ابى الحسف فما هو الا ان يتسم نسيم الحب ويتورط غمره ويوم في بحره عادت الشراسة لياً والصعوبة سهلة والمضاء كلاله والحمية استسلاماً وفي ذلك اقول قطعة منها :

فهل للوصال النسا معاد وهل لتصاريف ذا الدهر حد
فقد اصبح السيف عبدالقضيبي واضحي الغزال الاسير أسد
واقول شعراً منه :

واي وان تكتب لاهون هالك كذائب نقرزل من يدجهيد
على ان قتلي في هواك لذادة فيا عجباً من هالك متلذذ
ومنها :

ولو اصرت انوار وجهك فارس لاغناهم عن هرمزان وموبذ
وربما كان المحبوب كارهاً لظهار الشكوى متبرماً بسماع الوجد فترى المحب حينئذ يكتن حزنه ويكظم اسفه وينطوي على علته وان الحبيب متجن فغندها يقع الاعتذار عند كل ذنب والاقرار بالحرمة والمرء منها بريء تسلياً لقوله وتركاً لخالفته واني لاعرف من دهي بمثل هذا فما كان ينفك من توجيه الذنوب نحوه ولاذنب له وابقاع العتاب عليه والسخط وهو نقي الجلد واقول شعراً الى بعض اخواني ويقرب مما نحن فيه وان لم يكن منه :

وقد كنت تلقاني بوجه لقربه تدان وللهجران عن قربه سخط
وما تكره العتب اليسير سجتي على انه قد عيب في الشعر الوخط

فقد يتعب الانسان في الفكر نفسه وقد يحسن الحيلان في الوجه والنقط
ترين اذا قلت ويفحش امرها اذا افطمت يوماً وهل يحمد الفرط
ومنه :

اعنه فقد اضحى لفرط همومه يبكي اذ القرطاس والحبر والخط
ولا يقول قائل ان صبر الحب على دلة المحبوب دناة في النفس فقد اخطأ
وقد علمنا ان المحبوب ليس له كفو ولا نظيراً فيقارض باذاه وليس سبه وحفاده
مما يعير به الانسان ولا يبق ذكره على الاحقاب ولا يقع ذلك في مجالس الخلفاء
ولا في مقاعد الرؤساء فيكون الصبر مستجرة المذلة وضراعة قائدة للاستهانة
فقد ترى الانسان بكلف بامته التي يملك رقبا ولا يحول حائل بينه وبين التعدي
عليها فكيف الانتصار منها وسبل الامتناع من السبب غير هذه انما دلاء بين
علية الرجال الذين تحصل انفسهم وتنتع معاني كلامهم فتوجه لها الوحود
البعيدة لانهم لا يوقعوها سدى ولا يلفونها هملاً واما المحبوب فصعدة ثابة وفصيب
مناد يحفون ويرضى متى شاء لالمنى وفي ذلك اقول :

ليس التذلل في الهوى يستدكر فالحب فيه يخضع المستدكر
لا تعجبوا من دلتى في حالة قد دل فيها قبلي المستبصر
ليس الحبيب ثمانلاً ومكافياً فيكون صبرك دله اذ تصبر
تماحة وقعت فآلم وقوعها هل قطعها منك انتصاراً ، دكر

(خبر) وحدثني ابو دلف الوراق عن مسلفة ابن احمد الفيلسوف المعروف
بالمريطي انه قال في المسجد الذي شرقي مغرة فريش بقرطبة المواري لدار
الوزير ابن عمرو احمد بن محمد بن حنبل رحمه الله في هذا المسجد كان
مقدم بن الاصغر مريضاً ايام حداته ، شفى بعجيب فتى الورد اني عمرو
المذكور وكان يترك الصلاة في مسجد مسرور وها كان سكناه وبغصد في الليل
والنهار الى هذا المسجد بسبب عجب حتى اخذه الحرس غير ما مرة في الليل

في حين انصرفه عن صلاة العشاء الآخرة وكان يقعد وينظر منه الى ان كان القتي يفصب ويصجر ويقوم اليه فيوجهه ضرباً ويلطم خديه وعينه فيسر برك وفعل هذا والله اقصى امنيتي والآن قرت عيني وكان على هذا زماناً يماشيه قال ابو دلف واند حدثنا مسلم بهذا الحديث غير مرة بحضرة عجب عندما كل يرى من وجهة مقدم بن الاصغر وعرض جاهه وعافيته فكانت حال مقدم بن الاصغر هذا قد جلت جداً واختص بالمظفر اس ابى عامر اختصاصاً شديداً واتصل بوالدته واهله وحرى على يديه من بنيان المساجد والسقايات وتسجيل وحوه الخير غير قليل مع تصرفه في كل ما يتصرف فيه انخواب السلطان من العناية بالناس وغير ذلك

(خر) واشنع من هذا انه كانت لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة في جامع فرطية ايام الحكم المستنصر بالله رحمه الله جارية يحبها حباً شديداً ففرص عليها ان يعقها ونزوحها فقاتل له ساخرة به وكان عظيم اللجة ان لحيتك استشع عظمها فان حدوث منها كان مازعه فاعمل الحلمين فيها حتى لطفت ثم دعا بمحاجة شهود واشهدهم على عنقها ثم خطبها الى نفسه فلم ترض به وكان في حملة من حضر اخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر اعرض عليها اني احطها انا فعمل فاحات اليه فزوجها في ذلك المجلس بعينه ورضي بهذا العار الفادح على ورءه وسكبه واحتجاده فانا ادركت سعيداً هدا وقتله البربر يوم دخولهم قرطبة عمرة واتهامهم اياها وحكم المذكور اخوه هو رأس المتزلة بالاندلس وكبيرهم واستادهم ومكلمهم وناسكهم وهو مع ذلك شاعر طيب وقفيه وكان اخوه عبد الملك بن منذر متهماً بهذا المذهب ايضاً ولي خطبة الري الرد ايام الحكم رضي الله عنه وهو الذي صله المنصور بن ابى عامر اد اتهمه هو وجماعة من القضاة وانصاة قرطبة اهم باباوس سرأ لعبد الرحمن بن عبيد الله بن امير المؤمنين الناصر رضي الله عنهم فقتل عبد الرحمن وصاب عبد الملك بن منذر ودد شمل جميع

من اثمهم وكان ابوهم قاضي القضاة منذر ابن سعيد متهماً بتذهب الاعتزال ايضاً وكان اخطب الناس واعلمهم بكل فن واورعهم واكثرهم هزلاً ودعابة وحكم المذكور في الحياة في حين كتابتي اليك بهذه الرسالة قد كف بصره وأسن جداً

(خبر) ومن عجيب طاعة الحب لمحوبه اني اعرف من كان سهر الليالي الكثيرة ولقي الجهد الجاهد فقطعت قلبه ضرور الوجد ثم ظفر بمن يحب وليس به امتناع ولا عنده دفع فحين رأى منه بعض الكراهة لما نواه تركه وانصرف عنه لاتعنفاً ولا تخوفاً لكن توقفاً عند موافقته رضاه ولم يجد من نفسه معينا على اتيان ما لم ير له اليه نشاطاً وهو يجد ما يجد واني لاعرف من فعل هذا الفعل ثم تندم وتعذر ما ظهر من المحبوب فقلت في ذلك :

غافص (١) الفرصة واعلم انها كمضي البرق تمضي الفرص
كم امور امكنت امهلها هي عندي اذ تولت غصص
بادر الكنز الذي الفيته واتهز صبراً كباز يقصص

ولقد عرض مثل هذا معنيه لابي المظفر عبد الرحمن ابن احمد بن محمود صديقنا وانشدته اياتاً لي فطار بها كل مطار واخذها مني فكان هجره
(خبر) ولقد سألتني يوماً ابو عبد الله محمد بن كليب من اهل القيروان ايام كوني بالمدينة وكان طويل اللسان جداً متقناً للسؤال في كل فن فقال لي وقد جرى بعض ذكر الحب ومعانيه اذا كرهه من احب لقائي وتجنب قربي فما اصنع قلت ارى ان تسعى في ادخال الروح على نفسك بلفائه وان كره فقال لكبي لا ارى ذلك بل اؤثر هواه على هواي ومراده على مرادي واصبر واصبر ولو كان في ذلك الحنف فقلت له اني انما احبته انسي ولا تندادها بصورته

(١) غافصة غفاصاً ومفاصة : فاجأه واخذته على غرة منه

فانا اتبع قياسي واقود اصلي واقفو طريقي في الرغبة في سرورها فقال لي هذا ظلم من القياس اشد من الموت ماتمني له الموت واعز من النفس ما بذلت له النفس فقلت له ان بذلك نفسك لم يكن اختياراً بل كان اضطراراً ولو أمكنك الا تبذلها لما بذلتها وتركت لقائه اختياراً منك انت فيه ملوم لاضرارك بنفسك وإدخالك الحنف عليها فقال لي انت رجل جدلي ولا جدل في الحب يلتفت اليه فقات له اذا كان صاحبه مأوفاً (١) فقال واي آفة اعظم من الحب .

﴿ باب المخالفة ﴾

وربما اتبع الحب شهوته وركب رأسه فبلغ شفاءه من محبوه وتعمد مسرته منه على كل الوجوه سخط اورضي ومن ساعده على الوقت هذا وثبت جناحه واتيحت له الاقدار استوفى لذته جميعها وذهب غمه وانقطع همه ورأى امله وبلغ مرعوبه وقد رأيت من هذه صفته وفي ذلك اقول ابياتاً منها :

اذا انا بلغت نفسي المنى من رشأ ما زال لي ممرضاً
فما أبالي الكره من طاعة ولا أبالي سخطاً من رضا
اذا وجدت الماء لا بد أن أطفي به مشعل جمر الغضا

﴿ باب العاذل ﴾

ولايحب آفات فأولها العاذل والعاذل اقسام فأصلهم صديق قد اسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه فعذله افضل من كثير المساعدات وهي من الحظ والنهي وفي ذلك زاجر للنفس عجيب وتقوية لطيفة لها عرض وعمل ودواء تشتد عليه الشهوة ولاسيما ان كان رفيقاً من قوله حسن التواصل الى ما يرد من المعاني

بلفظه عالماً بالاوقات التي يؤكد فيها النهي وبلاحيان التي يزيد فيها الامر والساعات التي يكون فيها وقدماً بين هذين على قدر ما يرى من تسهيل العاشق وتوعره وقبوله وعصيانه ثم عادل زاجر لا يفيق ابداً من الملامة وذلك خطب شدد وعند ثقيل ووقع لي مثل هذا وان لم يكن من جنس الكتاب ولكنه يشبهه وذلك ان ابا السري عمار بن رباد صديقنا اكثر من عذلي على نحو نحوته واعان على بعض من لامني في ذلك الوجه ايضاً وكنت اظن انه سيكون معي محطناً كنت اومصياً لو كيد صداقتي معه وصحيح اخوتي به ولقد رأيت من اشد وجده وعظم كلمه حتى كان العذل احب شيء اليه ايرى العادل عصياناً ويستأذ مخالفته ويحصل مقاومته اللائمة وعلبته اياه كالملك الهازم لعدوه والمحادل الماهر الغالب لحصمه ويسر بما يقع منه في ذلك وربما كان هذا المستجلب لعدل العادل باشياء يوردها توجب ابتداء العذل وفي ذلك اقول ابائاً منها :

احب شيء الى اللوم والعدل كي اسمع اسم الذي ذكره لي امل
كأنني شارب بالعدل صافية وناسم مولاي هذا الشرب اتقل

(باب المساعد من الاخوان)

ومن الاسباب انتمناة في الحب ان يهب الله عز وجل للانسان صديقاً مخلصاً لطيف القول بسيط الطول حسن المأخذ دقيق المنفذ متمكن البيان مرهف الانسان حليل الحلم واسع العلم قليل الخالصة عظيم المساعدة شديد الاحتمال صاراً على الادلال حم الموافقة حيل الخفاة مستوى المطابقة محمود الخلائق مكشوف الموائف محتوم المساعدة كارهاً للمساعدة نبيل المداخل مصروف العوائل عامص المعاني عارفاً بالاماني طيب الاخلاق سري الاعراق مكتوم السر كثير البر صحيح الامانة مأمون الحياة كريم النفس نافذ الحس صحيح الحدس مضمون

العون كامل الصون مشهور الوفاء ظاهر الغناء ثابت القرينة مبذول النصيحة مستيقن الوداد سهل الانقياد لحسن الاعتقاد صادق اللهجة خفيف المهجة عفيف الطباع رحب الذراع واسع الصدر متخلقاً بالصبر يألف الاحصاء ولا يعرف الاعراض يستريح اليه ببلايه ويشاركه في خلوة فقره ويفاوضه في مكتوماته وإن فيه للمحب لاعظم الراحة وإين هذا فإن ظفرت به يداك فشدهما عليه شد الضنين وامسك بهما امساك البخيل وصنه بطارفك وتلك فمعه يكمل الاس وتنجلي الاحزان ويقصر الزمان وتطيب الاحوال ولن يفقد الانسان من صاحب هذه الصفة عوناً جميلاً ورأياً حسناً ولذلك اتخذ الملوك الوزراء والدخلاء كي يخففوا عنهم بعض ما حلوه من شدد الامور وطوقوه من ناهض الاحمال واكي يستغنوا بأرأهم ويستمدوا بكفائهم والافليس في قوة الطبيعة ان نفاوم كل ما يرد عليها دون استعانة بما يشاكلها وهو من جنسها ولقد كان بعض الحيين لعدمه هذه الصفة من الاخوان وفاة ثقته منهم لما جربه من التمس وانه لم يعدم من ناح اليه بشيء من سره احد وجهين اما ازراء على رأيه واما اداعة لسره اقام الوحدة مقام الانس وكان ينفرد في المسكان المازح عن الانيس ويناحي الهوى ويكلم الارض ويحمد في ذلك راحة كما يحمد المريض في النأوه والمحزون في الرفير فان الهموم اذا ترادفت في القلب ضاق سب فان لم يرض منها شيء باللسان ولم يسترح الى الشكوى لم يلبث ان يهلك غماً ويموت اسفاً وما رأيت الاسعاد اكثر منه في النساء فعندهن من المحافظة على هذا الشأن والتواصي بكنهاه والتواطيء على طيه اذا اطلعن عليه مالميس عند الرجال وما رأيت امرأة كشفت سر متحابين الا وهي عند النساء ممقوتة مستثناة مرمية عن قوس واحدة وانه لا يوجد عند العجائز في هذا الشأن مالا يوجد عند الفتيات لان الفتيات منهن ربما كشفتن ما لهن على سبيل التفسير وهذا

لا يكون الا في الندرة واما العجائز فقد يؤسن من انفسهن فانصرف الاشفاق محضاً الى غيرهن

(خبر) واني لاعلم امرأة موسرة ذات جوار وخدم فشاع على احدى جواربها انها تعشق فتى من اهلها ويعشقها وان بينهما معان مكروهة وقيل لها ان جاريتك فلانة تعرف ذلك وعندها جلبة امره فاخذتها وكانت غليظة العقوبة فاذاقتها من انواع الضرب والاذاء مالا يصر على مثله جلداء الرجال رجاء ان تبوح لها بشيء مما ذكر لها فلم تفعل البتة

(خبر) واني لاعلم امرأة جليلة حافظة لكتاب الله عز وجل ناسكة مقبلة على الخير وقد طفرت بكتاب لفتى الى جارية كان يكلف بها وكان في غير ملكها فعرفته الامر فرام الانكار فلم يتبأ له ذلك فقالت له مالك ومن ذا عصم فلا تبالي بهذا فوالله لا اطلمت على سر كما احداً ابداً ولو امكنتني ان ابتاعها لك من مالي ولو احاط به كله لجعلتها لك في مكان تصل اليها فيه ولا يشعر بذلك احد وانك لترى المرأة الصالحة المسنة المنقطعة الرجاء من الرجال واحب اعمالها اليها وارجاها للقبول عندها سعيها في تزويج يتيمة واعارة ثيابها وحلبها لعروس مقلة وما اعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء الا انهن متفرغات البال من كل شيء الا من الجماع ودواعيه والغزل واسبابه والتألف ووجوهه لاشغل لهن غيره ولا خلقن لسواء والرجال مقتسمون في كسب المال وصحبة السلطان وطلب العلم وحياطة العيال ومكابدات الاسفار والصيد وضروب الصناعات ومباشرة الحروب وملافاة الفتن وتحمل المخاوف وعمارة الارض وهذا كله متحيف للفراغ صارف عن طريق البطل وقرأت في سير ملوك السودان ان الملك منهم يوكل ثقة له بنسائه يلقي عليهن ضريبة من غزل الصوف يشتغلن بها ابد الدهر لانهم يقولون ان المرأة اذا بقيت بغير شغل انما تشوق الى الرجال وتحن الى النكاح ولقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري لاني

ربيت في حجورهن ونشأت بين ايديهن ولم اعرف غيرهن ولا جالست الرجال الا وانا في حد الشباب وحين يتقبل وجهي وهن علمني القرآن ورويتني كثيراً من الاشعار ودربتني في الحُط ولم يكن وكدي واعمال ذهني مذ اول فهمي وانا في سن الطفولة جداً لا اعرف اسبابهن والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك وانا لانسى شيئاً مما اراه منهن واصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها وسؤ ظن في جهن فطرت به فاشرفت من اسبابهن على غير قليل وسيأتي ذلك مفسراً في ابوابه ان شاء الله تعالى

﴿ باب الرقيب ﴾

ومن آفات الحب الرقيب وانه لمحي باطنة وبرسام ملح وفكر مكب والرقباء اقسام فاولهم مثقل بالجلوس غير متمعد في مكان اجتمع فيه المرء مع محبوبه وعزما على اظهار شيء من سرهما والبرح بوجودهما والانفراد بالحدبث ولقد يعرض للمحب من القلق بهذه الصفة ما لا يمرض له مما هو اشد منها وهذا وان كان يزول سريعاً فهو عائق حال دون المراد وقطع متوفر الرجاء (خبر) ولقد شاهدت يوماً محبين في مكان قد ظنا انهما انفردا فيه وتأهبا للشكوى فاستجلبا ما هما فيه من الحلوة ولم يكن الموضع حمى فلم يلبثا ان طلع عليهما من كانا يستقلانه فرأى فعدل الي واطال الجلوس معي فلو رأيت الفتى المحب وقد تمازج الاسف البادي على وجهه مع الغضب لرأيت عجباً وفي ذلك اقول قطعة منها :

يطيل جلوساً وهو اثقل جالس وييدي حديثاً لست ارضى فنونه
شمام ورضوى واللكام ويدبل ولبنان والضمان والحرب دونه
نم رقيب قد احس من امرهما بطرف وتوجس من مذهبهما شيئاً فهو يريد
ان يستبري حقيقة ذلك فيدمن الجلوس ويطيل القمود ويتخفى بالحركات ويرمق

الوجوه ويحصل الانقاس وهذا اعدا من الحرب واني لاعرف من هم ان
يادش رقيماً هذه صفته وفي ذلك اقول قطعة منها :

مواصل لايب (١) قصداً اعظم بهذا الوصال غماً
صار وصرنا لفرط ما لا يزول كالاسم والمسم

ثم رقيب على المحبوب فذلك لاحيلة فيه الابتضية واذا ارضى فذلك غاية
اللذة وهذا الرقيب هو الذي ذكرته الشعراء في اشعارها ولقد شاهدت من تلتف في
استرضاء رقيب حتى صار الرقيب عليه رقيماً له ومتغافلاً في وقت التغافل ودافماً
عنه وساعياً له ففي ذلك اقول :

ورب رقيب ارقبوه فلم يزل على سيدي عمداً ليعدني عنه
فما زالت اللطاف تحكم أمره الى ان غدا خوفي له آمناً منه
وكان حساماً سل حتى يهدي فعاد محباً مانعته كنه
واقول قطعة منها :

صار حياة وكان سهم ردى وكان سماً فصار درياقاً (٢)
واني لاعرف من رقب على بعض من كان يشفق عليه رقيماً وثق به عند
نفسه فكان اعظم الآفة عليه واصل البلاء فيه واما اذا لم يكن في الرقيب حيلة
ولا وجد الى ترضيه سبيل فلا طمع الا بالاشارة بالعين همساً وبالالحاجب احياناً
والتعريض اللطيف بالقول وفي ذلك متعة وبلاغ الى حين يقنع به المشتاق وفي
ذلك اقول شعراً اوله :

على سيدي مني رقيب محافظ وفي لمن والاه ليس بناكث
ومنه :

ويقطع اسباب اللبابة في الهوى ويفعل فيها فعل بعض الحوارث

كأن له في قلبه ربة ترى وفي كل عين مخبر بالأحداث
ومنه :

على كل من حولي رقيان رتبا وقد خصني ذو العرش منهم بثالث
واشنع ما يكون الرقيب اذا كان ممن امتحن بالعشق قديماً ودهي به وطالت
مدته فيه ثم عري عنه بعد إحكامه لمعانيه فكان راغباً في صيانة من رقب عليه
فتبارك الله اي رقيب يأتي منه واي بلاء مصبوب يحل على اهل الهوى من
جهته وفي ذلك اقول :

رقيب طالما عرف الغراما وقاسى الوجد وامتنع المناما
ولافى في الهوى المأ ألياً وكاد الحب يورده الحماما
وأتمن حيلة الصب المعنى ولم يصع الاشارة والكلاما
واعقبه التسلي بعد هذا وصار يرى الهوى عاراً وذاماً (١)
وصير دون من اهوى رقيباً ليبعد عنه صبا مستهاما
فأي بلية صبت علينا واي مصيبة حلت لماما
ومن طريق معاني الرفاء اني اعرف محبين مذهبهما واحد في حب محبوب
واحد بعينه فلههدي بهما كل واحد منهما رقيب على صاحبه وفي ذلك اقول :
صبان هيان (٢) في واحد كلاهما عن خدنه منحرف
كالكلب في الأرى (٣) لا يتلف ولا ينجي الغير ان يعترف

(١) الزام العيب . ومنه المثل : لاتعدم الحسناء ذاما

(٢) رجل هيان محب شديد الوج.

(٣) في المختار : مما يضعه الناس في غير موضعه قولهم للمعلف آرى وانما

الأرى محبس الدابة

﴿ باب الواشي ﴾

ومن آفات الحب الواشي وهو على ضررين أحدهما واش يريد القطع بين المتحايين فقط وإن هذا لا يُفترهما (١) سواءً تلى أنه السم الذعاف والصاب الممقر (٢) والحتف القاصد والبلاء الوارد وربما لم ينجع ترقيشه (٣) وأكثر ما يكره الواشي فالى المحبوب وأما المحب فهذهات: حال الجريض دون القريض. ومنع الحرب من الطرب شغله بما هو مانع له من استماع الواشي وقد علم الوشاة ذلك وإنما يقصدون الى الحلي البال الصائل بحوزة الملك المتعقب عند أقل سبب وإن للوشاة صروباً من التنفيل فمها أن يذكر للمحبوب عمن يحب أنه غير كاتم للسر وهذا مكان صعب المماناة بطيء البرء إلا أن يوافق معارضاً للمحب في محبته وهذا أمر يوجب التفار فلا فرح للمحبوب إلا أن تساعد الأقدار بالاطلاع على بعض أسرار من يحب. بعد أن يكون المحبوب ذا عقل وله حظ من تمييز ثم يدعه والمطاوله فإذا تكدر عدده نقل الواشي مع ما أظهر من الجفاء والتحفظ ولم يسمع لاسره إذاعة علم أنه أما زور له الباطل واضمحل ما قام في نفسه ولقد شاهدت هذا بعينه لبعض المحبين مع بعض من كان يحب وكان المحبوب شديد المراقبة عظيم الكتمان وكثر الوشاة بينهما حتى ظهرت اعلام ذلك في وجهه وحدث في حب لم يكن وركبته رحمة وأظلمت فكرته ودممته حيرة الى أن ضاق صدره ونابح بما نقل اليه فلو شاهدت مقام المحب في اعتذاره لعلمت أن الهوى سلطان مطاع وبناء مشدود الاواخي (٤) وسنان نافذ وكان اعتذاره بين الاستسلام والاعتراف والاسكار والتوبة والرمي بالمقاييد فبعد لأيي ما صليح

(١) يريد أقلهما اساءة واخفهما شراً (٢) أمقر صار مرأً (٣) رقتش كلامه رقتشاً زوقه ورخرفه (٤) كناية عن قوته ومثانة اساسه

الامر بينهما وربما ذكر الواشي ان ما يظهر الحب من المحبة ليست بصحيحة وان مذهبه في ذلك شفاء نفسه وبلوغ وطره وهذا فصل وان كان شديداً في النقل فهو ايسر معاناة مما قبله فحالة الحب غير حالة التلذذ وشواهد الوجد متفرقة بينهما وقد وقع من هذا نبد كافية في باب الطاعة وربما نقل الواشي ان هوى العاشق مشترك وهذه النار المحرقة والوجع الفاشي في الاعضاء واذا وافق الناقل لهذه المقالة ان يكون الحب فنى حسن الوجه حلو الحركات مرغوباً فيه مائلاً الى اللذات دنيوي الطبع والمحجوب امرأة جليلة اتقدر سرية المنصب فاقرب الاشياء سببها في اهلاكه وتصديها لحتفه فكم صريع على هذا السبب وكم من سقى السم فنطع أمعاء لهذا الوجه وهذا كانت ميتة مروان بن احمد ابن حدير والد احمد المتنكس وموسى وعبد الرحمن المعروفين بابي لبني من قبل قطر فالتدى جاريته وفي ذلك اقول محذراً لبعض اخواني قطعة منها :

وهل يأمن النسوان غير مغفل جهول لاسباب الردى متأرض

وكم وارد حوضاً من الموت اسود ترشفه من طيب الطعم ابيض

والثاني واش يسعى للقطع بين المحبين لينفرد بالمحجوب ويستأثر به وهذا اشد

شيء واقطعه واجزم لاجتهاد الواشي واسفاده جهده ومن الوشاة جنس

ثالث وهو واش يسعى بهما جميعاً ويكشف سرهما وهذا لا ياتفت اليه اذا كان

الحب مساعداً

وفي ذلك اقول :

عجبت لو اش ظل يكشف امرنا وما سوى اخبارنا يتنعس

وماذا عليه من عنائي ولوعتي أنا آكل الرمال والولدي يصرس

ولا بد أن اورد ما يشبه ما نحن فيه وان كان خارجاً منه وهو شيء في بيان

التنقيط والنائم فالكلام يدعو بعضه بعضاً كما شرطنا في اول الرسالة وما في جميع

الناس شر من الوشاة وهم الهامون وان النميعة لطبع يدل على نهن الاصل

ورداءة الفرع وفساد الطبع وخبث النشأة ولا بد لصاحبه من الكذب . والنسيمة
فرع من فروع الكذب ونوع من انواعه وكل نمام كذاب وما احببت كذاباً
قط وإني لاسامح في اخاء كل ذي عيب وان كان عظيماً واكل امره الى خالقه
عز وجل وأخذ ماظهر من اخلاقه حاشى من اعلمه يكذب فهو عندي ماح
لكل محاسنه ومغف على جميع خصاله ومذهب كل مافيه فما ارجو عنده خيراً
اصلاً وذلك لان كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل دأماً (١) فقد يمكن
الاستتار به والتوبة منه حاشا الكذب فلا سبيل الى الرجعة عنه ولا الى
كتمانه حيث كان وما رأيت قط ولا اخبرني من رأى كذاباً وترك الكذب ولم
يعد اليه ولا بدأت قط بقطيعة دي معرفة الا ان اطلع له على الكذب فحينئذ
أكون انا القاصد الى مجانبته والمعرض لمماركته وهي سمة مارأيتها قط في احد
الا وهو مزنون (٢) في نفسه اليه بشق مغموز عليه لعاهة سوء في داته يعود بالله
من الخذلان وقد قال بعض الحكماء آخ من شئت واحتنت ثلاثة . الاحق عانه
يريد ان ينفعك فضره . والملول فانه 'وثق ماتكون به لطول الصجبة وتأكدها
خذلك . والكذاب فانه يحبني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لاتشعر . وحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (حسن العهد من الايمان) وعنه عليه السلام
(لا يؤمن الرجل بالايمان كله حتى يدع الكذب في المزاج) حدثنا بهما ابو عمر
احمد بن محمد عن محمد بن علي بن رفاعة عن علي بن عبد العزيز عن ابي عبيد القاسم
ابن سلام عن شيوخه والآخر منهما مسد الى عمر بن الخطاب وانه عبد
الله رضي الله عنهما والله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سئل (هل يكون المؤمن بخيلاً فقال نعم قيل فهل يكون

المؤمن جباناً فقال نعم قيل فهل يكون المؤمن كذاباً قال لا (حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد عن أحمد بن سعيد عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه عن مالك بن أنس عن صفوان بن سليم وبهذا الاسناد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ لاخير في الكذب ﴾ في حديث سئل فيه . وبهذا الاسناد عن مالك انه بلغه عن ابن مسعود انه كان يقول ﴿ لايزال العبد يكذب وينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب فيكتب عند الله من الكذابين ﴾ وبهذا الاسناد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ﴿ عليكم بالصدق فانه يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة واياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ﴾ وروى انه اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ يا رسول الله اني استر ثلاث الخمر والزنا والكذب فمروني ايهما اترك قال اترك الكذب فذهب عنه ثم اراد الرما ففكر فقال آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألني اذنيت فان قلب نعم حدني وان قلت لا نقضت العهد فتركته ثم كذلك في الخمر فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني تركت الجميع (ماالكذب اصل كل فاحشة وجامع كل سوء وجالب لمقت الله عز وجل . وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ﴿ لا ايمان لمن لا امانة له ﴾ وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ﴿ كل الحلال يطبع عليها المؤمن الا الحيانة والكذب ﴾ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ ثلاث من كن فيه كان منافقاً من اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان ﴾ وهل الكبر الا كذب على الله عز وجل والله الحق وهو يحب الحق وبالحق قامت السموات والارض وما رأيت اخزى من كذاب وما هلكت الدول ولا هلك الممالك ولا سفكت الدماء ظلماً ولا هتكت الاستار بغير النائم والكذب ولا أكدت البغضاء والاحن المردية الابناء ثم لا يحظى صاحبها الا بالملق والحزى والذل وان ينظر منه الذي ينقل اليه فضلاً عن غيره بالعين التي ينظر بها من الكلب

والله عز وجل يقول ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ ويقول جل من قائل ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ فسمى المنقل باسم الفسوق ويقول ﴿ولاطمع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم﴾ والرسول عليه السلام يقول ﴿لا يدخل الجنة قتات﴾ (١) ويقول ﴿واياكم وقاتل الثلاثة﴾ يعني المنقل والمنقول اليه والمنقول عنه والاحنف يقول ﴿الثقة لا يبلغ وحق لذي الوجهين الا يكون عند الله وجبها﴾ وهو ما يجعله من اخس الطبائع وارذلها ولي الى ابي اسحق ابراهيم بن عيسى التتفي الشاعر رحمه الله وقد نقل اليه رجل من اخواني عني كذباً على جهة الهزل وكان هذا الشاعر كثير الوهم فاغضبه وصدقه وكلاهما كان لي صديقاً وما كان الناقل اليه من اهل هذه الصفة ولكنه كان المزاح جم الرعاية فكتبت الى ابي اسحاق وكان يقول بالخبر شعراً منه :

ولا تبدل قاله قد سمعتها تقال ولا تدري الصحيح بما تدري
كمن قد اراق الماء للال ان بدا فلاق الردى في الافصح الهمه القفر
وكتبت الى الذي نقل عني شعراً منه :

ولا ترعما في الجد مزحاً كمولج فساد علاج النفس طي صلاحها
ومن كان نقل الزور امضى سلاحه كمثل الجباري (٢) تتقي بسلاحها

وكان لي صديق مرة وكثر التدخيل بيني وبينه حتى كدح ذلك فيه واستبان وجهه وفي لحظه وطبعت على التسائي والتربص والمسالمة ما امكنت ووجدت بالانخفاض سبيلاً الى معاودة المدة فكتبت اليه شعراً منه :

ولي في الذي أبدي مرام لو انها بدت ما ادعى حسن الرماية وهرز
واقول مخاطباً لعبيد الله بن يحيى الجزيري الذي يحفظ اعمه الرسائل البليغة

(١) القت نم الحديث (٢) الجباري طائر اكبر من الدجاج الاهلي

وكان طبع الكذب قد استولى عليه واستحوذ على عقله وألجبه اللغة النفس الامر
ويؤكد نقله وكذبه بالاثان المؤكدة الملاحظة مجاهرأ بها الكذب من السراب
مستهتراً بالكذب مشغوفأ به لايزال يحدث من قد صح عنده انه لا يصدقه فلا
يزجره ذلك عن ان يحدث بالكذب

بدا كل ما كتتمته بين مخبر وحال ارتني قبج عقدك ينأ
وكم حالة صارت بيانأ بحالة كما تثبت الاحكام بالحبل الزنا
وفيه اقول قطعة منها :

أثم من المرأة في كل مادري واقطع بين الناس من قصب الهند
أطن اننايا والزمان تعلمأ تحيله بالقطع بين دوي الود
وفيه ايضأ اقول من قصيدة طويلة :

واكذب من حسن الظنون حديثه واقبح من دين وفقر ملارم
أوامر رب العرش اضيع عنده وأهون من شكوى الى غير راحم
تجمع فيه كل خري وفصحة فلم سق شتا في المقال لشاتم
وأنقل من عدل على غير قابل وأبرد بردأ من مدينة سالم
وأبغص من بين وهجر ورقبة جمع على حران حيران هائم
وليس من نبه عافلا او نصح صدقأ او حفظ مسلأ او حكى عن فاسق
او حدث عن عدو ما لم يكن يكذب ولا يكذب ولا تعمد الضغائن ناقلأ وهل
هلك الصعفاء وسقط من لا عقل له الا في تلة المعرفة بالناصح من التام وهما
صفتان متفارتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن احدهما دأء والاخرى دواء
والثاقف القريحة لا يخفى عليه امرهما لكن الناقل من كان تنقله غير مرضي في
الديانة وبوى به التشتيت بين الاولياء والتضريب بين الاخوان والتحريش والتوبيش
والترقيش فمن خاف ان سلك طريق النصيحة ان يقع في طريق النميعة ولم يثق
لنقاد تميزه ومضاء تقديره فيما يردده من امور دنياه ومعاملة اهل زمانه فليجعل

دينه دليلاً له وسراجاً يستضيء به فحُبنا سلك به سلك وحيثما اوقفه وقف (كذاً)
له بالنظر رغماً بالأصانة ضمان الفلج والخلاص (كذاً) فشارع الشريعة وباعت الرسول
عليه السلام ومرتب الاوامر والنواهي اعلم بطريق الحق وادري بعواقب السلامة
ومغيبات النجاة من كل ناظر لنفسه بزعمه وياحث بقياسه في ظنه

﴿ باب الوصل ﴾

ومن وجوه العشق الوصل وهو حظ رفيع ومرتبة سرية ودرجة عالية
وسعد طالع بل هو الحياة المجددة والعيش السني والسرور الدائم ورحمة من الله
عظيمة ولولا ان الدنيا دار ممر ومحنة وكيدر والحنة دار جزاء وأمان من
المكاره لقلنا ان وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه والفرح الذي لا شائبة
فيه ولا حزن معه وكال الاماني ومتبى الاراحي ولقد جرت المذات على تصرفها
وادركت الحظوظ على اختلافها فما الدنو من السلطان ولا المال المستفاد ولا الوجود
بعد العدم ولا الآوبة بعد طول الغيبة ولا الامن بعد الخوف ولا الزوج على
المال من الموقع في النفس ما للوصل لاسمها بعد طول الامتناع وحلول المهرج
حتى يتأجيج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتصرم نار الرحاة وما اصناف
النبات بعد غب القطر ولا اشراق الازهار بعد اقلاع السحاب الساربات في
الزمان السجسج ولا خريز المياه المنحالة لافايس النوار ولا تألق القصور اليبس
قد احدثت بها الرياض الحصر بأحسن من وصل حباب قد رضيت اخلافه
وحمدت غرائره وتقابلت في الحسن اوصافه وانه لمعجز السة البلغاء ومقصر فيه
بيان الفصحاء وعنده تطيش الالباب وتعرب الافهام وفي ذلك اقول :

وسائل لي عمالي من العمر وقد رأى الشباب في الفودين والعدر
اجبته ساعة لا شيء احسه عمراً سواها يحكم العقل والنظر
فقال لي كيف ذا بينه لي ففقد اخبرني اشبع الالباء والحر

فقلت ان الذي قلبي بها علق قبلتها قبلة يوماً على خطر
فما اعد ولو طالتي سوي تلك السويعة بالتحقيق من عمري
ومن لديد ماني الوصل المواعيد وان للوعد المنتظر مكاناً لطيفاً من شعاف
الثلب وهو يسم قسمين احدهما الوعد بزيارة الحب لمحبه وفيه اقول
قطعة منها :

اسامر المدر لما ابطأت واري في نوره من سنا اشراقها عرضا
فت مشترطاً والود مختلطاً والوصل منبسطاً والهجر منقسطاً
والثاني انتظار الوعد من الحب ان يزور محبوه وان لمبادي الوصل وأوائل
الاسماف لتولجا على الفؤاد ليس لشيء من الاشياء واني لاعرف من كان
ممتحناً بهوى في بعض المنازل المصاقيه فكان يصل متى شاء بلا مانع ولا سبيل
الى غير النظر والمحادثة زماناً طويلاً لئلا متى احب ونهاراً الى ان ساعدته
الافكار باحائه ومكنته باسعاد بعد يأسه لطول المدة ولمعدي به قد كاد ان
يختلط عقله فراحاً وما كاد يتلاحق كلامه سروراً فقلت في ذلك :

برعه او الى ربي دعوتها لكان دني عند الله مغفورا
ولو دعوتها اسد الغلا لغدا اصرارها عن جميع الناس مقصورا
فخاد بالائم لي من بعد منعه فاهتاج من اوعتي ما كان مغمورا
كشارب الماء كي ظفي الغليل به فعص قانصاع (١) في الاجداث مقفورا
وقب :

حرى الحب من بحر النفس واعطيت عيني عنان الفرس
ولى سيد لم يزل نافراً ورتما جاد لي في الحلس
فقتاته طالماً راحة فراد أليلاً (٢) بقلبي اليس

وكان فؤادي كسنت هشيم ييس رمى فيه رام قبس
ومنها :

وياجوهر الصين سحفاً فقد غنيت يساقوتة الاندلس
(خبر) واني لأعرف جارية اشتد وجدها بغنى من انشاء الرؤساء وهو
لاعلم عنده وكثر غمها وطال أسفها الى ان ضنيت بحبه وهو بمرارة المصبي
لايشعر ويمتعا من ابداء امرها اليه الحياء منه لانها كانت بكراً بخاتمها مع
الاجلال له عن الهجوم عليه بما لاتدري لعله توافقه فلما نمدى الامر وكان
اليقين في النشأة شكت ذلك الى امرأة جزلة الرأي كانت تفتق بها لتوليها
تربيتها فقالت لها عرضي له بالشعر ففعلت المرة بمدة المرة وهو لاياه في كل
هذا ولقد كان لقناً دكياً لم يظن ذلك فيميل الى تنقيش الكلام بوجهه الى
أن عيل صبرها وضاق صدرها ولم تمسك نفسها في قعدة كانت لها معه في
بعض الليالي منفردين ولقد كان يلم الله عفيفاً متصانوا بعيداً عن المعاصي فلما
حان قيامها عنه بددت اليه فقبلته في فمه ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه
بكلمة وهي تهادى في مشيها كما اقول في ابيات لي :

كأنها حين تخطو في تأودها قصيب رجلة في الروص ماس
كأنما خلدها في قلب عاشقها فويه من وقعها حفر ووسواس
كأنما مشيها مشي الحمامة لا كديما ولاطؤ به باس

فبهت وسقط في يده وفث في عضده ووجد في كبده وعلته وحة فما هو
الا ان عابت عنه ووقع في شرك الردى واشتملت في قلبه النار وتصدت
انفاسه وترادفت اوجاله دكرت قلقه وطال أرقه فما غمض تلك الليالي عيناً وكان
هذا بدء الحب بينهما دهرأ الى ان جذت جملتها يد النوى وان هذا لمن
مصاد ابليس ودواعي الهوى التي لايقف لها احد الا من عصمه الله عز وجل
ومن الناس من يقول ان دوام الوصل يودي بالحب وهذا هجين من القزل

انما ذلك لأهل الملل بذ كلما زاد وصلاً زاد اتصالاً . وعني اخبرك اني مارويت
قط من ماء الوصل ولازادني الا ظمأ وهذا حكم من تدأوى برأيه وان رفه
عنه سريعاً ولقد بلغت من التمكن بمن احب ابعد الغايات التي لا يجد الانسان
وراءها مرمى فما وجدتي الامستريداً ولقد طال بي ذلك فما احسست بسآمة
ولا رهقتي فترة ولقد ضمني مجلس مع بعض من كنت احب فلم اجل خاطري
في فن من فنون الوصل الا وجدته مقصراً عن مرادي وغير شاف وجدتي
ولا قاض اقل لبانة من لباناتي ووجدتي كلما ازدددت دنواً ازدددت تلوداً وقدحت
زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي فقلت في ذلك المجلس :

وددت بأن القلب شق بمدية وأدخلت فيه ثم اطبق في صدري
فاصبحت فيه لاتحلين غيره الى منقضى يوم القيامة والحشر
تعيثين فيه ماحيت فان أمت سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

وما في الدنيا حالة تعدل محبين اذا عدما الرقباء وأما الوشاة وسلمنا من
البين ورغبا عن الهجر وبعدا عن الملل وفقدنا العذال وتوافقا في الاخلاق
وتكافيا في المحبة واتاح الله لهما رزقاً داراً وعيشاً قاراً ودماناً هادياً وكان
اجتماعهما على ما يرصي الرب من الحال وطالت محبتتهما واتصلت الى وقت
حلول الحمام الذي لامرد له ولا بد منه هذا عطاء لم يحصل عليه احد وحاجة
لم تقض لسكل طالب ولولا ان مع هذه الحال الاشفاق من نغفات المقادير
الحكمة في عيب الله عز وجل من حلول فراق لم يكتسب واخترام منية في
حال الشباب او ما اشبه ذلك لئلا انها حال بعيدة من كل آفة وسليمة من
كل داخلة ولقد رأيت من اجتمع له هذا كله الا انه كان دهي ويمس كان
يجه بشراسة الاخلاق ودالة على المحبة فكانا لا يتهنيان العيش ولا تطالع الشمس
في يوم الا وكان بينهما خلاف فيه وكلاهما كان مطبوعاً بهذا الخلق انفة كل

واحد منهما بمحبة صاحبه الى ان دنت النوى بينهما ففترقا بالموت المرتب لهذا العالم وفي ذلك اقول :

كيف أذم أنرى واطلها وكل اخلاق من احب نوى
قد كان يكنى هوى اضيق به فكيف ادخل بي نوى وهوى

ودوي عن زياد ابن ابي سفيان رحمه الله انه قال لجلسائه من انعم الناس عيشة قالوا امير المؤمنين فقال (واين مايلقى من قرش قيل فانت قال اين ما الي من الحوارج والثغور قيل فمن ايها الامير) قال رجل مسلم له زوجة مسلمة لها كتمان من العيش قد رضيت به ورضى بها لا يعرفنا ولا نعرفه . وهل فيها وافق اعجاب المخلوقين وجلال القلوب واستمال الحواس واسهوى النفوس واستولى على الاهواء واقتطع الابواب واخلس العقول مستحسن يعدل اشفاق محب على محبوب ولقد شاهدت من هذا المعنى كثيراً وانه لمن المناظر العجيبة الباعثة على الرقة الرائقة المعنى لاسمها ان كان هوى يتكلم به فلو رأيت المحبوب حين يعرض بالسؤال عن سبب تعصه بمحبه وخجلته في الخروج مما وقع فيه بالاعتذار وتوجيهه الى غير وجهه وتحيله في استنباط معنى يقيمه عند جلسائه لرأيت عجباً ولذة خفية لاتقاومها لذة ومارأيت احلب للقلوب ولااغوص على حياتها ولا أشد المغاتل من هذا الفعل وان المجين في الوصل من الاعتذار ما اعجز اهل الادهان الذكية والافكار القوية ولقد رأيت في بعض المرات هذا فنلت :

ادا مزحت الحق بالباطل جوزت ماشئت على العاقل
وفيها فرو صحيح له علامة تبدو الى العاقل
كأنبر ان تخرج به قصة جارت على كل فتي جاهل
وإن تصادف صائناً ماهراً ميز بين المحض والحائل

لأعلم فتي وجارية كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه فكانا يضطجعان

إذا حضرهما احد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش ويلتقي رأساهما وراء المسند ويقبل كل واحد منهما صاحبه ولا يريان وكأنهما انما يتمددان من الكلال واقد كان باغ من تكافيهما في المودة امرأ عظيما الى ان كان الفتى المحب ربما استطال عليها وفي ذلك اقول :

ومن اعاجيب الزمان التي طمت على السامع والمقاتل
 رغبة مركوب الى راكب ودلة المسؤول للسائل
 وطول مأسور الى أسر وصدولة المقتول للمقاتل
 ما إن سمعنا في الوردى قبلها خسوع مأمول الى أمل
 هل هاهنا وجه تراءى سوى نراضع المفعول للمفاعل

ولقد حدثني امرأة اتق بها انها شامت فتى وجارية كان بمحمد كل واحد منهما بصاحبه فصل وجد قد اجتمعا بي مكان على طرف وفي يد الفتى سكين يقطع بها بعض الفواكه خبزها حراً رائداً فقطع ابهامه قطعاً لطيفاً ظهر فيه دم وكان على الحارية علالة قصب خرائثية لها قيمة فصرفت يدها وخرقتها واخرجت منها فضلة شد بها ابهامه واما هذا الفعل للمحب فقليل فيما يجب عليه وفرض لازم وشريعة مؤداة وكيف لا وقد بذل نفسه ووهب روحه فما يمنع بعدها

(خبر) وأنا ادركت بنت ركرياً بن يحيى التميمي المعروف بابن رطال وعمها كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى واخوه الوزر القائد الذي كان قتله غالب وقائدين له في الوقعة المشهورة بالثغور وهما مروان بن احمد ابن شهيد ويوسف بن سعيد العكي وكانت متزوجة يحيى بن محمد ابن الورد بن يحيى ابن اسحق فعاجلته المنايا وهما في اعرض عيشهما وانضر سرورهما فباع من اسفها عليه ان باتت معه في دثار واحد ليلة مات وجعلته آخر العهد به وبوصله ثم لم يفارقها الاسف بعده الى حين موتها وان للوصل المختلس

الذي يخاتل به الرقباء ويتحفظ به من الحضرة مثل الضحك المستور والنحنة وجولان الايدي والضغط بالاجنساب والقرص باليد والرجل لموقفاً من النفس شهياً وفي ذلك اقول :

ان للوصل الخفي محلاً ليس للوصل المكين الجلي
لذة تمرجها بارتقاب كمسير في خلال النقي

(خبر) ولقد حدثني ثقة من اخواني جليل من اهل البيوتات انه كان علق في صباه جارية كانت في بعض دور آله وكان ممنوعاً منها فقام عقله بها قال لي فتنزهن يوماً الى بعض ضياعنا بالسهلة غربي قرطبة مع بعض اعمامي فتمشينا في البساتين وابعدنا عن المنازل وانبسطنا على الازهار الى ان غيمت السماء واقبل الغيث فلم يكن بالحضرة من الغطاء ما يكفي الجميع قال فامر عمي ببعض الاغطية فالتقى علي وامرها بالاكتنان معي فظن بما شئت من التمكن على اعين الملاء وهم لا يشعرون وبالك من جمع كخلاء واحتفال كافراده قال لي فوالله لانيت ذلك اليوم ابدأ ولمهدي به وهو يحدثني بهذا الحديث واعصاؤه كلها تضحك وهو يهتز فرحاً على بعد العهد وامتداد الزمان ففي ذلك اقول شعراً منه :

يضحك الروض والسجائب تبكي كحبيب رآه صب معنى

(خبر) ومن بديع الوصل ما حدثني به بعض اخواني انه كان في بعض المنازل المصاحبة له هوى وكان في المرلين موضع مطلع من احدهما على الآخر فسكنت تنف له في ذلك الموضع وكان فيه بعض البعد فتسلم عليه ويدها ملهوفه في قبضها فخاطبها مستخبراً لها عن ذلك فاجابته انه ربما أحس من امرنا شيء فوقف لك غيري فسلم عليك فرددت عليه فصح الظن فهذه علامة بيني وبينك فاذا رأيت يداً مكشوفة تشير نحوك بالسلام فليست يدي فلا تجاوب . وربما استجلي الوصال واتفقت القلوب حتى يقع التخلج في الوصال فلا يلتفت

الى لائىم ولايستتر من حافظ ولا يبالى بناقل بل العذل حينئذ يغري وفي صفة
الوصل اقول شعراً منه :

كم درت حول الحب حتى لقد حصلت فيه كحصول الفراش
ومنه :

تعشو الى الوصل دواعي الهوى كما سرى نحو سنا النار عاش
ومنه :

عللني بالوصل من سيدي كمثل تعليل الظماء العطاش
ومنه :

لانووق العين على غاية فالحسن فيه مستزيد وباش
واقول من فصيذة لي :

هل لقتيل الحب من وادي ام هل لعاني الحب من فادي
ام هل لدهري عودة نحوها كمثل يوم مر في الوادي
طلت فيه ساجحاً صادياً يا عجباً للساجح الصادي
ضنيت يا مولاي وجداً فما تبصرني الحاط عوادي
كيف اهتدى الوجد الى عائب عن عين الحاضر والبادي
مل مداواتي طيبي فقد يرحمني للسقم حسادي

﴿ باب الهجر ﴾

ومن آفات الحب ايضاً الهجر وهو على ضروب فأولها هجر يوجهه تحفظ
من رقيب حاصر وانه لاحل من كل وصل ولولا ان ظاهر اللفظ وحكم
التسمية يوجب ادخاله في هذا الباب لرجيت به عنه ولاجلته عن تسطيره
فيه حينئذ ترى الحبيب منجرفاً عن محبه مقبلاً بالحديث على غيره معرضاً بمعرض
لئلا نلحق طسه او تسبق استرايته وترى المحب ايضاً كذلك ولكن طبعه له

جاذب ونفسه له صارفة بالرغم فتراه حينئذ منحرفاً كمتقبل وساكتاً كناطق
وناظراً الى جهة نفسه في غيرها والحادق الفطن اذا كشف بوعمه عن باطن
حديثهما علم ان الحافي غير البادي وما جهر به غير نفس الخبر وانه لمن
اشاهد الجالبة للفتن والمناظر المحركة للسواكن الباعثة للخواطر المهيجة للضمائر
الحادة للفتوة. ولي ابيات في شيء من هذا اوردتها وان كان فيها غير هذا
المنعنى على ما شرطنا منها :

يلوم ابر العباس جهلاً بطبعه كما عير الحوت النعامة بالصدى

ومنها :

وكم صاحب اكرمه غير طائع ولا مكره الا الامر تعمدوا
وما كان ذاك البر الا لغيره كما نصبوا للطير بالحلب مصيدا
واقول من قصيدة محتوية على صروب من الحكم وفنون من الآداب الطبيعية
وسراء احتشائي لمن انا مؤثر وسراء ابتسائي لمن اتحب
فقد يشرب الصاب الكريه لعة ويترك صفو الشهد وهو محب
واعدل في اجهاد نفسي في الذي أريد واني فيه اشقى واتعب
هل اللؤلؤ المكنون والدركه رأيت بغير الغوص في البحر بطاب
واصرف نفسي عن وجود طباعها اذا في سواها صح ما انا ارفع
كما نسخ الله السرائع قبلنا بما هو ادنى للصالح واقرب
والقى سجاياء كل خلق بمنها وعت سجايائي الصحيح المذهب
كما صار لون الماء لون انا وفي الاصل لون الماء ابيض معجب

ومنها :

اقت دوى ودي مقام طباعي حياتي بها والموت منهن يرهب

ومنها :

وما انا ممن تطيبه بشاشة ولا يقتضي ماي ضميري التجنب

أزید نفاراً عند ذلك باطناً
فاني رأيت الحرب يعلو اشتعالها
وللحبة الرقشاء وشى ولونها
وإن فرند السيف عجب منظرأ
وأجعل ذل النفس عزة اهلها
فتديضع الانسان في الترب وجهه
فذل يسوق العز اجود للفتى
وكم مأكل اربت عواقف غيه
وماذاق عز النفس من لا يذلها
ورودك بعد الماء من بعد ظمأة
ومنها :

فرد طيباً ان لم يتح لك اطيب
ولا ترض ورد الريق الاضرورة
ولا تقربن ملح المياه فانها
ومنها :

فخذ من جراها ما تيسر واقتنع
فما لك شرط عندها لا ولا يد
ومنها :

ولا تيأسن مما ينال بحيلة
ولا تأمن الاظلام فالفجر طالع
ومنها :

ألح فان الماء يكدح في الصفا
وكثر ولا تفشل وقلل كثير ما
ومنها :

فلو يتمدى المرء بالسهم قاته وقام له منه غذاء محرب
ثم هجر يوجه التذلل وهو ألد من كثير الوصال ولذلك لا يكون الا عن
ثقة كل واحد من المتحابين بصاحبه واستحكام البصيرة في صحة عقده فحينئذ
يظهر المحبوب هجراناً ليرى صبر محبه وذلك لئلا يصفو الدهر البتة وليأسف المحب
ان كان مفرط العشق عند ذلك لالما حل لكن مخافة ان يترقى الامر الى
ماهو اجل يكون ذلك الهجر سبباً الى غيره او خوفاً من آفة حادث ملل
ولقد عرض لي في الصبي هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة
وهو لا يلبث ان يضمحل ثم يعود فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً
بديهاً ختمت كل بيت منه بتميم من اول قصيدة طرفة بن العبد المعلقة وهي
التي قرأناها مشروحة على ابي سعيد المتي الحمفري عن ابي بكر المقرئ عن
ابي جعفر النحاس رحمهم الله في المسجد الجامع بقرطبة وهي :

تذكرت ودأً للحبيب كاءه	لخولة اطلال ببرقة ثمهد
وعهدي بهد كان لي منه ثابت	يلوح كبافي الوشم في ظاهر الد
وقفت به لاموقناً برجوعه	ولا آيساً ابكي وابكي الى العد
الى ان اطال الناس عذلي واكثروا	يقولون لانهلك اسي وتجدد
كأن فنون السخط ممن احبه	خلايا سفين بالتواصف من دد
كأن انقلاب الهجر والوصل مركب	يجود به الملاح طوراً ويهتدي
فوقت رضى بلمره وقت تسخط	كما قسم الترب المائل (١) باليد
وببسم نخوي وهو غصبان معرض	مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

(١) فقال ككتاب لعبة للصبيان يحبون الشيء في التراب ثم يقتسمونه ويقولون

في ايها هو والللاعب بها منائل

ثم هجر يوجبه العتاب لذنب يقع من المحب وهذا فيه بعض الشدة لكن فرحة الرجعة وسرور الرضى يعدل ما مضى فان لرضى المحبوب بعد سخطه لذة في القلب لاتعدها لذة وموقفاً من الروح لايفوقه شيء من اسباب الدنيا وهل شاهد مشاهد او رأت عين او قام في فكر الذواشى من مقام قد قام عنه كل رقيب وبعد عنه كل بغض وغاب عنه كل واش واجتمع فيه محبان قد تصارما لذنب وقع من المحب منهما وطال ذلك قليلاً وبدأ بعض الهجر ولم يكن ثم مانع من الاطالة للحديث فابتدأ المحب في الاعتذار والخضوع والتذلل والادلة بحجته الواضحة من الادلال والاذلال والتذم بما سلف فطوراً يدلى ببراءته وطوراً يرد بالعفو ويستدعي المغفرة ويقر بالذنب ولاذنب له والمحبوب في كل ذلك ناظر الى الارض يسارقه اللحظ الخفي وربما ادامه فيه ثم يسم مخفياً لتبسمه وذلك علامة الرضى ثم ينجلي مجلسهما عن قبول العذر ويقبل القول وامتحنت ذنوب الثقل وذهب آثار السخط ووقع الجواب بنعم وذبك مغفور ولو كان فكيف ولاذنب وحتما امرهما بالوصل الممكن وسقوط العتاب والاسعاد وتفرقاً على هذا . هذا مكان تتناصردونه الصفات وتلكن بتحديد الالسنه ولقد وطئت بساط الحلفاء وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هية تعدل هية محب محبوبه ورأيت تمكن التغلبين على الرؤساء وتحكم الوزراء وانبساط مدبري الدول فما رأيت اشد تبجحاً ولاعظم سروراً بما هو فيه من محب ايقر ان قلب محبوبه عنده ووثق بميله اليه وصحة مودته له وحضرت مقام المعتدين بين ايدي السلاطين ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين فما رأيت اذل من موقف محب هيان بين يدي محبوب غضبان قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء ولقد امتحنت الامرين وكنت في الحالة الاولى اشد من الحديد وانفذ من السيف لاجيب الى الدنيا ولا اساعد على الخضوع وفي الثانية اذل من الرداء والين من القطن ابادر الى اقصى غايات التذلل لونغع واغتم

فرصة الحضور لو نجح وتحلل بلساني واغوص على دقائق المعاني بياني وافن القول فنوناً واتصدي لكل ما يوجب الترضي

والتجني بعض عوارض الهجران وهو يقع في اول الحب وآخره فهو في اوله علامة لصحة المحبة وفي آخره علامة لفتورها وباب للسلو

(خبر) واذكر في مثل هذا اني كنت مجتازاً في بعض الايام بقرطبة في مقبرة باب عامر في لمة (١) من الطلاب واصحاب الحديث ونجى يزيد مجلس الشيخ ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد المصري بالرصافة استاذي رضي الله عنه ومعنا ابو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوي من اهل سبته وكان شاعراً مفلجاً وهو ينشد لنفسه في صفة متجن معهود ابياتاً له منها :

سريع الى ظهر الطريق وانه الى نقض اسباب المودة يسرع (٢)

يطول علينا ان نزع وده اذا كان في ترقيعه يتقطع

فوافق انشاء البيت الاول من هاذين البيتين خطور ابي الحسين بن علي الفاسي رحمه الله وهو يؤم ايضاً مجلس بن ابي يزيد فسمعه فبسم رحمه الله نحونا وطوانا ماشياً وهو يقول بل الى عقد المودة ان شاء الله فهو اولى هذا على جد ابي الحسين رحمه الله وفضله وتقربه وبرائه ونسكه وزهده وعلمه فقلت في ذلك :

دع عنك نقض مودتي متعمداً واعقد حبال وصالنا يا ظالم
ولترجعن أردته او لم ترد كرهأ لما قال الفقيه العالم

ويقع فيه الهجر والعتاب ولعمري ان فيه اذا كان قليلاً المدة واما اذا تفاقم فهو قال غير محمود وأماردة وبئس المصدر وعلامة سوء وهي بجملة الامر مطية الهجران ورائد الصرمة ونتيجة التجني وعنوان الثقل ورسول الانفصال

وداعية القلى ومقدمة الصد وانما يستحسن اذا لطف وكان اصله الاتفاق وفي ذلك اقول :

املك بعد عتبك ان تجودا بما منه عتبت وان تريد
فكم يوم رأينا فيه صحواً وأسمعنا بآخره الرعودا
وعاد الصحو بعد كما علمنا وانت كذلك ترجو ان تعودا

وكان سبب قولي هذه الايات عثاب وقع في يوم هذه صفته من ايام الربيع
فقلتها في ذلك الوقت وكان لي في بعض الزمن صديقان وكانا اخوين فغابا في
سفر ثم قدما وقد أصابني رمد فتأخرا عن عيادتي فكنت اليهما والمخاطبة
للاكبر منهما شعراً منه :

وكنت اعدد ايضاً على أخيك بمؤلة السامع
ولكن اذا الدجن غطى ذكا فإ الظن بالقمر الطالع

ثم هجر بوجهه الوشاة وقد تقدم القول فيهم وفيما يتولد من ديب عقاربهم
وربما كان سبباً للمقاطعة البتة

ثم هجر الملل والمال من الاخلاق المطبوعة في الانسان واحرى لمن دهي
به الا يصفو له صديق ولا يصح له اخاء ولا يثبت على عهد ولا يصبر على الف
ولا تطول مساعدته لحب ولا يعتد منه ود ولا يفض وأولى الامور بالناس
ان لا يغروه منهم وان يغفروا عن صحبته واقائه فلن يظفروا (١)
منه بطائل ولذلك ابعدا هذه الصفة عن الحيين وجعلناها في المحبوبين فهم بالجملة
اهل التجني والنظي والتعرض للمقاطعة واما من تريا باسم الحب وهو ملول
فليس منهم وحقه ان يهرج مذاقه وينى عن اهل هذه الصفة ولا يدخل في
جملتهم وما رأيت قط هذه الصفة اشد تغلباً منها على ابى عامر ~~محمد بن عامر~~

رحمه الله فلو وصف لي واصف بعض ما علمته منه لما صدقته واهل هذا الطبع اسرع الخلق محبة واقلمهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه وبالضد (١) وانقلبهم على الود على قدر تسرعهم اليه فلا تثق بملول ولا تشغل به نفسك ولا تنها بالرجاء في وفائه فان دفعت الى محبته ضرورة فعده ابن ساعته واستأنفه كل حين من احيائه بحسب ما تراه من تلونه وقابله بما يشاكله ولقد كان ابو عامر المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ويحقيق به من الاغتم والهم ما يكاد ان يأتي عليه حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القتاد فاذا ايقن بتصيرها (٢) اليه عادت المحبة نفاراً وذلك الانس شروداً والقلق اليها قلقاً منها وزاعه نحوها نزاعاً عنها فيبينها بأوكس الانمان هذا كان دأبه حتى اتلف فيما ذكرنا من عشرات الوف الدنانير عدداً عظيماً وكان رحمه الله مع هذا من اهل الادب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض واما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه وتكل الاوهام عن وصف اقله ولا يتعاطى احد وصفه ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويتعمدون الحطوط على باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة الى الدرب المتصل بقصر الزاهرة وفي هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا لالشيء الا للنظر منه . ولقد مات من محبته جوار كن علقن اوهامن به ورثين له فخانهن مما املنه منه فصرن رهائن البلى وقتلتهن الوحدة . وانا اعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء عهدي بها لاتتستر بمحبته حيث ما جلست ولا تحجب دموعها وكانت قد تصيرت من داره الى البركات الحيال صاحب الفتيان . ولقد كان رحمه الله يخبرني عن

(١) لعل الصواب : وعلى المكروه والصد (٢) لم تر في اللغة تصير مشدداً

نفسه انه يمل اسمه فضلاً عن غير ذلك واما اخوانه فانه تبدل بهم في عمره على قصره مراراً وكان لا يثبت على زي واحد كأبي براقش حيناً يكون في ملابس الملوك وحيناً في ملابس الفسك فيحب على من امتحن بمخالطة من هذه صنته على اي وجه كان ألا يستفرغ عامة جهده في محبته وان يقيم اليأس من دوامه خصماً لنفسه فاذا لاح له مخايل الملل قاطعه اياماً حتى ينشط بآله ويبعد به عنه ثم يعاوده فربما دامت المودة مع هذا وفي ذلك اقول :

لا ترجون ملولاً ليس الملول بعده

ود الملول فدعه عارية مسترده

ومن الهجر ضرب يكون متوليه الحب وذلك عندما يرى من جفاء محبوه والميل عنه الى غيره او لتقيل يلازمه فيرى الموت ويتجرع غصص الأسى والعص على نقيف (١) الحنظل أهون من رؤية ما كره فينقطع وكبده تنقطع وفي ذلك اقول :

هجرت من أهواء لاعن قلبى يا عجباً للعاشق الهاجر
لكن عيني لم تنطق نظرة الى محيا الرشأ الغادر
فالموت احلى مطعماً من هوى يساح للوارد والصادر
وفي القواد النار مدكية فاعجب لصب جزع صابر
وقد اباح الله في دينه تقية المأسور للاسر
وقد احل الكمر خوف الردى حتى ترى المؤمن كالكافر

(خبر) ومن عجيب ما يكون فيها وشيعه اني اعرف من هام قلبه بمتناء عنه نافر منه فقاسى الوجد زمناً طويلاً ثم سحت له الايام بسانحة عجيبة من الوصل

(١) في الاصل نقيف ، ولعل الاصح نقيف بمعنى منقوف من نقف الحنظل

اذا شقه عن حبه كما في القاموس

أشرف بها على بلوغ أمله فحين لم يكن بينه وبين غاية رجائه الا كهؤلاء
عاد الهجر والبعد الى اكثر ما كان قبل فقلت في ذلك :

كانت الى دهري لي حاجة مقرونة في البعد بالمشتري
فساقها باللطف حتى اذا كانت من التقرب على محجر
أبعدها عني فعادت كأني لم تبد لآعين ولم تظهر

وقلت :

دنا أمني حتى مددت لأخذه بدأ فاشئ نحو الحجرة راحلا
فاصبحت لارجو وقد كنت موقناً وأضحى مع الشعرى وقد كان حاصل
وقد كنت محسوداً فاصبحت حاسداً وقد كنت مأمولاً فاصبحت آملاً
كذا الدهر في كراته واشغاله فلا يأمن الدهر من كان عاقلاً

ثم هجر القلى وهنا ضلت الاساطير وهدت الحيل وعظم البلاء وهو الذي
خلى العقول ذواهل فمن دهى بهذه الداهية فليتصد لمحبوب محبوبه وليتعمد
مابعد انه يستحسنه وبحب ان يحتجب مايدري انه يكرهه فربما عطشه ذلك
عليه ان كان المحبوب ممن يدري قدر الموافقة والرغبة فيه واما من لم يعلم قدر
هذا فلا طمع في استصرافه بل حسنائك عنده دنوب فان لم يقدر المرء
على استصرافه فليتعمد البهاوان ولايحاسب نفسه بما هو فيه من البلاء والحرمان
ويسعى في بيل رعبته على اي وجه أمكه ولقد رأيت من هذه صنته وفي
ذلك اقول قطعة اولها :

دهيت بمن لو ادفع الموت دونه انما اداً ياليتي في المقار

ومنها :

ولا ذنب لي ادصرت احدى ركاني الى الورد والذبا تسىء مصادري
وماذا على الشمس المنيرة بالصحن اذا قصرت عنها ضماف الصائر

واقول :

ما أقبح الهجر بعد وصل
كالوفر تحويه بعد فطر
واحسن الوصل بعد هجر
والفقر يأتيك بعد وفر

واقول :

معهود اخلاقك قسبان
فانك النعان فيما مضى
والدهر فيك اليوم صنفان
يوم نعيم فيه سعد الورى
وكان للنعان يومان
فيوم نعاك لغيري ويو
ويوم بأساء وعدوان
اليس حي لك مستأهلاً
مي منك ذو بؤس وهجران
لان تجازيه باحسان

واقول قطعة منها :

يامن جميع الحسن منتظم
مابال حتي منك يطرقني
فيه كنظم الدر في العقد
قصداً ووجهك طالع السعد

واقول فصيذة اولها :

أساعة توديعك ام ساعة الخشر
وهجر كنعذيب الموحّد ينقضي
وليلة بيني منك ام ليلة النشر
ويرجوا التلاقي ام عذاب ذوي الك

ومنها :

سقى الله اياماً مصت ولياليا
فاورافه الايام حسناً وهجة
تحاكي لنا انيلوفر الغض في النشر
لهونا بها في عمرة وتألف
واوسطه الليل المقصر للعمر
فاعتسا منه زمان كآته
تمر فلا تدري وتأتي فلا تدري
ولاشك حسن العقد اعقب بالغدر

ومنها :

ولا يأسى يانفس عل زماننا
كما صدف الرحمن ملك امة
يعود بوجه مقبل غير مدبر
اللهم ولوذى بانتهمل والصبر

وفي هذه القصيدة امدح ابا بكر هشام بن محمد اخا امير المؤمنين عبد الرحمن المرتضى رحمه الله :
فأقول :

ليس يحيط الروح فينا بكل ما دنا وتناهى وهو في حجب انصدر
كذا الدهر جسم وهو في الدهر روحه يحيط بما فيه وان شئت فاستقر (١)
ومنها :

إنانيتها تهدي اليه ومنة تقبلها منهم يقاوم ناشكر
كذا كل نهر في البلاد وان طمت عرارته ينصب في لحج البحر

(باب الوفاء)

ومن حميد الغرأر وكريم الشيم وفاضل الاخلاق في الحب وعيره الوفاء
وانه لمن اقوى الدلائل واوضح البراهين على طيب الاصل وشرف المعصر وهو
يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات وفي ذلك اقول قطعه منها :
أفعال كل امرء تنبى بعصره والعين عنك عن ان تطاب الاثرا
ومنها :

وهل ترى قط دنبل انتبت عنباً او تذخر النحل في اوكارها الصرا
واول مراتب الوفاء ان يفي الانسان لمن يفي له وهذا فرض لارم وحق
واجب على المحب والمحبوب لا يحول عنه الا خيت المحدد لاخلاق له ولا
خير عده ولولا ان رسالتنا هذه لم نقصد بها الكلام في اخلاق الانسان (٢)
وصناته المطبوعة والتطبع بها وما يزيد من المطبوع بالتطبع وما يصحح من

(١) في الاصل : فاستبرى ولا معنى له فاعل انصواب : فاستتر امر من
الاستقراء (٢) في الاصل : النساء

التطبع بعدم الطبع لزدت في هذا المكان ما يجب ان يوضع في مثله ولكننا انما قصدنا التكلم فيما رغبته من امر الحب فقط وهذا امر كان يطول جداً اذ الكلام فيه يتفنن كثيراً

(خبر) ومن ارفع (١) ماشاهدته من الوفاء في هذا المعنى واهوله شأناً قصة رأيها عياناً وهو اني اعرف من رضي بقطيعة محبوبه واعز الناس عليه ومن كان الموت عنده احلى من هجر ساعة في جنب طيه لسر اودعه والتزم محبوبه يميناً غليظة الا يكلمه ابداً ولا يكون بينهما خبر او يفضح اليه ذلك السر على ان صاحب ذلك السر كان غائباً فابي من ذلك وتمادى هو على كتابته والثاني على هجرانه الى ان فرقت بينهما الايام

ثم مرتبة ثانية وهو الوفاء لمن غدر وهي للمحب دون المحبوب وليس للمحبيب . هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك وهي خطة لا يطيقها الا جلد قوي واسع الصدر حر النفس عظيم الحلم - ليل الصدر خفيف العقل (٢) ماجد الخلق سالم النية ومن قابل الغدر بمثله فليس بمستأهل للعلامة ولكن الحال التي قدمنا تفوقها جداً دنفوتها بعداً . وعاية الوفاء في هذه الحال ترك مكافاة الادى بمثله والكف عن سيء المعارضة بالفعل والقول والتأني في جر جبل الصخرة ما امكن ورجيت الالفة وطمع في الرجعة ولاحت للعودة ادنى مخيلة وشيمت منها (٣) اقل بارقة او توجس منها ايسر علامة فاذا وقع اليأس واستحكم الغيظ حينئذ والسلمة من غرك والامن من صرك والنجاة من اذاك وان يكون ذكر ماسلف مانعاً من شفاء الغيظ فيما وقع فرعي الازمة حق وكيدٌ على اهل العقول والحنين الى ماضى والاينسى ما قد فرغ منه وفنيت مدته اثبت الدلائل على

(١) في الاصل : اشنع ، وما صححناه اكثر تلاوفاً مع قوله سابقاً « واول

مراتب الوفاء » (٢) في الاصل : خفيف العقدة (٣) في الاصل : بها

صحة الوفاء وهذه الصفة حسنة جداً وواجب استعمالها في كل وجه من وجوه معاملات الناس فيما بينهم على أي حال كانت
(خبر) ولهمدي رجل من صفوة اخواني قد علق بجارية فتأكد الود بينهما ثم غدرت بهده ونقضت وده وشاع خبرهما فوجد لذلك وجداً شديداً .

(خبر) وكان لي مرة صديق ففسدت نيته بعد وكيد مودة لا يكفر بمثلهما وكان (١) علم كل واحد منا سر صاحبه وسقطت المؤونة فلما تغير علي افشي كل ما اطلع لي عليه مما (٢) كنت اطلعت منه على اضعاقه ثم اتصل به ان قوله في قد بلغني فخرج لذلك وخشي ان اقارضه على قسيح فعله وبلغني ذلك فكتبت اليه شعراً أؤنسه فيه وأعلمه اني لا اقارضه

(خبر) ومما يدخل في هذا الدرج وان كان ليس منه ولا هذا الفصل المتقدم من جنس الرسالة والباب ولكنه شبه له على ما قد ذكرنا وشرطنا وذلك ان محمد بن وليد بن مكسير الكاتب كان متصلاً بي ومنقطعاً الي ايام وزارة ابي رحمة الله عليه فلما وقع بقرطبة ما وقع وتغيرت أحوال خرج الى بعض النواحي فاتصل بصاحبا فعرض جاعه وحدث له وجاهة وحال حسنة فخلت انا تلك الناحية في بعض رحلتي فلم يوفني حتي بل ثقل عليه مكاني وأساء معاماتي وصحبتني وكلمته في خلال ذلك حاجة لم يقم فيها ولا قعد واشتغل عنها بما ليس في مثله شغل فكتبت اليه شعراً اتانبه فيه لجوابتي مستعباً وعلى ذلك في كلمته حاجة بعدها ومما لي في هذا المعنى وليس من جنس الباب ولكنه يشبهه اياتاً قتها منها :

وليس محمد كتمان لمكتكم لكن كتمك ما افشاء منفيه

كالجود بالوفاء اسنى ما يكون اذا قل الوجود له او ضمن معطيه
ثم مرتبة ثالثة وهي الوفاء مع اليأس البات وبعد حلول المناسيا وفجاءات
النون وان الوفاء في هذه الحالة لاجل واحسن منه في الحياة ومع رجاء اللقاء
(خبر) ولقد حدثني امرأة اتفق بها انها رأت في دار محمد بن احمد بن
وهب المعروف بابن الركيزة من ولد بدر الداخل مع الامام عبد الرحمن بن
معاوية رضي الله عنه جارية رائعة جميلة كان لها مولى فحجته المنية فبيعت في
تركته فأبى ان ترضى بالرجال بعده وما جامعها رجل الى ان لقيت الله عز
وجل وكانت تحسن الغناء فانكرت عليها به ورضيت بالخدمة والخروج عن جملة
المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة وفاء منها لمن قد دثر ووارته الارض
والتأمت عليه الصفائح ولقد رامها سيدها المذكور ان يضمها الى فراشه مع
سائر جواريه ويخرجها مما هي فيه فأبى فضربها غير مرة وأوقع بها الادب
فصبرت على ذلك كله فاقامت على امتناعها وان هذا من الوفاء عريب جداً
واعلم ان الوفاء على الحب اوجب منه على المحبوب وشرطه له الزم لان الحب
هو البادي بالوصوق والتعرض لمقد الاذمة (١) والقاصد لتأكييد المودة والمستدعي
حجة العشرة والاول في عدد طلاب (٢) الاصفياء والسابق في ابتغاء اللذة
باكتساب الخلقة والمقيد نفسه بزمام المحبة قد عقلها بأوثق عقال وخطمها بأشد
خطام فمن قسره على هذا كله ان لم يرد إتمامه؟ ومن اجبره على استجلاب
المقعة ان لم ينو ختمها بالوفاء لمن اراده عليها؟ والمحبوب انما هو محبوب اليه
ومقصود نحوه وبخير في القبول او الترك فان قبل فغاية الرجاء وان ابى
فغير مستحق للذم وليس التعرض للوصول والالحاح فيه والتأني لكل ما يستجلب
به من الموافقة وتصفية الحضرة والمغيب من الوفاء في شيء فخط نفسه اراد

(١) الذمام : الحق . الحرمة والجمع أذمه (٢) في الاصل : طالب

الطالب ، وفي سروره سعى ، وله اختط ، والحب يدعوه ويحدوه على ذلك شاء
 او ابى وانما يحمّد الوفاء ممن يقدر على تركه
 وللوفاء شروط على الحجين لازمة . فأولها ان يحفظ عهد محبوه ويرعى
 غيبته ويستوي علانيته وسريته ويطوي شره وينشر خيره ويغضى على عيوبه
 ويحسن افعاله ويتعافى عما يقع منه على سبيل الهفوة ويرضى بما جفاه ولا يكثر
 عليه بما ينفر منه وألا يكون طلعة نؤوباً ولا ملة طروقاً وعلى المحبوب (١) ان
 ساواه في المحبة مثل ذلك وان كان دونه فيها فليس للمحب ان يكلفه الصعود
 الى مرتبته ولاله الاستشاطعة عليه بان يسومه الاستواء معه في درجته وبحسبه
 منه حينئذ كتمان خبره والا يقابله بما يكره ولا يخفيه به وان كانت الثالثة وهي
 السلامة مما يلحق بالجملة فليقنع بما وجد وليأخذ من الامر ما استدف (٢) ولا يبط
 شرطاً ولا يقترح حقداً وانما له ماسنح بمجده او ما حان بكده واعلم انه
 لا يستبين قبح الفعل لاهله ولذلك يتضاعف قبحه عند من ليس من ذويه .
 ولا اقول قولي هذا ممتدحاً ولكن آخذاً بادب الله عز وجل ﴿ واما نعمة
 ربك فحدث ﴾ لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت الى بلقية
 واحدة ووهبني من المحافظة لمن يتذمم مني ولو بمجادته ساعة حظاً (٣) ؟ انا له
 شاكر وحامد ومنه مستمد ومستزيد وما شئ اثقل علي من الغدر واعمرى
 ما سمحت نفسي قط في العكسة في اضرار من بيني وبينه اقل ذمام وان
 عظمت جريرته وكثرت الي ذنوبه ولقد دهمني من هذا غير قليل فما جزيت
 على السوء الا بالحسنى والحمد لله على ذلك كثيراً وبالوفاء افتخر في كلمة
 طويلة ذكرت فيها مامضنا من الكبات ودهمنا من الحل والترحال والتحول
 في الآفاق اولها :

(١) في الاصل : الحب (٢) وخذ ما استدف لك اي ما امكن وتسهل

(٣) في الاصل خطأ

ولى فولى جيئ الصبر يتبعه وصرح الدمع ماتخفيه أضلعه
جسم مملول وقلب آلف فاذا حل الفراق عليه فهو موجه
لم تستقر به دار ولا وطن ولا تدفأ منه قط مضجعه
كأنما صيغ من رهو السحاب فما تزال ريح الى الآفاق تدفعه
كأنما هو توحيد تضيق به نفس الكفور فتأبى حين تودعه
او كوكب قاطع في الافق متقل فالسير يفربه حيناً ويطلعه
أطنه او جزته او تساعده ألفت عليه انهمال الدمع يتبعه

وبالوفاء ايضاً افتخر في قصيدة لي طويلة اوردها وان كان اكثرها ليس
من جنس الكتاب فكان سبب قولي لها ان قوماً من مخالفي شرقوا بي
فأساءوا العتب في وجهي وقذفوني بأني اعضد الباطل بحجتي عجزاً منهم عن
مقاومة ما اورده من نصر الحق واهله وحسداً لي فقلت وخاطبت بقصيدتي
بعض اخواني وكان دا فهم منها :

وخذني عصا موسى وهات جيعهم واوانهم حيات ضال نضاض
ومنها :

يرفون في عيني عجائب حجة وقد يتعنى الليث والليث رابض
ومنها :

وبرجون ما لا يبلغون كمثل ما يرجي محالا في الامام الروافض
ومنها :

ولو حلدي في كل قلب ومهجة لما أثرت فيها العيون المرائض
أبت عن دنيء الوصف ضربة لازم كما ابت الفعل الحروف الحوافض
ومنها :

ورأي له في كل ما غاب مسلك كما تسلك الجسم العروق النواض
يبين مدب النمل في غير مشكل ويستتر عنهم لفيول المرائض

﴿ باب الغدر ﴾

وكما ان الوفاء من سري النعوت ونيل الصفات فكذلك الغدر من ذمها ومكروها وانما يسمى غدرًا من البادي به واما المقارض بالغدر على مثله وان استوى معه في حقيقة الفعل فليس بغدر ولا هو معيًّا بذلك والله عز وجل يقول ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وقد علمنا ان الثانية ليست بسيئة ولكن لما جانست الاولى في الشبه اوقع عليها مثل اسمها وسيأتي هذا مفسراً في باب السلو ان شاء الله ولكن كثرة وجود الغدر في المحبوب استغرب الوفاء منه فصار قلبه الواقع منهم يقاوم الكثير الموجود في سواهم وفي ذلك اقول :

قليل وفاء من يهوى يحل وعظم وفاء من يهوى يقل

فنادرة الجبان اجل مما يحبي به الشجاع المستقل

ومن قبيح الغدر ان يكون للمحب سفير الى محبوبه يستريح اليه باسراة فيسعى حتى يقبله (١) الى نفسه ويستأثر به دونه وفيه اقول :

اقت سفيراً قاصداً في مطالي وثقت به جهلاً فضرب بيننا

وحل عرى ودي واثبت وده واعد عني كل ما كان ممكنا

فصرت شهيداً بعدما كنت مشهداً واصبحت ضيفاً بعدما كان ضيفنا

(خبر) ولقد حدثني القاضي يونس بن عبد الله قال أدكر في الصبي جارية في بعض السدد يهواها فتى من اهل الادب من ابناء الملوك وتهواه ويتراسلن وكان السفير بينهما والرسول بكتبهما فتى من اترابه كان يصل اليها فلما عرضت الجارية للبيع اراد الذي كان يحبها ابتاعها فبدر الذي كان رسولاً فاشتراها فدخل عليها يوماً فوجدها قد فتحت درجاً لها تطلب فيه بعض حوائجها فأنى

اليها وجعل يقتش الدرج فخرج اليه كتاب من ذلك الفتى الذي كان يرواها
مضمخاً بالغالية مصوناً مكرماً ففضب وقال من اين هذا يا فاسقة قالت انت
سقته الي فقال لعله محدث بعد ذاك الحين فقالت ماهو الا من قديم تلك التي
تعرف قال فكأنما القمته حجباً فسقط في يديه وسكت

﴿ باب البين ﴾

وقد علمنا انه لا بد لكل مجتمع من افتراق واسكل دان من تساء وتلك
عادة الله في العباد والبلاد حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
وماشيء من دواهي الدنيا يعدل الافتراق ، ولوسالت الارواح به فضلاً عن الدموع
كان قليلاً . وبعض الحكماء سمع قائلاً يقول : الفراق اخو الموت ، فقال : بل
الموت اخو الفراق (١) والبين ينقسم اقساماً :

فأولها مدة يوقن بانصرامها وبالعودة عن قريب وانه لشجى في القلب ،
وغصة في الحلق لاتبرأ الا بالرجعة ، وانا اعلم من كان يغيب من يحب عن
بصره يوماً واحداً فيعتريه من الهلع والجزع وشغل البال وترادف الكرب
مايكاد يأتي عليه

ثم بين منع من اللقاء وتحظر على المحبوب من ان يراه محبه فهذا ولو كان
من تحبه معك في دار واحدة فهو بين لأنه بائن عنك وان هذا ليولد من الحزن
والاسف غير قليل ، ولقد جربناه فكان مرأ وفي ذلك اقول :

أرى دارها في كل حين وساعة ولكن من في الدار غني مغيب

(١) هذا الاسلوب يشبه ما يروى عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها
انها قالت : لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السفر قطعة من
العذاب ، لقلت : العذاب قطعة من السفر

وهل نأفني قرب الديار واهلها على وصاهم مني رقيب مرقيب
فيا لك جار الجنب اسمع حسه واعلم ان الصين أدنى واقرب (١)
كهاد يرى ماء الطوي مينه وليس اليه من سبيل يسبب
كذلك من في اللحد عنك مغيب وما دونه الا الصنيح المنصب
واقول من قصيدة مطولة :

متى تشتتي نفس اضر بها الوجد وتصقب دار قدطوى اهلها البعد
وعهدي بهند وهي جارة بيتنا واقرب من هند لطالها الهند
بلى ان في قرب الديار لراحة كما يمسك الظمان ان يدنو الورد
ثم بين يتممه المحب بعداً عن قول الوشاة وخوفاً ان يكون بقاءه سبياً
الى منع اللقاء وذريعة الى ان ينشرو الكلام قيعم الحجاب الغليظ
ثم بين بولده المحب لبعض ما يدعوه الى ذلك من آفات الرمان وعذره
مقبول او مطروح على قدر الحاور له الى الرحيل

(خير) ولعمري بصديق لي داره المربة ففنت له حوائج الى شاطبة فتقصدها
وكان مارلاً بها في منزلي مدة اقامته بها وكان له بالمربة علاقة هي اكبر همه وادهى
غمه وكان يؤمل تبتيته (٢) وفراغ اسبابه وان يوشك الرجعة ويسرع الاوبة
فلم يكن الا حين لطيف بعد احتلاله عندي حتى جيش الموفق ابو الحسن مجاهد
صاحب الخزائر الجيوش وقرب المساكر وناشد خيران صاحب المربة وعزم على
استنصاله فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب وتحوميت السبل واحترس البحر
بالاساطيل فتصاعف كربه اذ لم يجد الى الانصراف سبيلاً البتة وكاد يظلم أسفاً

(١) هذا المعنى يرمي الى قول المعري :

فيا دارها بالخيف ان مزاولها قريب ولكن دون ذلك احوال
(٢) التبتيت : التزويد والتجهيز مأخوذ من التات كسحاب وهو الزاد ومتاع البيت

وصار لا يأنس بغير الوحدة ولا يلجأ إلا الى الزفير والوجوم ولعمري لقد كان
 ممن لم اقدر قط فيه ان قلبه يذعن للود ولا شراسة طبعه تجيب الى الهوى
 واذكر اني دخلت قرطبة بمد رحلي عنها ثم خرجت منصرفاً عنها فضمني الطريق
 مع رجل من الكتاب قد رحل لامرهم وتخلف سكن (١) له فكان يرتض لذلك
 واني لاعلم من علق بهوى له وكان في حال شظف وكانت له في الارض
 مذاهب واسعة ومناجح رجة ووجوه متصرف كثيرة فهان عليه ذلك وآثر
 الاقامة مع من يحب وفي ذلك اقول شعراً منه :

لك في البلاد منادح معلومة والسيف قفل (٢) او يبين قرابه

ثم بين رحيل وتباعد ديار ولا يكون من الاوبة فيه على يقين خبر ولا
 يحدث تلاق وهو الحطاب الموجه والهم المفظع والحادث الاشنع والداء الدوى
 واكثر ما يكرن الهلع فيه اذا كان النائي هو المحبوب وهو الذي قالت فيه
 الشعراء كثيراً وفي ذلك اقول قصيدة منها :

وذي علة اعني (٣) الطبيب علاجها ستوردني لاشك منهل مصرعي
 رضيت بان اضحي قتل وداده كجارع سم في رحيق مشعشع
 فما ليالي ما اقل حياءها واولها بالنفس من كل مولع
 كأن زمني عبشمي يخالي أعنت على عثمان اهل التشيع

واقول من قصيدة :

أطنك تمثال الجنان اباحه لمجتهد النساك من اوليائه

واقول من قصيدة :

لا برد باللقيا علياً من الهوى توقع نيران الغضى هيامه

واقول شعراً منه :

(١) السكن بفتح فسكون اهل الدار (٢) كذا في الاصل (٣) في الاصل : اعني

خفيت عن الابصار والوجد ظاهر فاعجب باعراض تين ولاشخص
غدا الفلك الدوار حلقة خاتم محيط بما فيه وانت له فص
واقول من قصيدة :

غنيت عن التشبيه حسناً وبهجة كما غنيت شمس السماء عن الحلي
عجبت لنفسى بعده كيف لم تمت وهجرانه دفني وفقدانه نعمي
وللجسد الفص المنعم كيف لم تذب يد خشناء (١)
وان للآوبة من البين الذي تشفق منه النفس لطول مسافته وتكاد تئأس من
العودة فيه لروعة تبلغ مالا حد وراءه وربما قتلت (٢) وفي ذلك اقول :

للتلاقي بعد الفراق سرور كسرور المفيق حانت وفاته
فرحة تهيج (٣) النفوس وتحبي من دنا منه فالفراق مماته
ربما قد تكون داهية الموت وتودي باهله ههاته
كم رأينا من عب في الماء عطشا فزار الحمام وهو حياته
واني لاعلم من نأت دار محبوبه زمناً ثم تيسرت له آوبة فلم يكن الا بقدر
التسليم واستيفائه حتى دعت نوى ثاية فيكاد ان يهلك وفي ذلك اقول :
أطلت زمان البعد حتى اذا انقضى زمان الزرى بالقرب عدت الى البعد
فلم يك الا كره الطرف قرينكم وعادوكم بعدى وعادوني وحدي

(١) نقص في الاصل (٢) من ذلك ما يروى ان جدة ابى الطيب المتنبى
لما اتاها كتاب منه فيه خبر قدومه بعد طول عيبته عنها وكانت تحبه حباً جماً
حمت من شدة سرورها فماتت وفي ذلك يقول ابو الطيب :

اتاها كتابي بعد يأس وترحة فماتت سروراً بي فمت بها عمأ
حرام على قلبي السرور فاتي اعد الذي ماتت به بعدها سما

(٣) في الاصل تبهم

كذا حائر في الليل ضاقت وجوهه رأى البرق في داج من الليل مسود
فأخلده منه رجاء دوامه وبعض الأراجي لانفيد ولا تجدي
وفي الآونة بعد الفراق أقول قطعة منها :

لقد قرت العينان بالقرب منكم كما سخنت إيام يطوبكم البعد
لله فيما قدمضى الصبر والرضى والله فيما قد قضى الشكر والحمد
(خبر) ولقد نعي الي بعض من كنت احب من بلدة نازحة فقامت فاراً
بنفسي نحو المنار وجعلت امشي بينها واقول :

وددت بان ظهر الارض بطن وان البطن منها صار ظهرا
واني مت قبل ورود خطب أتى فأنار في الأكباد جرا
وان دمي لمن قد بان غسل وان ضلوع صدري كن قبرا
ثم انصل بعد حين تكذيب ذلك الخبر فقلت :

نشرى انت واليأس مستحکم والقلب في سبع طباق شداد
كست فؤادي خضرة بعدما كان فؤادي لابساً للحداد
حلى سواد الغم عني كما يحلى بلون الشمس لون السواد
هذا وما امل وعلاً سوى صدق وفاء بقديم الوداد
فالمرن قد تطلب لا للحيا لكن لظل بارد ذي امتداد

ويقع في هذين الصنفين من البين الوداع اعني رحيل المحب او رحيل
المحوب وانه لمن الماطر الهائلة والمواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل
ماضي العزائم وتذهب قوة كل ذي بصيرة وتسكب كل عين جمود ويظهر
مكون الحوى وهو فصل من فصول البين يحجب التكلم فيه كاعتاب في باب
الهجر ولعمري لو ان ظريفاً يموت في ساعة الوداع لكان معذوراً اذا تفكر
فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال وحلول الاوجال وتبدل السرور بالحزن
وانها ساعة ترق القلوب القاسية وتلين الافئدة الغلاظ وان حركة الرأس

وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاتكة حجاب القلب وموصلة اليه من
الجزع بمقدار ماتقل حركة الوجه في ضد هذا والإشارة بالعين والتبسم
ومواطن الموافقة والوداع ينقسم قسمين أحدهما لا يتمكن فيه إلا بالنظر والإشارة
والثاني يتمكن فيه بالعناق والملازمة وربما لعله كان لا يمكن قبل ذلك البتة مع
تجاوز الحال وإمكان التلاقي ولهذا تمنى بعض الشعراء اليين ومدحوا يوم النوى
وما ذاك بحسن ولا بصواب من الرأي ولا بالأصيل من الرأي فما يني سرور
ساعة بحزن ساعات فكيف إذا كان اليين أياماً وشهوراً وربما أعواماً وهذا
سوء من النظر ومعوج من القياس وإنما اثبت على النوى في شعري تمناً
لرجوع يومها فيكون في كل يوم لقاء ووداع (على أن تحتل مضض هذا
الاسم الكريه وذلك عندما يمضي من الأيام التي لا التقاء فيها حينئذ يرغب
المحب من يوم الفراق لو كان أمكنه في كل يوم وفي الصنف الأول من الوداع
أقول شعراً منه :

تنوب عن بهجة الأنوار بهجته كما تنوب عن التيار انفاسي
وفي الصنف الثاني من الوداع أقول شعراً منه :

وجه تحر له الأنوار ساجدة والوجه ثم فلم ينقص ولم يرد
دفء شمس الضحى بالجلي نازلة وبارد ناعم والشمس في الأسد
ومنه :

يوم الفراق لعمري استأكره أصلاً وإن شئت شمل الروح عن جسدي
ففيه عانقت من أهوى بلا جزع وكان من قبله أن سيل لم يحد
أليس من عجب (١) وعبرتها يوم الوصال ليوم اليين ذو حسد
وهل هجس في الأفكار أو قام في الظنون اشنع وأوجع من هجر عتاب

(١) نقص في الأصل ولعل الكلمة الساقطة : دمعي وعبرتها

وقع بين محبين ثم فجأتها النوى قبل حلول الصلح وانحلال عقدة الهجران
فناما الى الوداع وقد نسى القتاب وجاء ماطم على القوى واطار الكرى وفيه
اقول شعراً منه :

وقد سقط السب المقدم واحمى	وجاءت جيوش البين تجري وتسرع
وقد دعر البين الصدود فراحه	فولى فما يدري له اليوم موضع
كذئب خلا بالصيد حتى اضله	هزبر له من جانب الغيل مطلع
لش سرنى في طرده الهجرانى	لابعد عني الحبيب لموضع
ولابد عند الموت من بعض راحة	وفي عبا المرت الوحي المصرع

واعرف من اتى ليودع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات فوقف على
آثاره ساعة وتردد في الموضع الذي كان فيه ثم انصرف كثيراً متغير اللون
كاسف البال فما كان بعد ايام قلال حتى اعتل ومات رحمه الله وان لابن في
اطهار السرائر المطوية عملاً عجياً واتقد رأيت من كان حـ مكموماً وبما يحد
مستتراً فيه حتى وقع حادث الفراق فباح المكثرون وظهر الحفي وفي ذلك اقول
قطعة منها :

بدلت من الود ما كان قبل	منعت واعطيتيه جزافاً
ومالي به حاجة عند ذاك	ولو جدت قل بلغت الشفافا
وما ينفع الطب عند الحمام	وينفع قبل الردى من تلافافا

وأقول :

الآن اد حل الفراق حدث لي بحفي حب كنت تبدي بخله
فزدني في حسرتي اضماها ويحي فهلا كان هذا قبله
ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الازمان بمودة رجل من وزراء
السلطان ايام جاهه فاطهر بعض الامتسك فتركته حتى ذهب ايامه وانقضت
دولته فأدى لي من المودة والاخوة غير قليل فقلت :

بذلت لي الاعراض والدهر مقبل وتبذل لي الاقبال والدهر معرض
وتبسطني اذ ليس ينفع بسطكم فهلا أبحت البسط اذ كنت تقبض
ثم بين الموت وهو الموت وهو الذي لا يرجى له إياب وهو المصيبة الحلة
وهو قاصمة الظهر وداهية الدهر وهو الويل وهو المغطى على ظلمة الليل وهو
قاطع كل رجاء ومأحي كل طمع والمؤيس من اللقاء وهنا حازت الالسن
وانجذمت حبل العلاج فلا حياة الا الصبر طوعاً او كرهاً . وهو اجل ما يبتلى
به المحبون فما لمن دهى به الا الدوح والبكاء الى ان يتلف او يمل فهي القرحة
التي لانكي والوجع الذي لا يعني وهو الغم الذي يتجدد على قدر بلاء من
اعتمدته في الثرى وفيه اقول :

كل بين واقع فرحى لم يفت
لا تعجل قنطاً لم يفت من لم يمت
والذي قدمات فالا يأس عنه قد ثبت

وقد رأنا من عرض له هذا كثير . وعني اخبرك انى احد من دهى بهذه
الفادحة وتعجلت له هذه المصيبة وذلك انى كنت اشد الناس كلفاً واعظمهم
حماً تجارية لي كانت فيها خلا اسمها عم (نالصم) وكانت امنية التمنى وعاية الحسن
خلقاً وخلقاً وموافقة لي وكنت انا عذرهما وكننا قد تكافأنا المودة فوجعتني
بها الاقدار واخترتها الليالي ومر النهار وصارت ثائرة التراب والاحجار وسنى
حين وفاتها دون العشرين سنة وكانت هي دوني في السن فلقد اقت بمردها
سبعة اشهر لا تجرد عن ثياني ولا تنتر لي دمة على جود عيني وقلة اسماعها
وعلى ذلك فوالله ماسلوت حتى الآن ولو قبل فداء لمديتها بكل ما املك من تاد
وطارف وبعض اعضاء جسمي المريرة علي مسارعاً طائعاً وما طاب لي عيش
بعدها ولا نسيت ذكرها ولا أنست بسواها ولتعد عني حبي لها على كل ما قبله
وحرم ما كان بعده . ومما قلت فيها :

مهذبة بضاء كالشمس ان بدت وسائر ربات الحجل نجوم
أطارها القاب عن مستقره فبعد وقوع ظل وهو يحوم
ومن مرائي فيها قصيدة منها :

كأنى لم آنس بالفاظك التي على عقد الالباب هن نوافث
ولم اتحكم في الاماني كأنى لافراط ما حكمت فيهن عابث

ومنها :

وبدين اعراضاً وهن أوالف ويقسمن في هجري وهن حوانث
واقول ايضاً في قصيدة اخاطب فيها ابن عمي ابا المغيرة عبد الوهاب احد
ابن عبد الرحمن بن حرم بن غالب واقرضه فاقول :

قما فإلا الاطلال اين قطنهما أمرت عليها باللى الملواف
على دارسات مقفلات عواطل كأن المغاني في الحفاء معاني

واختلف الناس في اي الامرين اشد البين ام الهجر وكلاهما مرتقى صعب
وموت احمر وولاية سوداء وستة شهباء (١) وكل يستبشع من هذين ما ضاد طبعه
فاما ذو النفس الالة الالوف لاوف الحانة الثابتة على العهد فلا شيء يعدل
عده مصيبه البين لانه أنى قصداً وتعمدته النوائ عمداً فلا يجد شيئاً يسلي
نفسه ولا يصرف فكبرته في معنى من المعاني الا وجد بئناً على صبايته ومحرراً
لاشجاناه وعابه لاله وحجة اوجدته وحاضاً على البكاء على الفه واما الهجر
فهو داعية السور ورائد الاقلاع واما ذو النفس التواقة الكثيرة النزوع . والتطلع
المفلوق المعروف فالهجر داؤه وحال حقه والبين له مسلاة ومنساة واما انا فانا موت
عندى اسهل من الفراق وما الهجر الا جالب للكمد فقط ويوشك ان دام
ان يحدث ايعاراً (٢) وفي ذلك اقول :

وقالوا ارتحل فلعل السوا
بكون وترغب ان ترغه
فقلت الردى لي قبل السلو
ومن يشرب السم عن تجربته

واقول :

سسى مهجتي هواه واودت بها نواه
كأن الغرام ضيف وروحى غدا قراد

وانقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه ويتممده خوفاً من مرارة يوم البين
وما يحدث به من لوعة الاسف عند التفرق وهذا وان لم يكن عندي من المذاهب
المرضية فهو حجة قاطعة على ان البين اصعب من الهجر وكيف لا وفي الناس
من يلوذ بالهجر خوفاً من البين ولم اجد احداً في الدنيا يلوذ بالبين خوفاً من
الهجر وانما يأخذ الناس ابداً الاسهل ويتكلمون الاهول وانما فلما انه ليس
من المذاهب المحموده لان اصحابه قد استعجلوا البلاء قبل برهله وتجرعوا عصة
انصبر قل وقتها ولعل ماتخوفوه الا يكون ليس من يتمجل المكروه وهو على
غير يقين مما لم يتمجل بحكيم وفيه اقول شرراً منه :

لبس الصب للصبابة يننا ليس من جاب الاحبة ما
كعنى يعيش عيش فقير خرف فقر وفقره قد أبأ

وادكر لابن عمي ابى المعيرة هذا المعنى من ان البين اصعب من الصدا اياناً
من قصيدة خاطبني بها وهو ابن سمعة عشر عاماً او نحوها وهي :

أجرعت ان ازف الرحيل وولف ان نص الدميل
كلا مصالك فادح وأجل فراقهم خليل
كذب الاولى رعموا بان الصدا مرتعه وسيل
لم يعرفوا كنه العلية ل وفد تحملت الحمول
اما الفراق فانه للموت ان اهوى دليل

ولي في هذا المعنى قصيدة مطولة اولها :

لامثل يرمك ضحوة التعميم في منظر حسن وفي تنعيم
قد كان ذاك اليوم ندره عاقر وصواب خاطئة وولد عقيم
ايام برق الوصل ليس بخلب عندي ولاروض الهوى بهشيم
من كل غانية يقول نديها سيرى امامك والازار أقيمي
كل يجاذبها فحمة خدها خجل من التأخير والتقديم
ما بي سوى تلك العيون وليس في برءى سواها في الورى بزعم
مثل الافاعي ليس في شيء سوى أجسادها ابراء لدغ سليم

والبين ابكى الشعراء على المعاهد فأدروا على الرسوم الدموع وسقوا الديار
ماء الشوق وتذكروا ما قد سلف لهم فيها فاعولوا وانتحبوا واحيت الانار دفين
شوقهم فباحوا وبكوا ولقد اخبرني بعض الوراد من قرطبة وقد استخبرته عنها
انه رأى دورنا ببلاط مغيت في الجانب الغربي منها وقد ااحت رسومها وطمست
اعلامها وخفيت معاهدها وغيرها البلى وصارت صحاري مجدبة بعد العمران
وفياي موحشة بعد الانس وخرائب منقطعة بعد الحسن وشعاباً مفزعة بعد الامن
ومأوى للذئاب ومعارف للغيلان وملاعب للجان ومكامن للوحوش بعد رجال
كالليوث وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية . تبدد شملهم فصاروا في
البلاد ايادي سبا فكان تلك الحاريب المنمقة والمقاصير المرينه التي كانت تسرق
اشراق الشمس ويجلو الهوم حسن منظرها حين شملها الحراب وعمها الهدم
كافوا السباع فاغرة تؤذن بفناء الدنيا وترتك عواقب اهلها وتحبرك عما يصير
اليه كل من تراه قائماً فيها وترهد في طلبها بعد ان طار مازهدت في تركها
وتدكرت ايامي بها ولذاتي فيها وشهور صاي لديها مع كواعب الى مثالي صبا
الحليم ومثلت لنفسى كونهن تحت الثرى وفي الانار النائية والبواحي البعيدة

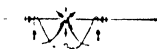
وقد فرقهن يد الجلاء ومزقهن أكف النوى وخيل الى بصري بقاء تلك
النسبة بعد ماعلمته من حسننها وغضارتها والمراتب المحكمة التي نشأت فيها
لديها وحلاء تلك الافنية بعد تصايقها باهلها واوهمت سمعي صوت الصدى والهام (١)
علها بعد حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها وكان ليها تبعاً لنهارها
في انتشار ساكنها والتقاء عمارها فماد نهارها تبعاً لليلها في الهدؤ والاستيحاش
فابكي عني واوجع قلبي وقرع صفاة كعدي وزاد في بلاء لي فقلت
شعراً منه :

لئن كان أطمانا فقد طال ماسقي وان ساءنا فيها فقد طال ماسرا
والبين يولد الحنين والاهتياج واتذكر وفي ذلك اقول :

ليت الغراب يعيد اليوم لي فعسى بين بينهم عني فقد وقفنا
أقول والليل قد أرخى اجلته وقد تألى بأن لانشضي فوفا
والحم قد حار في افق السماء فما يمضي ولا هو للتخيير (٢) منصرفا
تخاله مخطئاً او خائفاً وجلا اوراقاً (٣) موعداً او عاشاً أدنا

(١) الصدى : اليوم الذكر والهام جمع هامة وهي طائر من طيور الليل
(٢) لعل الصواب : للتخيير بحاء مهمله ، اي من اجل حيرته وهو المناسب
لفعله : قد حار . والمعنى انه لايمضي في سيره ولا ينصرف راجعاً على اعقابيه
وهو مفتس من قول امرئ القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يبدال
(٣) في الاصل رائباً



﴿ باب القنوع ﴾

ولا بد للمحب اذا حرم الوصل من القنوع بما يجد وان في ذلك لمتعللاً
لنفس وشغلاً للرجاء وتجديداً للنوى وبعض الراحة وهو مراتب على قدر الاصابة
والتمكن فاولها الزيادة وانها لامل من الآمال ومن سرى مايسنح في الدهر مع ما
تبدى من الخسر والحياء لما يعلمه كل واحد منهما مما في نفس صاحبه وهي
على وجهين احدهما ان يزور المحب محبوبه وهذا الوجه واسع والوجه الثاني
ان يزور المحبوب محبه ولكن لاسبيل الى غير النظر والحديث الظاهر وفي
ذلك أقول :

فان تنأ عني بالوصال فأنني سأرعى بليحظ العين ان لم يكن وصل
حسبي ان القاك في اليوم مرة وما كنت ارضى ضعفدا منك لي قبل
كيدا همة الوالي تكون رفيعة ويرضى خلاص النفس ان وقع العزل
واما رجع السلام والمخاطبة فامل من الآمال وان كنت انا اقول في قصيدة لي
فها انا دا أخفي واقنع راضياً برجع سلام ان تيسر في الحين

فانما هذا لمن ينتقل من مرتبة الى ما هو ادنى منها وانما يتفاضل المخلوقات
في جميع الاوصاف على قدر اضافتها الى ما هو فوقها او دونها واني لاعلم من
كان يقول لمحبه عذني واكذب قنوعاً بان يسلي نفسه في وعده وان كان
غير صادق فقلت في دلت :

ان كان وصلك ليس فيه مطمع والقرب ممنوع فعذني واكذب
فصلى التعال بالتقائك ممسك لحياة قلب بالصدود معذب
فلقد يسلي المجدبين اذا رأوا في الافق يلمع ضوء برق خلل
ومما يدخل في هذا الباب شيء رأيته ورآه غيري معي ان رجلاً من

اخواني جرحه من كاذب يحبه بمدية فلقد رأيت وهو يقبل مكان الجرح ويندبه
مرة بعد مرة فقلت في ذلك :

يقولون شجك من همت فيه فقلت لعمرى ما شجنى
ولكن احس دمي قربه فطار اليه ولم ينثن
فيا قاتلي ظالماً محسناً فديتك من ظالم محسن

ومن القنوع ان يسر الانسان ويرضى ببعض آلات محبوبه وان له من
النفس لموقعاً حسناً وان لم يكن فيه الاما نص الله تعالى علينا من ارتداد يعقوب
بصيراً حين شتم قيص يوسف عليهما السلام وفي ذلك اقول :

لما منعت القرب من سيدي ولج في هجري ولم ينصف
صرت بابصاري اثوابه او بعض ما قدمه اكنفى
كذلك يعقوب نبي الهدى اذ شفه الحزن على يوسف
شم قيصاً جاء من عنده وكان مكفوفاً فنه شني

وما رأيت قط متعاشقين الا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالغبر مرشوشة
ماء الورد وقد جمعت في اصلها بالمصطكى وبالشمع الابيض المصفى ولفت في
تلمازيف الوشى والحز وما اشبه ذلك لتكون تذكرة عند العين واما تهادي
المساويك بعد مضغها والمصطكى اثر استعمالها فكثير بين كل متحابين قد حضر
عليهما اللقاء وفي ذلك اقول قطعة منها :

أرى ريقها ماء الحياة تيقناً على انها لم تبق لي في الهوى حشا

(خبر) واخبرني بعض اخواني عن سليمان بن احمد الشاعر انه رأى بن سهل
الحاجب بجزيرة صقلية وذكر انه كان غاية في الجمال فتشاهده يوماً في بعض
المنتزهات ماشياً وامرأة خلفه تنظر اليه فلما ابعد اتت الى المكان الذي قد
أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلمس الارض التي فيها اثر رجله وفي ذلك اقول
قطعة اولها :

بلوموتي في موطني خنه جنأ
فيا اهل ارض لايجرد سحابها
خذوا بوصاتي تستقلوا وتحمدوا
واضمن ان الحل عنكم يبعد
فذاك صعيد طيب ليس يجمد
لعينه من جبريل اثر مجمد
فصير جوف العجل من ذلك الثرى
واقول :

لقد بوركت ارضها انت قاطن
فاحجارها در وسعدانها ورد
وبورك من فيها وحل بها السعد
وامواها شهد وترتها ند

ومن القنوع الرضى بجزار الطيف وتسليم الخيال وهذا انما يحدث عن ذكر
لايفارق وعهد لايجرول وفكر لاينقضي فاذا نامت العيون وهذأت الحركات
سرى الطيف وفي ذلك اقول :

زار الخيال فى طالت صباهه
فت في ليلتي جدلان مبتهجا
على احتفاظ من الحراس والحفظه
ولذة الطيف تنسى لذة اليقظة
واقول :

أتى طيف نعم (١) مضجعي مدهداة
وعهدي بها تحت التراب مقيمة
ولليل سلطان وظل ممدد
وجاءت كما قد كنت قبله اعهد (٢)
فعدنا كما كنا وعاد زماننا
كما قد عهدنا قبل والعود احمد

وللشعراء في علة مزار الطيف اقاويل بديعة بميدة المرمى مخترعة كل سبق
الى معنى من المعاني فابو اسحق ابن سيار النظام رأس المعتزلة جعل علة مزار

(١) انظر ماتقدم من خبرها في الصفحة ٨٨ (٢) يجب اختلاس مد الهاء

في « قبله » ليستقيم الوزن ولو قيل « من قبل » لاستقام بلا تكلف

الطيب خوف الارواح من الرقيب المرقب على بهاء الابدان وابو تمام حبيب
ابن اوس الطائي جعل علته ان نكاح الطيف لا يفسد الحب ونكاح الحقيقة
يفسده والبحرتي جعل علة اقباله استضاءته بنار وجده وعلة زواله خوف الغرق
في دموعه وانا اقول من غير ان امثل شمري بشعارهم فلم فضل التقدم
والسابقة وانما نحن لاقطون وهم الحاصدون ولكن اقتداء بهم وجرياً في ميدانهم
وتتبعاً لطريقتهم التي نهجوا ووضحوا: ابياتاً بينت فيها مزار الطيف مقطعة :

أغار عليك من ادراك طرفي وأشفق ان يذيك لمس كي
فأمتنع اللقاء حذار هدا وأعتمد التلاقي حين اعني
فروحي ان انم بك ذوا افراد من الاعضاء مستتر ومخفي
ووصل الروح الطيف فيك وقعاً من الجسم الموصل الفاضف

وحال المزور في المنام ينقسم اقساماً اربعة احدهما محب مهجور قد تطاول
غمه ثم رأى في هجمته ان حبيبه وصله فسر بذلك وابتهج ثم استيفظ فأفسد
وتلهف حيث علم ان ما كان فيه امانى النفس وحديثها وفي ذلك اقول :

انت في مشرق النهار بخيل وادا الليل جن كنت كريماً
تجعل الشمس منك لي عوضاً هـ هات ماذا الفعال منك قوياً
زارني طيفك البعيد فيأتي واصلا لي وعائداً وندياً
غير اني منعني من تمام العيش لكن ابحت لى التشميا
فكأنني من اهل الاعراف لالفر دوس داري ولا اخاف الجحما

والثاني محب مواصل مشفق من تغير يقع قد رأى في وسنه ان حبيبه
يهجره فاهتم لذلك همماً شديداً ثم هب من نومه فعلم ان ذلك باطل وبعض
وساوس الاشفاق . والثالث محب داني الديار يرى ان التناهي قد فدحه ،
فيكثرث ويوجل ، ثم ينتبه فيذهب ما به ويعود فرحاً . وفي ذلك اقول
قطعة منها :

رأيتك في نومي كأنك راحل . وقنا الى التوديع والدمع هامل
وزال السكرى عني وانت معاتقي ونغمي اذ عاينت ذلك زائل
فجددت تعنيفاً وضماً كأنتي عليك من البين المفروق واجل (١)

والرابع محب نأسي المزار يرى ان المزار قد دنا والمنازل قد تصابقت فيرتاح
وأنس الى فقد الاسبى ثم يقوم من سنته فيرى ان ذاك غير صحيح فيعود الى
اشد ما كان فيه من الغم وقد جملت في بعض قولي علة اليوم الطمع في طيف
الحيال فقلت :

طاف الحيال على مستهتر كلف لولا ارتقاب مزار الطيف لم ينم
لا تهجبوا اذ سرى والليل معتكر فنوره مرهب في الارض للظلم

ومن القنوع ان يقنع المحب بالنظر الى الجدران ورؤية الحيطان التي تحتوي
على من يحب وقد رأينا من هذه صفته ولقد حدثني ابو الوليد احمد بن محمد
ابن اسحق الخازن رحمه الله عن رجل جليل انه حدث عن نفسه بمثل هذا
ومن القنوع ان يرتاح المحب الى ان يرى من رأى محبوبه وأنس به ومن اتى
من بلاده وهذا كثير وفي ذلك اقول :

توحش من سكانه فكأنهم مساكن عاد اعقبته ثمود

ومما يدخل في هذا الباب ابيات لي موجهها ابي تهرت انا وجاعة من
اخواني من اهل الادب والشرف الى بستان ارجل من اصحابنا فجئنا ساعة ثم
افضى بنا القعود الى مكان دونه يتمنى فتمددنا في رياض اريضة (٢) وارض عريضة
للبرص فيها منفسح وللنفس لديها مسرح بين جداول تطرد كأباريق الارجين
واطياف تعرد بالحن تزدى بما ابدعه معبد وابن الغريض وثمار مهدلة قد ذلت
للايدي ودلت للمتناول وظلال مظلة تلاخط الشمس من بينها فتصور بين

(١) في الاصل قابل ولا معنى له (٢) الارض الاريضة : المعجبة للعين

ايدنا كرقاع الشطرنج والثيراب المدبجة وماء عذب يوحذك حنيقة طعم الحياة
وانهار مندوفة تنساب كبطون الحيات لها خرير يقوم ويهدأ (١) ونواوير مؤننة
مختلفة الالوان تصنفها الريح الطيبة السيم وهواء سجيح (٢) واخلاق حلاس تنوق
كل هذا في يوم رسمي دي شمس دليلة تارة يغطيها الغيم الرقيق والمزف
اللطيف ومارة تبجلي وهي كالمذراء الحيرة والحريفة الحجلة تزأى لعاشقها من
بين الاستار ثم تعيب فيها حذر عين مراقبة وكان بعضنا مطرقاً كأنه يحدث (٣)
اخرى وذلك لسر كان له فومرص لي بذلك وتداعنا حيناً فكلفت ان
اقول على لسانه شيئاً في ذلك فقلت مديهة وما كتبوها الا من تذكرها بعد
انصرافنا وهي :

وما تروحن بأكفاف روضه	مهلة الافنان في تربها الندي
وقدضجكت انوارها واتصوع	أساورها في ظل فيء ممدد
وأبدت لنا الاطيار حسن سرورها	فمن ين شاك شجوه ومعرد
والماء وما يننا متصرف	ولابن مرتاد هناك ولند
وما شئت من اخلاق اروع ما حد	كريم السجيا للفجاء مشيد
تعض عندي كل ما قد وصنته	ولم ينهي اذ غاب عني سبدي
فيا لبتى في السجن وهو معانقي	وانتم معاً في قصر دار المجدد
فمن دام منا ان يبدل حاله	بحال اخيه او بملك مغلد
ولا عاش الا في شقاء وككة	ولا رال في نؤسى وخزي مردد

فقال هو ومن حضر آمين آمين وهذه الوجوه اني عددت واوردت
حقائق القناعه الموحودة في اهل المودة بلا ترديد ولا اعباء .

(١) في الاصل : يهدى (٢) الهواء السجيح : المعتدل بن الحر والبرد
(٣) اهل اصواب : بالة

وللشمرء فن من القنوع ارادوا فيه اظهار غرضهم وابانة اقتدارهم على المعاني الغامضة والمرامي البعيدة وكل قال على قدر قوة طبعه الا انه تحكم باللسان وتشدق في الكلام واستطالة بالبيان وهو غير صحيح في الاصل ففهم من قنع بان السماء تظله هو ومحجوبه والارض تقلهما ومنهم من قنع باستوائهما في احاطة الليل والنهار بهما ومن اشياء هذا وكل مبادر الى احتواء الغاية في الاستقصاء واحراز قصب السبق في التدقيق ولي في هذا المعنى قول لا يمكن التمعق الى (١) ان يجد بعده متناولا ولاوراءه مكمأ مع تبيني علة قرب المسافة البعيدة وهو :

وقالوا بعيد قلت حسبي بانه معي في زمان لا يطيق محيداً
تر على الشمس مثل مروزها به كل يوم يستير جديداً
من ايس بيبي في المسير وبينه سوى قطع يوم هل يكون بعيداً
وعلم اليه الخلق يجمننا معاً كفى ذا التداني ما اريد مزبداً

فدرب كما ترى اني قانع بالاجتماع مع من احب في علم الله الذي السموات والافلاك والعوالم كلها وجميع الموجدات لاتنسب منه ولا تنجزاً فيه ولا يشذ عنه شيء ثم اقتصررت من علم الله تعالى على انه في زمان وهذا اعم مما قاله عيري في احاطة الليل والنهار وان كان الطاهر واحداً في البادي الى السامع لان كل الخلق واقعة تحت الزمان وانما الزمان اسم موضع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته واحرامه والليل والنهار متولدان عن طلوع الشمس وغروبها وهما متساويان في بعض العالم الاعلى وليس هكذا الزمان فانهما بعض الزمان وان كان لبعض الفلاسمة قول ان الطل مهاد فهذا يخطئه العيان وعلل الرد عليه بانه ليس هذا موضعها ثم بينت انه وان كان في افصى الممور من المشرق وانا في اقصى

المعمور من المغرب وهذا طول السكنى فليس بيني وبينه الامساقة يوم اد الشمس.
تبدو في اول النهار في اول المشارق وتغرب في آخر النهار في آخر المغارب ومن
الفتوح فصل أورده واستعبد بالله منه ومن اهله واحمده على ما عرف نفوسنا من منافرة
وهو ان يضل العقل جملة وتفسد القريحة وتبلف التمييز ويهون الصعب وتذهب
الغيرة وتعدم الانفة فيرضى الانسان بالمشاركة في من يحب وقد عرض هذا اقرم
اعاذنا الله من البلاء وهذا لا يصح الا مع كلية في الطبع وسقوط من الغفل
الذي هو عيار (١) على ماتحته وضعف حس ويؤيد هذا كله حب شديد مع
فاذا اجتمعت هذه الاشياء وتلاقحت بمزاج الطبائع ودخل بعضها في بعض نتج
بينهما هذا الطبع الخسيس وتولدت هذه الصفة الرذلة وقام منها هذا الفعل
المقذور والقيح واما رجل معه اقل همة وايسر مروءة فهذا منه احد من الثريا
ولو مات وجداً وتقطع حباً وفي ذلك افول زاريا على بعض المساحين في
هذا الفصل :

رأيتك رحب الصدر ترضى بما أتى	وافصل شيء ان تلي وسجاً
فحظك من بعض السواني (١) مفصل	على ان يحوز الملك من اصاها الرحا
وعضو بعير فيه في الوزن ضعف ما	نقدته في الحدي فاعص الذي لحا
ولعب الذي تهوى لسيفين معجب	فكن ناحياً في نحوه كيف ما حبا

— د ن ه ب —

(١) لعل الصواب : معيار

(١) السانية كالناعورة تسقى بها الارض

(باب الضنى)

ولا بد لسكل محب صادق المودة ممنوع الوصل اما بين واما بهجر واما
بكتمان واقع لمعى من ان يؤول الى حد السقام والضنى والتحول وربما اضجه
ذلك وهذا الامر كثير جداً موجود ابداً والاعراض الواقعة من المحبة غير
العلل الواقعة من هجات العلل ويميزها الطبيب الحادق والمتفرس الناقد وفي
ذلك اقول :

يقول لي الطبيب بغير علم	تداو فانت يا هذا عليل
ودائي ليس يدريه سوائي	ورب قادر ملك جليل
آآ كتمه ويكشفه شهيق	يلازمني واطراق طويل
ووجه شهادات الحزن فيه	وجسم كالخيال ضن نحيل
واثبت مايكون الامر يوماً	بلا شك اذا صح الدليل
فقلت له ابن عي قليلاً	فلا والله تعرف ماتقول
وقال ارى نحولاً زاد حداً	وعلتك التي تشكو ذبول
فقلت له الذبول تعل منه الح	وارح وهي حمى تستحيل
وما اشكو لعمر الله حمى	وان الحر في جسمي قليل
وقال ارى التفاتاً وارتقاباً	وافكاراً وصمتاً لا يزول
واحسب انها الهوداء فانظر	لنفسك انها عرض ثقيل
فقلت له كلامك دا محال	فما الدمع من عيني يسيل
فاطرق باهتاً مما رآه	الا في مثل ذا بهت النبيل
فقلت له دوائي منه دائي	الا في مثل ذا ضلت عقول
وشاهد ما اقول يرى عياناً	فروع الثبت ان عكست اصول
وترياق الافاعي ليس شيء	سواء يبرء ما لدغت كفيل

وحدثني ابو بكر محمد بن نقي الحجري وكان حكيم الطبع عافلاً فهِمماً عن رجل من شيوخنا لا يمكن ذكره انه كان ببغداد في خان من خاناتها فرأى ابنة لوكيلة الخان فاجبها وتزوجها فلما خلا بها نظرت اليه وكانت بكراً وهو قد تكشف لبعض حاجته فراعها **كبر**..... ففرت الى امها وتنفادت منه فرام بها كل من حوالها ان ترد اليه فأبت وكادت ان تموت ففارقها ثم ندم ورام ان يراجها فلم يتمكن واستعان بالابهرري وغيره فلم يقدر احد منهم على حيلة في امره فاختلط عقله واقام في المارستان يعاني مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد ولقد كان اذا ذكرها يتنفس الصعداء وقد تقدم في اشعاري المذكورة في هذه الرسالة من صفة النحول مفرقاً ما استغنيت به عن ان اذكر هنا من سواها شيئاً خوف الاطالة والله المعين والمستعان وربما ترقى الى ان يعاب المرء على عقله ومحال بينه وبين ذهنه فيوسوس

(خبر) واني لاعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والسرف من نوات القواد وقد بلغ بها حب فتى من اخواني جداً من ابناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الاسود وكادت تختلط واشتهر الامر وشاع جداً حتى علمناه وعلمه الاماعد الى ان تدوركت بالعلاج وهذا انما يتولد عن ادمان الفكر فادا علت المكرة وتمكن الحلط السوداوي خرج الامر عن حد الحب الى حد الوله والجنون واذا اغفل التداوي في الاول الى المعانة قوى جداً ولم يوحد له دواء سوى الوصال ومن بعض ما كتبت اليه قطعة منها :

قد سلبت الفؤاد منها (١) اختلاساً اي خلق يعيش دون فؤاد
فاعتها بالوصل تحي شريفاً وتفرز بالثواب يوم المعاد
واراها تمناض ان دام هذا من خلا خيالها حلى الاقياد

انت حناً متيم الشمس حتى عشقها بين دا الوردى المكبادي

(خبر) وحدثني جعفر مولى احمد بن محمد بن جدير المعروف بالمليبي ان سبب اختلاط مروان بن يحيى بن احمد بن جدير وزهاب غفله اعتلاقه بجارية لاختيه فتمها منه واماها (١) نغره وما كان في احوته مثله ولا تم ادأ منه واخبرني ابو العافية مولى محمد بن عباس بن ابي عبدة ان سبب جنون يحيى بن احمد ابن عباس بن ابي عبدة بيع جارية له كان يجود بها وجداً شديداً كانت امه الماعثا ودعت الى اسكاحه من بعض المامريات فهاذان رجلان جليلان مشهوران فقدما عقولهما واختلطا وصارا في الفيود والاعلال فاما مروان فاصابته صربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة واتهاهم اليها فتوفي رحمه الله واما يحيى ابن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابي لرسالتى هذه وود رأيه اما مراراً وجالسته في القصر قبل ان يمتحن بهذه المحنة وكان استادي واستاده الفقيه ابو الحيار اللعوي وكان يحيى لعمرى حليواً من المتيان بديلاً . واما من دون هذه الطبقة فقد رأينا منهم كثيراً ولكن لم نسمهم لحماهم وهذه درجة اذا بلغ المشعوف اليها فقد ابنت الرجاء وانصرم الطمع فلا دواء له بالوصل ولا يعيره اد قد استحكمت المساد في الدماغ وتلفت المعرفة وعلقت الآمه اعادنا الله من البلاء بطوله وكفاهما النقم منه .

----- : ١ : -----

(١) اراد من الاناعة هنا البيع نفسه ، والذي في القاموس : اباعه عرضه للبيع

﴿ باب السلو ﴾

وقد علمنا ان كل ماله اول فلا بدله من آخر حاشى نعم الله عز وجل
 الجنة لاولياته وعذابه بالنار لاعدائه واما اعراض الدنيا فنافذة فانية وزائلة
 مضحكة وعاقبة كل حب الى احد امرين اما اخترام منية واما سلو حادث
 وقد نجد النفس تلعب عليها بعض القوى المصرفة معها في الحسد فكما نجيد
 نفساً ترفض الراحة والملاذ للعقل في طاعة الله تعالى وللرباء في الدنيا حتى
 نشتهر بالرهة فكذلك نجد نفساً تنصرف عن الرعة في لقاء شكلها للنافذة
 المستحكمة المناورة للغدر او استمرار سرء المكافأة في الصمير وهذا اصح السلو
 وما كان من غير هدي الشيطان فليس الامدموماً والسلو المتولد عن الهجر وطوله
 اما هو كالبأس يدخل على النفس من بلوعها الى املها فيفتّر نزاعها ولا يقوى
 رعبها ولي في دم السلو قصيدة منها :

ادا مازت فالحي ميت المحطها وان سطعت قلت السلام رطاب
 كيان الهوى ضيف ألم تهيجي فلهمني طعام والتجيع شراب

ومنها :

صور على الازم الذي العر خلعه واو امطرته بالخرق سحاب
 حروء آمن الراحة ان اتجته حولاً وفي بعض النعم عذاب

والسلو في التجربة الحيلة يتسم قسمين سلو طبيعي وهو المسمى بالنسيان
 يخلو به القلب ويهرع به النال ويكون الانسان كاه لم يحفظ وهذا القسم
 ربما لحق صاحبه الذم لانه حادث عن اخلاق مدمومة وعن اسباب عبر موجبة
 استحقاق النسيان وستأتي دمية ان شاء الله تعالى وربما لم تلحقه اللائمة لعدم
 صحیح والثاني سلو تطمي قهر النفس وهو المسمى بالتقصير فترى المرء يظير اتجلد

وفي قلبه اشد لدغاً من وخز الاشئ (١) ولكنه يرى بعض الشر اهون من بعض او يحاسب نفسه بحجة لاتصرف ولا تكسر وهذا قسم لا يذم آتیه ولا يلام فاعله ، لانه لا يحدث الا عن عظمة ولا يقع الا عن فادحة اما لسبب لا يصبر على مثله الاجرار واما الحطب لامرد له تجري به الافذار وكفالك من الموصرف به انه ليس بناس ولكنه ذاكر وذو حنين واقف على العهد ومتجرع مرارات الصبر والفرق العامي بين المتصبر والناسي انك ترى المتصبر وان ابدى غاية الجلد واظهر سب محبوه واتحمل عليه لا يحتمل ذلك من غيره . وفي ذلك اقول قطعة منها :

دعوني وسبي للحبيب فاني وان كنت ابدى الهجر لست معادياً
ولكن سبي للحبيب كمتو لهم أجاد فلقاه الاله الدواهي

والناسي ضد هذا وكل هذا فعلى قدر طبيعة الانسان واجابها وامتاعها وقوة تمكن الحب من القاب او ضعفه وفي ذلك اقول وسيت السالي فيه انتصبر قطعة منها :

ناسي الاحبة غير من يسلوهم حكم المقصر غير حكم المقصر
ما قاصر للنفس غير مجيها ما الصابر المطبوع كالتصبر

والاسباب الموجبة للسو انقسم هذين القسمين كثيرة وعلى حسبها وتقدر الواقع منها يعذر السالي ويذم

فتنا الملل وقد قدمنا الكلام عليه وان من كان سلوه عن ملل وليس حبه حقيقة والمنوسم به صاحب دعوى زائفة وانما هو طالب لذة ومبادر شهوة والسالي من هذا الوجه ناس مذموم (٢)

(١) الاشئ : المتعب والسراد يخرز به ويؤث « قاموس »

(٢) انظر ما قدمه في الصفحة ٦٩ — ٧٠ عن ابى عامر محمد بن عامر

ومنها الاستبدال وهو وان كان يشبه الملل ففيه معنى رائد وهو بذلك المفنى
اقبح من الاول وصاحبه احق بلذم

ومها حياء مركب يكون في المحر يحول بينه وبين التعريض بما يجد فيتناول
الامر وتتراخى المدة ويبلى جديد المودة ويحدث السلو وهذا وجه ان كان
السالي عنه ناسياً فليس بمنصف اذ منه جاء سبب الحرمان وان كان متصراً
فليس بملوم اذ اثر الحياء على لذة نفسه وقد ورد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : (الحياء من الايمان والبذاء من النفاق) وحدثننا احمد
ابن محمد عن احمد بن مطرف عن عبد الله بن يحيى عن ابيه عن ملك عن
سلمة بن صفوان ان رزقي عن زيد بن طلحة بن ركانه يرويه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال : (لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء)
فهذه الاسباب الثلاثة اصلها من المحب وابتدؤها من قلبه والدم لاصق به في
نسيانه لمن يحب

ثم منها اسباب اربعة هن من قبل المحبوب واصابها عدة : منها الهجر وقد
مر تفسير وحوهه ولا بد لنا ان نورد منه شيئاً في هذا الباب بوافيه والهجر
اذا تطاول وكثر القات واتصت المارقة يكون نائماً الى السلو وايس من وصلك
ثم قطعت لغيرك من باب الهجر في شيء لانه العذر الصحيح . ولا من مال
الى غيرك دون ان يتقدم لك معه صلة من الهجر ايضاً في شيء انما ذلك
هو المنار وسبق الكلام في هذين المصايين بعد هذا ان شاء الله تعالى انكس
الهجر من وصلك ثم قطعت لثقل واش او لدب وافع او لشيء قام في المنس
ولم يمل الى سرك ولا اقام احداً غيرك منامك . والماسي في هذا الفصل من
الحبين مملوم دون سائر الاسباب الواقعة من المحبوب لانه لا يرفع حالة تقم العذر
في نسيانه وانما هو راعى عن وصلك وهو شيء لا يلزمه وقد تقدم من ادمة
الوصال وحق ايامه ما لم يرد الذكر ويوجب عهد الالفة وانكس السالي على

جهة التصبر والتجلبد هاهنا معذور اذا رأى الهجر متبادياً ولم ير للوصل علامة
ولالمراجعة دلالة ، وقد استجاز كثير من الناس ان يسموا هذا الغنى غدراً
اد ظاهرهما واحد ولكن عليهما مختلفتان فلذلك فرقنا بينهما في الحقيقة واقول
في ذلك شعراً منه :

فكونوا كمن لم أدر قط فاني كآخر لم تدروا ولم تصلوه
انا كالصدا ما قال كل أجييه فما شئموه اليوم فاعتمدوه
واقول ايضاً قطعة ثلاثة ايات قلتها وانا نائم واستيفظت فاصفت اليها
البيت الرابع :

الا لله دهر كنت فيه أعز على من روحي وأهلي
فما برحت يد الهجران حتى طواك بناهما طي السجل
سقاني الصر هجركم كما قد سقاني الحب وصلكم بسجل
وجدت الوصل اصل الوجد حقاً وطول الهجر اصلاً للتسلي
واقول ايضاً منها :

لو قيل لي من قبل دا ان سوف تسلو من تود
فخلفت الف قسامة لا كان ذا ابد الابد
واذا طویل الهجر ما معه من السلوان بد
لله هجرك إيه ساع ابرء مجتهد
فالآن اعجب للسد و وكنت اعجب للحد
وأرى هواك كجمرة تحت الرماد لها مدد

واقول :

كأت جهنم في الخشى من حجبكم فلقد أراها نار اراهم
ثم الاسباب الثلاث الباقية التي هي من قبل المحبوب فالتصبر من الناس
فيها غير مدموم لما سنورده ان شاء الله في كل فصل منها

فمنها سار يكون في المحبوب وانزواء قاطع للاطلاع

(خبر) واني لآخبرك عني اني الفت في ايام صباي الفة المحبة جأرية نشأت في دارنا وكات في ذلك الوقت نت ستة عشر عاماً وكانت غاية في حسن وجهها وعتلها وغناها وطهارتها وخزنها ودمائها عديمة الهزل منيعة البذل بدنة البسر مسلة الستر ففيدة الذام قليلة الكلام معضوطة البصر شديدة الحذر نبيه من الميوت دائمة القلوب حلوة الاعراس مطبوعة الانقباض مايجده الصدود ررنة القعود كثيرة الوقار مستلذة النعار لا توحه الاراجي نحوها ولا تنقب المطامع عليها والامعرس للامل لديها ووجهها جال كل القلوب وحالها طارد من أمها، تردان في المنع والبخل مالايزدان غيرها بالساحة والبذل موقوفة على الحد في أمرها غير راعة في اللهو على انها كانت تحسن العود احساناً جيداً تجتحت اليها واحبتها حماً معترطاً شديداً فسميت عامين او نحوهما ان تجوي بكمة واسمع من فيها لفظة — غير مايفع في الحدث الظاهر الى كل سامع — بأع السعي لما وصلت من داء الى شئ البتة ، فلمهدي بمصطع كان في دارنا لعص مايصطع له في دور الرؤساء، نجتمع فيه دخلنا ودخله اخي رحمه الله من النساء وساء فتياها ومن لاث بنا من خدمنا ممن يحف موضه، ويلطع محله فلس صدرأ من الهار ثم تفدل الى قصة ككات في دارنا مشرفة على استان الدار وطلع منها على جميع قرطبه وخرصها (١) مفتحة الابواب فصرن بطرون من حلال الشراحيب وانا بهن فاني لآذكر اني كبت اقصد نحو الباب الذي هي فيه اسأ بفرفها متعرضاً للدو منها فما هو الا ان تراني في حوارها فتشرك دائم الالب وتقصده غيره في لطب الحركة فاعتمدنا الصد الى الباب الذي صارت اليه فتعود الى مثل ذلك العمل من الروال الى غيره ، وكات قد

علمت كلني بها ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه لانهن كن عدداً كثيراً واذا
كلهن يتنقلن من باب الى باب لسبب الاطلاع من بعض الابواب على جهات
لا يطلع من غيرها عليها ، واعلم ان قيافة النساء في من يميل اليهن احد من
قيافة مدح في الآثار ثم نزلن الى البستان فرعب عمارتنا وكرأمتنا الى سيدتها
في سماع غنائها فامرتها فاخذت العود وسوته بحجر وخجل لاعهد لي بئله وان
الشيء يتصاعف حسنه في عين مستحسنة ثم اندفعت تعي بابيات العباس ابن
الاحنف حيث يقول :

اني طربت الى شمس اذا عرت كانت معارها حوف المتعابر
شمس مثالة في خلق جارية كأن اعطافها طي الطوامير
ليست من الانس الا في مناسبة ولا من الجن الا في التصاوير
فالوجه جوهرة والحسم عهرة واريج عبيرة والكل من نور
كأنها حين تخطو في مجاسدها (١) تخطو على البيض اوحد القوارير

فلممرى لكأ المصرا ب انما يقع على قلبي وما نسيب ذلك اليوم ولا اساء
الى يوم مفارقتي الدنيا وهذا اكثر ما وصات اليه من التمكن من رقيتها وسماع
كلامها وفي ذلك اقول :

لاللهما على الفار ومنع الوص لي كم ماذا لها نكير
هل يكون الهلل غير عيد او يكون العرال غير نفود
واقول :

منعت جمال وجهك مقلتي ولفظك قد صننت به عليا
أراك ددرت للرحمن صوماً فليست تكلمين اليوم حيا
وقد غنيت للعباس شعراً هنيئا ذا لعباس هنيئا

فلو يلقاك عباس لاضحي لفوز قليلاً وكم شجياً

ثم انتقل ابي رحمه الله من دورنا المحدث (١) بالجانب الشرقي من قرطبة في ربص الراهرة الى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة بلاط مغيب في اليوم الثالث من قيام امير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة وانتقلت انا بآتقائه وذلك في جمادي الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ولم تستقل هي بآتقائنا لامور اوجبت ذلك ثم (شعلنا بعد قيام امير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وباعتداء ارباب دولته وامتحنا بالاعتقال والترقيب والاعرام القادح والاستتار وارزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصنا الى ان توفي ابي الوري رحمه الله ونحن في هذه الاحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين واربعمئة واتصل بنا تلك الحال بعدة الى ان كانت عندنا جازاه لبعض اهلنا فرأيتها — وقد ارتفعت الواعية (٢) — قائمة في انائم وسط النساء في حمة البواكي والنوادب ولقد اثارت وجداً دفيناً وحركت ساكناً ودكرتني عهداً قديماً وحماً تليداً ودهراً ماضياً ورمماً عافياً وشهوراً خوالي وانذاراً بوالي ودهوراً فوني وايماناً قد دهن وأثاراً قد دثرت ، وحددت احراي وهيجت بلابي على اني كنت في ذلك الهار مرءأ مصاباً من وجوه وما كنت نسيت والسكن راد الشحي وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وبصاعف الاسف واستجلب الواحد ما كان مه كائناً فلما محمأ فقلت قطعة منها :

يكني لب مات وهو مكرم وللحي أولى بالدموع الذوارف

ويا عحماً من آسف لامرء ثوى وما هو للمقتول طلمأ بآسف

ثم صرب الدهر صربانه واجلينا عن منازلنا وتغلب علينا جند البربر فخرجت عن قرطبة اول المحرم سنة اربع واربعائة وغابت عن بصرى بعد تلك الرؤبة

الواحدة ستة اعرام واكثر ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع واربعمائة
 فرأى على بعض نساءنا فرأتها هنالك وماكدت ان اميزها حتى قيل لي هذه
 فلاة وقد تغير اكثر محاسنها ودهنت نصارتها وفدت تلك البهجة وعاض
 ذلك الماء الذي كان يرى كالسيف الصقيل والمرآة الهذبية وذبل ذلك النوار (١)
 الذي كان المصير يفصد نحوه متموراً (٢) ويرتاد فيه منحيراً وينصرف عنه متحيراً فلم
 ينق الا البعض النقيض عن الكل والخبر المخبر عن الجميع وذلك لقله اهتبالها
 بنفسها وعدمها الصيانة التي كانت غذيت بها ايام دولتنا وامتداد ظلتها ولتبديلها
 في الخروح فيما لا بد لها منه مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك وانما النساء
 رباحين متى لم تتعاهد بقصة وثبة متى لم يهتبل بها استهدمت ولذلك قال من
 قال ان حسن الرجال اصدق صدقاً واثبت اصلاً واعتق جودة لصبه على ما
 لولائي بصبه وجود النساء لتغيرت اشد التغير مثل الهجير والسموم والرياح
 واختلاف الهواء وعدم الكن واني لو نلت منها اقل وصل وأست لي بعض
 الانس خالجت طرباً اولت فرحاً ولكن هذا النعار الذي صبرني وأسواني
 وهذا الرجة من اسباب السلو صاحبه في كلا الوجهين معذور وغير ملوم اذ
 لم يقع تثبت يوجب الوفاء ولا عهد يقتضي المحافظة ولا سلف ذمام ولا فرط
 تصادم يلام على نصيحه وسياه

ومنها جناء يكون من المحبوب فاذا أفرط فيه وأسرف وصادف من المحب
 نفساً لها بعض الانفة والعزة تسلى وادا كان الحفاء سيراً مقطعاً او دائماً او
 كبيراً منقطعاً احتمل وأعضى عليه حتى اذا كثر ودام فلا بقاء عليه ولا يلام
 الناسي لمن يحب في مثل هذا

ومنها العذر وهو الذي لا يحتمله احد ولا يفضي عليه كريم وهو المسلاة

(١) النوار كرمات الزهر (٢) كذا في الاصل ولعل الصواب مبتاراً اي مختبراً

حقاً ولا يلام السالي عنه على اي وجه كان ناسياً او متصبراً بل اللأمة لاحقة لمن صبر عليه ولولا ان القلوب بيد مقلبها لا اله الا هو ولا يكلف المرء صرف قلبه ولا احالة استحسانه ولولا ذاك لقلت ان المتصبر في سلوه مع الغدر يكاد ان يستحق الملامة والتعنيف ولادعى الى السلو عند الحر النفس وذوي الحفيظة والسري السجاياء من الغدر فما يصبر عليه الا دنيء المروءة خسيس النفس نذل الهمة ساقط الانفة وفي ذلك اقول قطعة منها :

هراك فلست اقربه غرور وانت لكل من يأتي سرير
وما ان تصبرين على حبيب فحولك منهم عدد كثير
فلو كنت الامير لما تعاطى لقاءك خوف جمعهم الامير
رايتك كالاماني ماعلى من بلم بها ولو كثروا عرور
ولاعنها لمن يأتي دماغ ولو حشد الانام لهم نغير

ثم سبب ثامن وهو لامن المحب ولا من المحبوب والسبب من الله تعالى وهو اليأس وفروعه ثلاثة إما موت وإما بين لا يرجى معه أوبة وإما عرص يدخل على المتحابين بيلة المحب التي من اجلها وثق المحبوب فيغيرها وكل هذه الوجوه من أسباب السلو والتصبر وعلى المحب الناسي في هذا الوجه المتقدم الى هذه الاقسام الثلاثة من العصاة والذم واستحقاق اسم اللوم والغدر غير قليل وان لليأس لعملاً في النفوس عجيباً وثلجاً لحر الاكباد كبيراً وكل هذه الوجوه المذكورة اولاً وآخراً فالتأني فيها واجب والتربص على اهلها حسن فيما يمكن فيه التأني ويصح لديه التربص فادا انقطعت الاطماع وانحسنت الآمال فحينئذ يقوم العذر وللشمرء فن من الشعر يذمون فيه الباكي على الدمن ويثنون على المثابر على اللذات وهذا يدخل في باب السلو ولقد اكثر الحسن بن هانئ في هذا الباب واقترح به وهو كثيراً ما يصف نفسه بالغدر الصريح في اشعاره تحكماً بلسانه واقتداراً على القول وفي مثل هذا اقول شعراً منه :

خل هذا وبادر الدهر وارحل
 واحدها بالبديع من نتهات الـ مود كـيما تحت بلزمار
 ان خيراً من الوقوف على الدار ر وقوف البنات بالاوتار
 وبدا الترجمس البديع كصب حائر الطرف مائلاً كالمدار
 لونه لون عاشق مستهام وهو لاشك هائم بالبهار

ومعاذ الله ان يكون نسيان ما درس لنا طبعاً ومعصية الله بشرب الراح لنا
 خلقاً وكساد الهمة لنا صفة ولكن حسبنا قول الله تعالى ومن اصدق من الله
 قيلاً في الشعراء « ألم تر اهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون »
 فهذه شهادة الله العزيز الجبار لهم ولكن شذوذ القائل للشعر عن مرتبة الشعر
 خطأ وكان سبب هذه الايات ان ضنا العامرية احدى كرائم المظفر عبد الملك
 ابن ابي عامر كلمتني صنعتها فاجبتها وكنت اجلها ولها فيها صنعة في طريقة
 النشيد والبسط راققة جداً ولقد انشدتها بعض اخواني من اهل الادب فقال
 سروراً بها « يجب ان توضع هذه في جملة عجائب الدنيا »

تجميع فصول هذا الباب كما ترى ثمانية : منها ثلاثة هي من الحب « اثنان
 منها » يذم السالي فيهما على كل وجه وهما الملل والاستبدال « وواحد منها » يذم
 السالي فيه ولا يذم المتصبر وهو الحياء كما قدمنا . واربعة من المحبوب منها واحد
 يذم الناسي فيه ولا يذم المتصبر وهو المحر الدائم . وثلاثة لانذم السالي فيها
 على اي وجه كان ناسياً او متصبراً وهي النفار والحفاء والغدر ووجه ثامن وهو
 من قبل الله عز وجل وهو اليأس اما يموت او بين او آفة ترمي والمتصبر في
 هذه معذور

(١) لعل الصواب « العقار » بمعنى الحمر كما يدل عليه اعتذاره بعد بقوله :
 « ومعصية الله بشرب الراح » إلخ ...

وعني اخبرك اني جبلت على طبيعتين لايهني معهما عيش ابدأ واني لا برم
بحياتي باجتماعهما واود التثب من نفسي احياناً لافقد ما أنا بسببه من النكد
من اجلهما وهما : وفاء لايشوبه تلون قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن
والظاهر تولده الالفة التي لم تعزف بها نفسي عما دريته ولا تتطلع الى عدم من
صحبه . وعزة نفس لانقر على الضيم مهتمة لاقول مايرد عليها من تغير المعارف
مؤثرة للمرت عليه فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها واني
لاجنى فاحتمل واستعمل الالانة الطويلة والتلوم الذي لا يكاد يطيقه احد فاذا
افرط الامر وحيت نفسي تصبرت وفي القلب مافيه وفي ذلك اقول قطعة منها :-

لي خلتان اذاقاني الاسى جرعاً ونفصا عيشتي واستهلكا جلدي

ككلماتها تطيبي نحو جباتها كالصيد ينشب بين الذئب والاسد

وفاء صدق ما فارقت ذا مقه فزال حزني عليه آخر الابد

وعزة لا يحل الضيم ساحتها صرامة فيه بالاموال والولد

ومما يشبه ما نحن فيه وان كان ليس منه ان رجلاً من اخواني كنت حالته
من نفسي محلها واسقطت المؤونة بني وبينه واعدته ذخراً وكنزاً وكان كثير
السمع من كل قائل فذب ذو النسيمة بني وبينه فحاكوا فيه وانجح سعيهم عنده
فانقبض عما كنت اعده فتربصت عليه مدة في مثلها اوب الغائب ورضى العاتب
فلم يزد الا انقباضاً فتركته وحاله



﴿ باب الموت ﴾

وربما ترايد الامر ورق الطبع وعظم الاشفاق فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا وقد جاء في الآثار (من عشق ففغ فمات فهو شهيد) وفي ذلك اقول قطعة منها :

فان أهلك هوى أهلك شهيداً وان تمنى بقيت قرير عين
روى لنا هذا قوم ثقات ثووا بالصدق عن جرح ومين

ولقد حدثني ابو السرى عمار بن زياد صاحبنا عن يثق به ان الكاتب ابن قزمان امتحن بمحنة أسلم بن عبد العزيز اخي الحاجب هاشم بن عبد العزيز وكان اسلم غاية في الجمال حتى اضجعه لما به ووقعه في اسباب المنية وكان اسلم كثير الامام به والزيارة له ولاعلم له بانه اصل دائه الى ان توفي اسفاً ودنفاً قال المخبر فاخبرت اسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال هلا اعلمتني فقلت ولم قال كنت والله ازيد في صلته وما اكاد افارقه فاعلى في ذلك ضرر وكان أسلم هذا من اهل الادب البارع والتفنن مع حفظ من الفقه وافر وذا بصارة في الشعر وله شعر جيد وله معرفة بالالغاي وتصرفها وهو صاحب تأليف في طرائق غناء زرياب واخباره وهو ديوان عجيب جداً وكان احسن الناس خلقاً وخلقاً وهو والد ابي الجعد الذي كان ساكناً بالجانب الغربي من قرطبة

وانا اعلم جارية كانت لبعض الرؤساء فعزف عنها لشيء بلغه في جبتها لم يكن يوجب السخط فباعها فجزعت لذلك جزعاً شديداً وما فارقتها النحول والاسف ولابان عن عينها الدمع الى ان سلت وكان ذلك سبب موتها ولم تمش بعد خروجها عنه الا اشهرأ ليست بالكثيرة . ولقد اخبرتني عنها امرأة اثق بها أنها لقيتها وهي قد صارت كالحبال نحولا ورقة فقالت لها احسب هذا الذي

بك من محبتك لفلان فتفتست الصعداء وقالت والله لانسيته ابدأ وان كان جفاني
بلا سبب وما عاشت بعد هذا القول الايسيراً
وانا اخبرك عن ابي بكر اخي رحمه الله وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند صاحب
الثغر الاعلى ايام المصور ابي عامر محمد بن عامر وكانت التي لا مرمى وراها
في جمالها وكريم خلاها ولاتأني الدنيا بمثلها في فضائلها وكان في حد الصبي
وتمكن سلطانه . يقضب كل واحد منهما الكلمة التي لا قدر لها فكان لم يرالا
في تغاضب وتعاتب مدة ثمانية اعوام وكانت قد شها حبه واضاهها . الوجد فيه
وانحلها شدة كلفها به حتى صارت كالخيال المتوسم دنفاً لايلها من الدنيا شيء
ولاسر من اموالها على عرضها وتكاثرها بقليل ولا كثير اذ فاتها انمافه معها
وسلامته لها الى ان توفي اخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر
ذي القعدة سنة احدى واربعائة وهو ابن اثنين وعشرين سنة فما انكبت منذ
بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول الى ان ماتت بعده بعلم في اليوم
الذي اكمل هو فيه تحت الارض عاماً . ولقد اخبرني عنها امها وجميع حوارها
انها كانت تقول بعده مايقوي صبري ويسكن روعي في الدنيا ساعة واحدة بعد
وفاته الاسروري وتيقني انه لا يصمه وامراً مضجع ابدأ فقد امس هذا الذي
ما كنت اتخوف غيره واعظم آمالي اليوم . الاحاق به . ولم يكن له واما ولا
معها امرأة غيرها وهي كذلك لم يكن لها عبره فكان كما قدرت . الله لها
ورضي عنها

واما خبر صاحبنا ابي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمي
المعروف بابن الطائي فانه كان رحمه الله كاهن قد خلق الحسن على مثله اوخلق
من نفس كل من رآه (١) لم اشاهد له مثلاً حسناً وجمالاً وخلفاً وعده وانصاواناً

(١) فيه اشارة الى قول الشاعر :

كأنك من كل النفوس مكون فانت الى كل النفوس حبيب

وإدباً وفهماً وحلماً ووفاء وسؤدداً وطهارة وكرماً ودمانة وحلاوة ولباقة وأعضاء وعقلاً ومرؤة ودبناً ودراية وحفظاً للقرآن والحديث والنحو واللغة وشاعراً مقلقاً وحسن الخط وبلغاً مفتناً مع حظ صالح من الكلام والجدل وكان من غلمان أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي استاذي في هذا الشأن وكان بينه وبين أبيه اثنا عشر عاماً في السن وكنت أنا وهو متقاربين في الاسنان وكنا أليفين لانتفرق ، وخدين لايحجري الماء بيننا صفاء الى ان القت الفتنة جرانها وارخت عراياها ووقع انتهاج جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة وتزولهم فيها وكان مسكن أبي عبد الله في الجانب الشرقي ببلاط مغيت وتقلبني في الامور الى الخروج عن قرطبة وسكني مدينة المرية فكنا تنهادي النظم والنثر كثيراً وآخر ما حاطبني به رسالة في درجها هذه الايات :

ليت شعري عن جبل ودك هل يـ سي جديداً لدي غير رثيث
وأراني أرى محياك يوماً وأناجيك في بلاط مغيت
فلو ان الديار ينهضها الشو ق أنك البلاط كالمستغيت
ولو ان القلوب تستطيع سيراً سار قلبي اليك سير الحثيث
كـ كما شئت لي فاني مح ليس لي غير ذكركم من حديث
لك عندي وان تاسيت عهداً في صميم الفؤاد غير نكيت

فكنا على ذلك الى ان انقطعت دولة بني مروان وقتل سليمان الظافر امير المؤمنين وطهرت دولة الطالبية وبوع علي بن حمود الحسني المسمى بالناصر بالخلافة وتعلب على قرطبة وتملكها واستمر في قتاله اياها بجيوش المتغلين والثوار في اقطار الاندلس وفي اثر ذلك نكبني خيران صاحب المرية اذ نقل اليه من لم يتقى الله عر وجل من الباعين — وقد انتقم الله منهم عني وعن محمد ابن اسحق صاحبي — انا نسعى في القيام بدعوة الدولة الاموية فاعتقلنا عند نفسه اشهرأ ثم اخرجنا على جهة التغريب فصرنا الى حصن القصر ولقينا صاحبه ابو القاسم

عبد الله بن هذيل النجبي المعروف بابن المقفل فاقنا عنده شهوراً في خير دار
 اقامة وبين خير اهل وجيران وعند اجل الناس همه واكملهم معروفاً واتمهم
 سيادة ثم ركبنا البحر قاصدين ببلنسية عند ظهور امير المؤمنين المرتضى عبد
 الرحمن بن محمد وسكناه بها فوجدت ببلنسية ابا شاكر عبد الرحمن بن محمد ابن
 موهب العبدي صديقنا فعنى الي ابا عبد الله بن الطنبى واخبرني بموته رحمه الله
 ثم اخبرني بعد ذلك بمديدة القاضي ابو الوليد يونس بن محمد المرادي وابو عمرو
 احمد بن محرز ان ابا بكر المصعب بن عبد الله الازدي المعروف بابن الفرضي
 حدثهما وكان والد المصعب هذا قاضي ببلنسية ايام امير المؤمنين المهدي وكان
 المصعب لدا صديقاً وأخاً واليفاً ايام طلبنا الحديث على والده وسأر شيوخ المحدثين
 بقرطبة ، قالوا : قال لنا المصعب سألت ابا عبد الله بن الطنبى عن سبب علته
 وهو قد نحل وخفيت محاسن وجهه بالضنى فلم يبق الا عين جوهرها الخبر عن
 صفاتها السالفة وصار يكاد ان يطيره النفس وقرب من الانحناء والشجا باد على
 وجهه ونحن منفردان فقال لي نعم اخبرك اني كنت على باب داري بقديد الشمس
 في حين دخول علي بن حمود قرطبة والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب
 فرأيت في جملتهم فتى لم أقدر ان للحسن صورة قائمة حتى رأيت فغلب على عقلي
 وهام به لبي فسألت عنه فقبل لي هذا فلان ابن فلان من سكان جهة كذا
 ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ فيئست عن (١) رؤيته بعد ذلك ولعمري
 يا أبا بكر لا فارقتي حبه او يوردني رمسي فكان كذلك وانا اعرف ذلك الفتى
 وادريه وقد رأيت لكني اضربت من اسمه لانه قد مات والحق كلاهما عند الله
 عز وجل عفا الله عن الجميع هذا على ان ابا عبد الله اكرم الله نزله ممن لم
 يكن له وله قط ولا فارقت الطريقة المثلى ولا وطيء حراماً قط ولا قارف مسكراً
 ولا اتى منهياً عنه يحل بدينه ومرؤته ولا قارض من جفا عليه وما كان في طبقتنا

مثله ثم دخلت انا قرطبة في خلافة القاسم بن حمود المأمون فلم اقدم شيئاً على قصد ابي عمرو القاسم بن يحيى التميمي اخي عبد الله رحمه الله فسألته عن حاله وعزيتة عن اخيه وما كان أولى بالتعزية عنه مني ثم سألتها عن اشعاره ورسائله اذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالنهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه الحكاية فاخبرني عنه انه لما قربت وفاته وايقن بحضور المنية ولم يشك في الموت دعا بجميع شعره وبكتبي التي كنت خاطبته انا بها فقطعها كلها ثم امر بدفنها قال ابو عمرو فقلت له يا اخي دعها تبقى فقال اني اقطعها وانا ادري اني اقطع فيها ابدأ كثيراً ولكن لو كان ابو محمد يعني حاضراً لدفعتها اليه تكون عنده تذكرة لمودتي ولكني لا اعلم اي البلاد اضمرته ولا أخي هو ام ميت وكانت نكتبي اتصلت به ولم يعلم مستقري ولا الى ما آل امري فمن مراني له قصيدة منها :

لئن سترتك بطون اللحد فوجدني بعدك لا يستر
قصدت ديارك قصد المشوق وللدهر فينا كروور ومر
فألفيتها منك قفراً خلاء فاسكبت عيني عليك العبر

وحدثني ابو القاسم الهمداني رحمه الله قال كان معنا ببغداد (١) اخ لعبد الله ابن يحيى بن احمد بن دحون الفقيه الذي عليه مدار الفتيا بقرطبة وكان اعلم من اخيه واجل مقداراً ما كان في اصحابنا ببغداد مثله وانه اجتاز يوماً بدرب قطنه في زقاق لا ينفذ فدخل فيه فرأى في اقضاء جارية واقفة مكشوفة الوجه فقالت له يا هذا ان الدرب لا ينفذ قال فنظر اليها فهم بها قال وانصرف الينا فتزايد عليه امرها وخشي الفتنة فخرج الى البصرة فمات بها عشقاً رحمه الله وكان فيما ذكر من الصالحين

(حكاية) لم ازل اسمها عن بعض ملوك البرابر ان رجلاً اندلسياً باع جارية كان يجد بها وجداً شديداً لفاقة اصابته من رجل من اهل ذلك البلد ولم يظن بائعها ان نفسه تتبعها ذلك التببع فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الاندلسي تخرج فأتى الى الذي ابتاعها منه وحكمه في ماله اجمع وفي نفسه فأبى عليه فتحمل عليه باهل البلد فلم يسعف منهم احد فكاد عقله ان يذهب ورأى ان يتصدى الى الملك فتعرض له وصاح فسمعه فامر بادخاله والملك قاعد في علية له مشرفة عالية فوصل اليه فلما مثل بين يديه اخبره بقصته واسترحه وتضرع اليه فرق له الملك فأمر باحصار الرجل المتباع فحضر فتمال له هذا رجل غريب وهو كما تراه وانا شفيعه اليك فأبى المتباع وقال انا اشد حبا لها منه واخشى ان صرفتها اليه ان استغيت بك غداً وانا في اسوأ من حالته فرام به الملك ومن حواله في اموالهم فأبى ولج واعتذر بمحبته لها فلما طال المجلس ولم يروا منه البتة جنوحاً الى الاسعاف قال للاندلسي يا هذا مالك بيدي اكثر مما ترى وقد جهدت لك بأبلغ سعي وهو تراه يعتذر بانه فيها احب منك وانه يخشى على نفسه شراً مما انت فيه فاصبر لما قضى الله عليك فقال له الاندلسي فإني بيدك حيلة قال له وهل هاهنا غير الرغبة والبذل ما يستطيع لك اكثر فلما يئس الاندلسي منها جمع يديه ورجليه وانصب من اعلى العلية الى الارض فارتاع الملك وصرخ فابتدر الغلمان من اسفل ففرضى انه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أدى فصعد به الى الملك فقال له ماذا اردت بهذا فقال ايها الملك لاسبيل لي الى الحياة بعدها ثم هم ان يرمي نفسه ثانية فتنع فقال الملك الله اكبر قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة ثم التفت الى المشتري فقال يا هذا انك ذكرت انك اود لها منه وتخاف ان تصير في مثل حاله فقال نعم قال فان صاحبك هذا ابدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا ان الله عز وجل وقاه فانت قم فصحيح حبك ورام من اعلى هذه القصة كما

فعل صاحبك فان مت فأجلك وان عشت كنت اولى بالجارية اذ هي في يدك
ويتضي صاحبك عنك وان ايت نزع الجارية منك رغماً ودفعها اليه فتمنع ثم
قال أترامى فلما قرب من الباب ونظر الى الهوى تحته رجع القهقرى فقال له
الملك هو والله ماقلت فهم ثم نكل فلما لم يقدم قال له الملك لا تلاعب بنا
يا غلمان خذوا بيديه وارموا به الى الارض فلما رأى العزيمة قال ايها الملك قد
طابت نفسي بالجارية فقال له جزاك الله خيراً فاشترها منه ودفعها الى بائعها
وانصرفا

﴿ باب قبس المعصية ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى وكثير من الناس يطيعون انفسهم ويعصون
عقولهم ويتبعون اهواءهم ويرفضون اديانهم ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه
ورتبته في الالباب السليمة من العمة وترك المعاصي ومقارعة الهوى ومخالفة الله
ربههم وبوافقون البليس فيما يحبه من الشهوة المعطبة فيوافقون المعصية في حبه
وقد علمنا ان الله عز وجل رك في الانسان طبيعتين متضادتين احدهما لاتشير
الابحيز ولا تحض الاعلى حسن ولا يتصور فيها الاكل امر مرضي وهي العقل
وتأئده العدل واثابة ضد لها لاتشير الا الى الشهوات ولا تقود الا الى الردى
وهي النفس وقائدها الشهوة والله تعالى يقول ﴿ ان النفس لأمارة بالسوء ﴾ وكفى
بالقلب عن العقل فقال ﴿ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او اتقى السمع وهو
شهيد ﴾ وقال تعالى ﴿ وحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ﴾ وخاطب اولى
الالباب فهاتان الطبيعتان قطبان في الانسان وهما قوتان من قوى الجسد الفعال
بهما ومطرحان من مطارح شعاعات هذين الجوهرين المعجيين الرفيعين العلويين
ففي كل جسد منهما حظ على قدر مقابلته لها في تقدير الواحد الصمد تقدست
اسماؤه حين خنقه وهياه . فهما يتقابلان ابدأ ويتنازعان دأباً فاذا غلب العقل

النفس ارتدع الانسان وقع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله واتبع العدل واذا غلبت النفس العقد عميت البصيرة ولم يصح الفرق بين الحسن والقيبح وعظم الالتباس وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة وبهذا حسن الامر والنهي ووجب الاكتمال وصح الثواب والعقاب واستحق الجزاء . والروح واصل بين هاتين الطبيعتين وموصل ما بينهما وحامل الالتقاء بهما . وان الوقوف عند حد الطاعة لمعدوم الامع طول الرياضة وصحة المعرفة ونفاذ التمييز ومع ذلك اجتناب التعرض للفتن ومداخلة الناس جملة والجلوس في البيوت ، وبالحرى ان تقع السلامة المضمونة او يكون الرجل حصوراً لا ارب له في النساء ولا جارحة له تعينه عليهن قديماً وورداً (من وقى شر لقلقه وبقبحه وذبحه فقد وقى شر الدنيا بحذاقها) .
والقلق اللسان والقبب البطن والذبذب الفرج ولقد اخبرني ابو حفص الكاتب هو من ولد روح بن زنباع الجذامي انه سمع بعض التسمين باسم الفقه من اهل الرواية المشاهير وقد سئل عن هذا الحديث فقال القبيبة البطيخ . وحدثنا احمد ابن محمد بن احمد ، ثنا وهب بن مسرة ومحمد بن ابى دايم عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن انس عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل (من وقاه الله شر اثنتين دخل الجنة) فسئل عن ذلك فقال (ما بين لحيه وما بين رجله) واني لاسمع كثيراً ممن يقول : الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء فاطيل العجب من ذلك وان لي قولاً للاحول عنه : الرجال والنساء في الجنوح الى هذين الشئيين سواء ومارجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال ذلك ولم يكن ثم من مانع الا وقع في شرك الشيطان واستهوته المعاصي واستفزه الحرص وتغوله الطمع وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة الا وأمكته حتماً مقضياً وحكماً نافذاً لا يحيد عنه البتة

ولقد اخبرني ثقة صدق من اخواني من اهل التمام في الفقه والكلام والمعرفة

وذو صلابة في دينه انه احب جارية نبيلة اديبة ذات جمال بارع قال فعرضت لها ففترث ثم عرضت فأبّت فلم يزل الامر يطول وحبها يزيد وهي مما لا تطيع البتة الى ان حملني فرط حبي لها مع عمي الصبي على ان نذرت اني متى نلت منها مرادي ان اتوب الى الله توبة صادقة قال فما مرت الايام والليالي حتى اذعنت بعد شماس ونفار فقلت له ابا فلان وفيت بعدك فقال اي والله فضحكت وذكرت بهذه الفعلة ما لم يزل يتداول اسماعنا من ان في بلاد البربر التي تجاور اندلسنا يتوب (١) الفاسق على انه اذا قضى وطره ممن اراد ان يتوب الى الله ، فلا يمنع من ذلك وينكرون على من تعرض له بكلمة ويقولون له أتحرم رجلاً مسلماً التوبة . قال ولمهدي بها تبكي وتقول والله لقد بلغتني مبلغاً ما خطر قط لي ببال ولا قدرت ان اجيب اليه احداً . ولست ابعد ان يكون الصلاح في الرجال والنساء موجوداً واعوذ بالله ان اظن غير هذا واني رأيت الناس يغفلون في معنى هذه الكلمة اعني الصلاح غلطاً بعيداً والصحيح في حقيقة تفسيرها ان الصالحة من النساء هي التي اذا ضبطت انضبطت واذا قطعت عنها الذرائع امسكت والفاسدة هي التي اذا ضبطت لم تضبط واذا حيل بينها وبين الاسباب التي تسهل الفواحش تحيلت في ان توصل اليها بضروب من الحيل . والصالح من الرجال من لا يداخل اهل الفسوق ولا يتعرض من المناظرة الجالبة للاهواء ولا يرفع طرفه الى الصور البديعة التركيب والفاسق من يعاشر اهل النقص وينشر بصره الى الوجوه البديعة الصنعة ويتصدى للمشاهد المؤذية ويحب الحلوات المهلكات . والصالحان من الرجال والنساء كالنار الكامنة في الرماد لا تحرق من جاورها الا بان تحرك والفاسقان كالنار المشتعلة تحرق كل شيء . واما امرأة مهملة ورجل متعرض فقد هلكا وتلفا . ولهذا حرم على المسلم الالتذاذ بسباع

(١) لعلها (يتعهد) او مافي معناها

نعمة امرأة اجنبية وقد جملت النظرة الاولى لك والاخرى عليك . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تأمل امرأة وهو صائم حتى يرى حجب عظامها فقد افطر) وان في ماورد من النهي عن الهوى بنص التنزيل لشيئا مقنعا وفي ايقاع هذه الكلمة اعني الهوى اسما على معان واشتقاقها عند العرب وذلك دليل على ميل النفوس وهويها الى هذه المقامات . وان التمسك عنها مقارع لنفسه محارب لها

وشيء اصفه لك تراه عيانا وهو اني مارأيت قط امرأة في مكان تحس ان رجلا يراها او يسمع حسها الا وحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمنزل واثت بكلام رائد كانت عنه في غنية ، مخالفين لسلامها وحركتها قبل ذلك . ورأيت التهمم لخارج لفظها وهيئة ثقلها لانحما فيها ظاهرا عليها لاختفاء به . والرجال كذلك اذا احسوا بالنساء . واما اظهار الزينة وترتيب المشي وايقاع المزج عند خطور المرأة بالرجل واجتياز الرجل بالمرأة فهذا اشهر من الشمس في كل مكان والله عز وجل يقول (قل للمؤمنين بغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم) وقال تفسدت اسماؤه (ولا يضررن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) فلو علم الله عز وجل برقة اغماضهن في السعي لايصال جبهن الى القلوب ولطف كيدهن في التحيل لاستجلاب الهوى لما كشف الله عن هذا المعنى البعيد الغامض الذي ليس وراءه مرمى وهذا حد التعرض وكيف بما دونه

وانه اطلعت من سر معتقد الرجال والنساء في هذا على امر عظيم واصل ذلك اني لم احسن قط باحد ظنا في هذا الشأن مع غيره شديدة ركبت في . وحدثنا ابو عمرو احمد بن محمد بن احمد ، ثنا احمد ، ثنا محمد بن علي ابن رفاعة ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الغيرة من الايمان) فلم ازل باحثا عن اخبارهن كاشفا عن اسرارهن وكس قد أنسن مني بكتمان فمكن يطلعنني

على غوامض امورهن ولولا ان اكون منبهاً على عورات يستعاذ بالله منها لاوردت من تنبهن في الشر ومكرهن فيه عجائب تذهل الالباء
واني لاعرف هذا واقفته ومع هذا يعلم الله وكفى به عليهما اني بريء الساحة
سليم الاديم صحيح البشرية نقي الحجرة واني اقسم بالله اجل الاقسام اني ماحلات
متزري على فرج حرام قط ولايحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت الى يومي هذا
والله المحمود على ذلك والمشكور فيما مضى والمستصم فيما بقي
حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاج
المعافري — وانه لافضل قاض رأيته — عن محمد بن ابراهيم الطايطي عن
القاضي بمصر بكر بن العلاء في قول الله عز وجل ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾
ان لبعض المتقدمين فيه قولاً وهو ان المسلم يكون مخبراً عن نفسه بما انعم الله
تعالى به عليه من طاعة ربه التي هي من اعظم النعم ولاسيما في المقترص على
المسلمين اجتنائه واتباعه وكان السبب فيما ذكرته اني كنت وقت تأحج نار
الصبي وشرة الحدانة ومكس غرارة الفتوة مقصوداً محظراً على بين رقباء
ورقائب ، فلما ملكت نفسي وعقلت صحت انا عبي الحسين بن علي الغاسي في
مجلس ابا القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد الاردني شيخنا واستاذي رضي الله
عنه وكان ابو علي المذكور عاقلاً عاملاً عالماً من تقدم في الصلاح والاسك
الصحيح في الرهد في الدنيا والاجتهاد الاخرة واحسبه كان حضوراً لاه لم
تكن له امرأة قط وما رأيت مثله جلة علماً وعملاً ودينياً وورعاً فنفعني الله به كثيراً
وعلمت موقع الاساءة وقبح المعاصي . وها ان ابو علي رحمه الله في طريق الحج
ولقد ضمني المبيت ليلة في بعض الايام عند امرأة من بعض معارف مشهورة
بالصلاح والخير والحزم ومعها جارية من لجنس قريابها من اللاتي قد صمها معي
النشأة في الصبي ثم غبت عنها اعواماً كثيرة . وكنت تركتها حين اعصرت (١)

ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب وتفجرت عليها ينابيع
الملاحة فترددت وتحيرت ، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فاشرقت وتوقدت
وانبعت في خديها ازاهير الجمال فتمت واعتمت فانت كما اقول :

خريدة صاغها الرحمن من نور جلت ملاحظتها عن كل تقدير
لوجاءني عملي في حسن صورتها يوم الحساب ويوم النفخ في الصور
لكنني أحظى عباد الله كلهم بالجنين وقرب الخرد الحور

وكانت من اهل بيت صباحة وقد ظهرت منها صورة تميز الوصاف ، وقد
طبق وصف شبابها قرطبة فبت عندها ثلاث ليال متوالية ولم تحجب عني على
جاري العادة في التربية فلعمري لقد كاد قلبي ان يصبو ويثوب اليه مرفوض
الهوى ويعاوده منسي الغزل ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفاً
على لبي ان يزدهيه الاستحسان . ولقد كانت هي وجميع اهلها ممن لاتعدى
الاطاع اليهن ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل وفي ذلك اقول :

لاتتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن
ابليس حي لم يمت والعين باب للفن

وافول :

وقائل لي هذا ظن يربك غيا
فقلت دع عنك لومي أليس ابليس حيا

وما اورد الله تعالى علينا من قصة يوسف بن يعقوب ودادود بن ايشي رسل
الله عليهم السلام الا ليعلمنا نقصاننا وفاقتنا الى عصمته وان بيتنا مدخولة ضعيفة
فاذا كانا صلى الله عليهما وهما نبيان رسولان ابناء انبياء رسل ومن اهل بيت
نبوة ورسالة متكررين في الحفظ مغموسين في الولاية محفوفين بالكلاءة مؤيدين
بالعصمة لايجعل للشيطان عليهما سبيل ولا فتح لوسواسه نحوهما طريق وبلغا
حيث نص الله عز وجل علينا في قرآنه المنزل بالجليلة الموكلة والطبيع البشري

والحلقة الاصلية لا تعتمد الحُطِيئة ولا القصد اليها اذ النيون مبرؤون من كل ما خالف طاعة الله عز وجل لكنه استحسان طبعي في النفس للصور فمن ذا الذي يصف نفسه بملكها ويتعاطى ضبطها الا بحول الله وقوته . واول دم سفك في الارض قدم احد ابني آدم على سبب المنافسة في النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ باعدوا بين انفاس الرجال والنساء ﴾ وهذه امرأة من العرب تقول وقد حبلت من ذي قرابة لها حين سئلت : ما يبطئك ياهند فقالت قرب الوساد وطول السواد . وفي ذلك اقول شعراً منه :

لا تلم من عرض النفس لما ليس يرضى غيره عند المحن
لا تقرب عرجاً من هُب ومتى قربته قامت دخن
لا تصرف ثقة في احد فسد الناس جميعاً والزمن
خلق النسوان للفحل كما خلق الفحل بلا شك لهن
كل شكل يتشهى شكله لا تكن عن احد تني الظن
صفة الصالح من ان صنته عن قبيح اظهر الطوع الحسن
وسواه من اذا ثقفته اعمل الحيلة في خلع الرسن

واني لاعلم فتى من اهل الصيانة قد اولع بهوى له فاجتاز بعض اخوانه فوجده قاعداً مع من كان يحب فاستجلبه الى منزله فاجابه الى منزله بامثال المسير بعده فضى داعيه الى منزله وانتظره حتى طال عليه التربص فلم يأتها فلما كان بعد ذلك اجتمع به داعيه فعدد عليه واطال لومه على اخلافه موعده فاعتذر وورى فقلت انا للذي دعاه انا اكشف عذره صحيحاً من كتاب الله عز وجل اذ يقول ﴿ ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا اوزاراً من زينة القوم ﴾ . فضحك من حضر وكلفت ان اقول في ذلك شيئاً فقلت :

وجرحك لي جرح جبار فلان لم
ولكن جرح الحب غير جبار
وقد صارت الحيلان وسط بياضه
كنيلوفر حفته روض بهار

وكم قال لي من مت وجداً بحبه مقالة محلول المقالة زاري
وقد كثرت مني اليه مطالب أخ عليه تارة وأداري
أما في التوائى ما يرد غلة ويذهب شوقاً في ضلوعك ساري
فقلت له لو كان ذلك لم تكن عداوة جار في الانام لجار
وقد تراءى العسكران لدى الوغى وبينهما للموت سبل بوار

ولي كلتان قلتها معرضاً بل مصرحاً برجل من اصحابنا كنا نعرفه كلنا من
اهل الطب والعناية والورع وقيام الليل واقتفاء آثار النساك وسلوك مذاهب
المصوفين القدماء باحثاً مجتهداً ولقد كنا نتجنب المزاج بمحضته فلم يمض الزمن
حتى مكن الشيطان من نفسه وقتك بعد لباس النساك وملك ابليس من خطامه
فسول له الغرور وزين له الويل والثبور وأجره رسنه بعد اباء واعطاء ناصيته
بعد شماس فخب في طاعته واوضع واشتهر بعد مادكرته في بعض المعاصي القبيحة
الوضرة ولقد اطلت ملامه وتشددت في عذابه اذ اعلن بالعضية بعد استتار الى
ان افسد ذلك ضميره علي وخبت نيته لي وتربص في الدوائر السوء وكان بعض
اصحابنا يساعده بالكلام استجراراً اليه فيأس به وبظهر له عداوتي الى ان
اظهر الله سريره فلعلمها البادي والحاضر وسقط من عبون الناس كلهم بعد ان
كان مقصداً للعلماء ومتاباً للفصلاء وردل عند اخوانه حجة اعاذنا الله من البلاء
وسترنا في كفايته ولاسلبنا ما بنا من نعمته فيآسؤناه لمن بدأ بالاستقامة ولم يعلم
ان الحذلان يحل به وان العصمة ستفارقه لا اله الا الله ما اشنع هذا واقطعه
لقد دهمته احدى بنات الحرس والفت عصاها به ام طبق من كان لله اولاً ثم
صار للشيطان آخراً ومن احدى الكلمتين :

اما الغلام فقد حانت فضيخته وانه كان مستوراً ففد هتكا
ما زال يضحك من اهل الهوى عجباً فالآن كل جهول منه قد ضحكا
اليك لا تلج صباً هاتماً كلفاً يرى التهلك في دين الهوى نسكا

ذو مخبر وكتاب لا يفارقه نحو المحدث يسعى حيث ماسا سكا
فاعتاض من سمر اقلام بنان فتى كأنه من لحين صيغ او سبكا
يا لآثمى سمهاً في ذاك قل فلم تشهد جينين يوم الملتقى اشتبكا
دعني ووردي في الآبار اطلبه اليك غني كذا لا ابتغي البركا
اذا تعففت غف الحب عنك وان تركت يوماً فان الحب قد تركا
ولا تحل من الهجران منعقداً الا اذا ما حلت الازر والتسككا
ولا تصحح للسلطان مملكة او تدخل البرد عن انفاذه السككا
ولا بغير كثير المسح يذهب ما يعلو الحديد من الاصداء ان سبكا

وكان هذا المذكور من اصحابنا قد احكم القراءات احكاماً جيداً واختصر
كتاب الانبارى في الوقف والابتداء اختصاراً حسناً اعجب به من رآه من
المقرئين وكان دائماً على طلب الحديث وتقييده (واكثر ذهنه) هو المتولى لقرآنة
ما يسمعه على الشيوخ المحدثين مثابراً على النسخ مجتهداً به فلما امتحن بهذه
البلية مع بعض العلماء رفض ما كان معنياً به وباع اكثر كتبه واستحال
استحالة كلية نعوذ بالله من الخذلان وقلت فيه كلمة وهي التالية للكلمة التي
ذكرت منها في اول خبره ثم تركتها وقد ذكر ابو الحسين احمد بن يحيى ابن
اسحق الرويني في كتاب اللفظ والاصلاح ان ابراهيم بن سيار النظام رأس
المعتزلة مع علو طبقته في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة تسبب الى ما حرم
الله عليه من فتى نصراني عشقه بان وضع له كتاباً في تفضيل الثلاث على
التوحيد فياغوته عياذك يارب من تولى الشيطان ووقع الخذلان وقد يعظم البلاء
ونكذب الشهوة ويهون القبيح ويرق الدين حتى يرضى الانسان في جنب وصوله
الى مراده بالقبائح والفضائح كمثل مادهم عبيد الله بن يحيى الازدي المعروف
بان الجزيري فانه رضي باهمال داره واباحة حريمه والتعرض بأهله طمعاً في الحصول
على بغيته من فتى كان علقه نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحيطة وتحسين آثارنا

واطابة اخبارنا حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمّر به المحافل وتصاغ فيه الاشعار وهو الذي تسميه العرب الديوث (وهو مشتق من التدبث وهو التسهيل وما بعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل ومنه بئر مديث اي مذلل) ولعمري ان الغيرة لتوجد في الحيوان بالحنقة فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة وما بعد هذا مصاب . ولقد كنت اعرف هذا المذكور مستوراً الى ان استهواه الشيطان ونعوذ بالله من الخذلان ، وفيه يقول عيسى بن محمد ابن حمل الحولاني :

ياجاعلاً اخراج حر نساءه شركاً لصيد جآذر الغزلان
اني أرى شركاً يمزق ثم لا تحظى بغير مذلة الحرمان
واقول انا ايضاً :

أباح ابو مروان حر نساءه لبايع ما يهوى من الرشاء الفرد
فعاثته الديوث في قبج فواهه فأشدني انشاد مستبصر جلد
أمد كنت ادركت المي غير أبي يعيرني قومي بادراكها وحدي
واقول ايضاً :

رأيت الجزيري فيما يعاني قلب الرشاد كثير السفاه
يدب ويبتاع عرضاً بعرض أمور وجدك ذات اشتباه
ويأخذ ميماً باعطاء هاء الا هكذا فليكن ذوالنواهي
ويسدل ارضاً تغدي النبات بأرض تحف بشوك الغصاه
لقد خاب في تجره ذو ابتاع مهب الرياح بمجرى المياه

واند سمعته في المسجد الجامع يستعذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان ومما يشبه هذا اني اذكر اني كنت في مجلس فيه اخوان لنا عند بعض مياسير اهل بلدنا فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة ايضاً من اهل صاحب المجلس امرأ انكرته وغمرأ استبشعته وخلوات الحين بعد الحين

وصاحب المجلس كالغائب او النائم فنبته بالتعريض فلم ينتبه وحررته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت اكرره عليه يتبين قديمين لعله يفطن وهما هذان :
ان اخوانه المقيمين بالأمم س اتوا للزناء للالغناء
قطعوا امرهم وانت حمار موقر من بلادة وعياء
واكثر من انشادهن حتى قال لي صاحب المجلس قد املتنا من سماعها
مفضل بتركها او انشاد غيرها فامسكت وانا لا ادري أعافل هو ام متغافل وما
اذكر اني عدت الى ذلك المجلس بعدها وقلت فيه قطعة منها :

انت لاشك احسن الناس ظناً وبقيناً ونية وضميراً
فانتبه ان بعض من كان بالام س جليساً لنا يعاني كبيراً
ليس كل الركوع فاعلم صلاة لا ولا كل ذي لحاظ بصيراً

وحدثني ثعلب بن موسى الكلاداني قال حدثني سليمان بن احمد الشاعر
قال حدثني امرأة اسمها هند كنت رأيته في المشرق وكانت قد حجت خمس
حجات وهي من المتعبدات المجتهدات قال سليمان فقالت لي يا ابن اخي لاتحسن
الظن بالمرأة قط فاني اخبرك عن نفسي بما يعلمه الله عز وجل . ركبت البحر
منصرفه من الحج وقد رفضت الدنيا وانا خامسة خمس نسوة كلهن قد حججن
وصرنا في مركب في بحر القلزم (١) وان للشعراء من لطف التعريض عن الكناية
لعجباً ومن بعض ذلك قولي حيث اقول :

أناي وماء المزن في الجوى سفك كمحض لبن اذ يمد ويسبك
هلال الدياجي انحط من جوافقه فقل في محب نل ما ليس يدرك
وكان الذي ان كنت لي عنه ساءلاً فإني جواب غير اني أضحك
أفرط سرودي خلتي عنه نائماً فيا عجباً من موقن يشكك

(١) ثم ذكرت قصة تحمل على اساءة الظن بالمرأة

واقول ايضاً قطعة منها :

أنتي وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى لالنوايس
كحاجب الشيخ عم الشيد أكثره وأخص الرجل في لطف وتقويس
ولاح في الافق قوس الله مكتسباً من كل لون كأذ ناب الطواويس

وان فيما يبدو النيامن تعادي المتواصلين في غير ذات الله تعالى بعد الالفه وترا برهم
بعد الوصال وتقاطعهم بعد المودة وتباعضهم بعد المحبة واستحككم الصفائ وتأكّد
السحائم في صدورهم لكاشفاً ناهياً لو صادف عقولا سليمة وآراء نافذة وعرائم
صحيحة فكيف بما اعد الله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفي دار الجراء
ومن الكشف على رؤوس الخلائق ﴿يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل
ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾
جعلنا الله ممن يفوز برضاه ويستحق رحمته ولقد رأيت امرأة كانت مودتها في
غير ذات الله عز وحل فعهدها اصفى من الماء وألطف من الهواء واثبت من
الجلال واقيوى من الحديد واشد امتزاجاً من اللون في الملون وانفذ استحكاماً
من الاعراض في الاجسام واضواً من الشمس واصح من العيان واثبت من
النجم واصدق من كدر القطا واعجب من الدهر واحسن من البر واجل من
وجه الى عامر والذ من العافية واحلى من المي وادنى من النفس واقرب من
النسب وارسخ من النقش في الحجر ثم لم البت ان رأيت تلك المودة ود
استحالت عداوة افطع من الموت وانفذ من السهم وامر من السهم واوحش من
زوال النعم واقبح من حلول النقم وامصى من عقم الرياح واصر من الخلق
وادهى من غلبة العدو واشد من الاسر واقسى من الصخر وانغض من كشف
الاستار وانأى من الجوزاء واصعب من معاناة السماء واكبر من رؤية المصاب
واشنع من خرق العادات وافطع من شجاة البلاء وابشع من السم الزعاف وما
لايتولد مثله عن الدخول والتراث وقتل الآباء وسبي الامهات وتلك عادة الله

في اهل النسق القاصدين سواء الآمين غيره وذلك قوله عز وجل ﴿ باليتي لم اتخذ
 فلاناً خليلاً لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ﴾ فيجب على اللبيب الاستجارة
 بالله مما يورط فيه الهوى فهذا خلف مولى يوسف بن مقام القائد المشهور كان
 احد القاتمين مع هشام بن سليمان بن الناصر فلما اسر هشام وقتل وهرب الذين
 وازروه فر خلف في جملتهم ونجا فلما اتى الفسطاط لم يطق الصبر عن جارية
 كانت له بقرطة فذكر راجعاً فظفر به امير المؤمنين المهدي فامر بصلبه فلعهدي
 به مصلوباً في المرج على النهر الاعظم وكأنه القنفذ من النبل ولقد اخبرني ابو
 بكر محمد بن الوزير عبد الرحمن بن الليث رحمه الله ان سبب هروبه الى محلة
 البرابر ايام تحولهم مع سليمان الظافر انما كان لجارية يكلف بها تصيرت عند
 بعض من كان في تلك الناحية ولقد كاد ان يتلف في تلك السفرة وهذا
 المصلان وان لم يكونا من جنس الباب فانهما شاهدان على مايقود اليه الهوى
 من الهلاك الحاضر الظاهر الذي يستوي في فهمه العالم والجاهل فكيف من
 العصمة التي لايفهمها من ضفت بصيرته ولايتقول امرء خلوت فهو وان انفرد
 فبمرأى ومسمع من علام الغيوب ﴿ الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ﴾
 ﴿ ويعلم السر وأخفى ﴾ ﴿ وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
 سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم انما كانوا وهو عليم بذات
 الصدور ﴾ وهو عالم الغيب والشهادة ﴿ ويستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
 وهو معهم ﴾ وقال ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه
 من جبل الوريد اذ يتلقى المتلقين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول
 الا لديه رقيب عتيد ﴾ ولعلم المستخف بالمعاصي المتكسر على التسويف المعرض
 عن طاعة ربه ان ابليس كان في الجنة مع الملائكة المقرين فلمعصية واحدة
 وقعت منه استحقق لعنة الابد وعذاب الخلد وصير شيطاناً رجياً وابعد عن رفيع
 الملكان وهذا آدم صلى الله عليه وسلم بذنب واحد اخرج من الجنة الى شقاء

الدنيا ونكدها ولولا انه تلقى من ربه كلمات وتاب عليه لكان من الهالكين
 افترى هذا المغتر بالله ربه وبأملائه ليزداد إثمًا يظن انه اكرم على خالقه من ابيه
 آدم الذي خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد لهم ملائكته الذين هم افضل
 خلقه عنده او عقابه اعز عليه من عقوبته اياه ، كلا ولكن استعذاب التمني
 واستيطاء مركب العجز وسخف الرأي قائدة اصحابها الى الوال والحري ولو
 لم يكن عند ركوب المعصية زاجر من نهى الله تعالى ولاحام من غليظ عقابه
 لكان في قبيح الاحدوثه عن صاحبه وعظيم الظلم الواقع في نفس فاعله اعظم
 مانع واشد رادع لمن نظر بعين الحقيقة واتبع سبيل الرشd فكيف والله عز
 وجل يقول ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
 ذلك يلق اثمًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانًا ﴾ حدثنا الهمداني
 في مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة سنة احدى وارمانه حدثنا ابن سبويه
 وابو اسحق البلخي بخراسان سنة خمس وسبعين وثلاثمائه قالنا ثنا محمد ابن
 يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حرير عن الاعمش عن ابي
 وائل عن عمرو بن شرحبيل قال قال عبد الله وهو ابن مسعود قال رحل
 يارسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ﴿ ان تدعو الله ندأ وهو خالقك قال
 ثم اي قال ان تقتل ولدك ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تراني حبلبة
 جارك ﴾ فانزل الله تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يغفلون
 النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ الآية . وقال عز وجل ﴿ الراية والراني
 فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم
 تؤمنون بالله ﴾ الآية . حدثنا الهمداني عن ابي اسحق الباقخي وابن سبويه عن
 محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل عن الليث عن غفيل عن ابن شهاب
 الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وسعيد بن المسيب
 الحزميين وابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ﴾ وبالسند المذكور الى محمد ابن اسماعيل عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي سلمة وسعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال آتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال : ﴿ يا رسول الله اني زينت فاعرض عنه ثم رد عليه اربع مرات فلما شهد على نفسه اربع شهادات دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألك جنون قال لا قال فهل احصنت قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهبوا به فارجموه ﴾ قال ابن شهاب فاخبرني من سمع حابر بن عبد الله قال كنت فيمن رجه فرجمناه بالمصلى فلما ادلفته الحجارة هرب فادركناه بالحرة فرجمناه حدثنا ابو سعيد مولى الحاجب جعفر في المسجد الجامع بقرطبة عن ابي بكر المقرئ عن ابي جعفر النحاس عن سعيد بن بشر عن عمار بن رافع عن منصور عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد وتعرت سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ﴾ وفي اشعة ديب انزل الله وحيه ميناً بالتشير بصاحبه والعف بفاعله والتشديد لمفتره وتشدد في ان لا يرمي الا بحصيرة اوليائه عقوبة رجه وقد اجمع المسلمون اجماعاً لا يتقصه الا ما وجد أن الزاني المحصن عليه الرجم حتى يموت فبالها قتلة ما اهو لها وعقوبة ما اطمعها واشدد عذابها وابعدها من الاراحة وسرعة الموت وطوائف من اهل العلم منهم الحسن بن ابي الحسن واس راهويه وداود واسخاه يرون عليه مع الرجم جلد مائة ويحتجون عليه بنص القرآن وثبات السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفعل علي رضي الله عنه بانه رجم امرأة محصنة في الزنا بعد ان جلدتها مائة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله والقول بذلك لازم لاصحاب الشافعي لان زيادة العدل في الحديث مقبولة وقد صح في اجماع الامة المنقول بالكافة الذي يصحبه العمل عند كل فرقة وفي اهل

كل نخلة من نخل اهل القبلة حاشى طائفة يسيرة من الخوارج لا يمتد بهم انه لا يحل دم امريء مسلم الا بكفر بعد ايمان او نفس بنفس او مجادلة لله ورسوله يشهر فيها سيفه ويسعى في الارض فساداً مقبلاً غير مدبر ونازلاً بعد الاحصان فان حد ما جعل الله مع الكفر بالله عز وجل ومحاربه وقطع حجته في الارض ومناذته دينه لجرم كبير ومعصية شعاء والله تعالى يقول ﴿ ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ . ﴿ والذين يجتنبون كبار الاثم والفواحش الا اللهم ان ربك واسع المعفرة ﴾ وان كان اهل العلم اختلفوا في تسميتها فكلمهم بجمع مهما اختلفوا فيه منها ان الرنا يقدم فيها لا اختلاف بينهم في ذلك ولم يوعد الله عز وجل في كتابه بالنار بعد الشرك الا في سبع ذنوب وهي الكبار الزنا احدها وفذف المحضات ايضاً منها منصوصاً ذلك كله في كتاب الله عز وجل وقد ذكرنا انه لا يجب القتل على احد من ولد آدم الا في الذنوب الاربعة التي قد تقدم ذكرها فاما الكفر منها فاز عاد صاحبه الى الاسلام او بالذمة ان لم يكن مرنداً قبل منه ودريء عنه الموت واما القتل فان قبل الولي الدية في قول بعض الفقهاء او عفا في قول جميعهم سقط عن القاتل القتل بالقصاص واما الفساد في الارض فان باب صاحبه قبل ان يقدر عليه هدر عنه القتل ولا سبيل في قول احد مؤلف او مخالف في ترك رحم الحصن ولا وجه لرفع الموت عنه البتة ومما يدل على شناعة الرنا ما حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن ثنا القاضي ابو عيسى عن عبد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن يحيى عن الليث عن الزهري عن القاسم بن محمد بن ابي بكر عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصاب في زمانه ناساً من هذيل فيخرجت حارة منهم فاتبعها رجل يريد بها عن نفسها فرمته بحجر فنصت كده فقل عمرو : هذا قبل الله والله لا يؤدي ابداً .

وما جعل الله عز وجل فيه اربعة شهود وفي كل حكم شاهدين الا حياطة

حته الاتشيع المباشرة في عباده لعظمها وشنتها وقبحها وكيف لا تكون شريعة
ومن قذف بها احاء المسلم او اخته المسلمة دون صحة علم او يقين معرفة فتعد
اتى كبيرة من الكسائر استحق عليها النار غداً ووجب عليه بنص التزويل ان
تضرب بشرته ثمانين صوتاً ومالك رضي الله عنه يرى ان لا يؤخذ في شيء
من الاشياء حد بالتمريض دون التصريح الا في قذف وبالسند المذكور عن
الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن عن امه عمرة
بنت عبد الرحمن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر ان يجلد الرجل
قال لآخر ما ابى راي ولا امي بزانية في حديث طويل وباجماع من الامة كلها
دون خلاف من احد نعلمه انه اذا قال رجل لآخر يا كافر او يا قاتل النفس التي
حرم الله لما وحب عليه حد احتياطاً من الله عز وجل الا ثبتت هذه العظيمة
في مسلم ولا مسلمة ومن قول مالك رحمه الله ايضاً انه لاحد في الاسلام الا
والقتل يعني عنه وينسجه الاحد القذف فانه ان وجب على من قد وجب عليه
القتل حد ثم قل قال الله تعالى ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بادلة
شهداء فاحلدهم ثمانين حدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : العصب واللعنة المذكوران في اللعان انهما موجبتان
حدنا الهمداني عن ابي اسحق عن محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل
عن عبد العزيز بن عبد الله قال ثنا ساهل بن ثور بن يزيد عن ابي الغيث عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ﴿ اجتنبوا السبع الموقعات
قالوا وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله
الابالحق واكل الربى واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات ﴾

وان في الزنا من اباحة الحريم وافساد الذل والتفريق بين الازواج الذي عظم الله امره مالا يهون على ذي عقل او من له اقل حلاق ولولا مكان هذا العنصر من الانسان وانه غير مأمون العلة لما خفف الله عن البكرين وشدد على المحصنين . وهذا عندنا وفي جميع الشرائع القديمة النازلة من عند الله عز وجل حكماً باقياً لم ينسخ ولا ازيل فيترك الناظر لعباده الذي لم يشغله عظيم ما في خلقه ولا يحيف قدرته كبير ما في عوالمه عن النظر لحفير ما فيها فهو كما قال عز وجل ﴿ الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وقال ﴿ يعلم ما لم يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء)

وان اعظم ما يأتي به العبد هتك ستر الله عز وجل في عباده وقد جاء في حكم ابى بكر الصديق رضي الله عنه في صربه الرجل الذي ضم صديقاً حتى ابنى ضرباً كان سبباً للمنية ومن اعجاب مالك رحمه الله باحتشاد الامير الذي ضرب صديقاً مكن رجلاً من تقبيله حتى امي الرجل صربه الى ان مات ماندي شدة دواعي هذا الشأن واسبابه . والتريد في الاحتشاد وان كبر لا يراه فهو قول كثير من العلماء يتبعه على ذلك عالم من الناس واما الذي يذهب اليه فالدي حدثنا الهمداني عن البلخي عن البخاري عن الفريري عن البخاري قال ثنا يحيى بن سليمان ثنا ابن وهب قال اخبرني عمرو ان بكيراً حدثه عن سالم بن يسار عن عبد الرحمن بن جابر عن ابيه عن ابى بردة الانصاري قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ لا يجلد فرقى عشرة اسواط الا في حد من حدود الله عز وجل ﴾ وبه يقول ابو جعفر محمد بن علي السائي الشافعي رحمه الله .

واما من قوم لوط فشديع بشيع قال الله تعالى : ﴿ اأنون الماحضة ماسبفكم بها من احد من العالمين ﴾ وقد فذف الله فاعليه بمحاربة من طين مسومة .

ومالك رحمه الله يرى على الناعل والمنعول به الرجم احصنا اولم يحصنا واحتج بعض المالكيين في ذلك بان الله عز وجل يقول في رحمه فاعليه بالحجارة : ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ فوجب بهذا انه من ظلم الآن بمثل فعالم قريت منه . والخلاف في هذه المسألة ليس هذا موضعه . وقد ذكر ابو اسحق ابراهيم بن السري ان ابا بكر رضي الله عنه احرق فيه بالنار وذكر ابو عبيدة معمر ابن المتي اسم المحرق فقال هو شجاع بن ورقاء الاسدي احرقه بالنار ابو بكر الصديق لانه يؤتى في دبره كما تؤتى المرأة (١)

وان عن المعاصي لمذاهب للعقل واسعة فما حرم الله شيئاً الا وقد عوض عباده من الحلال ما هو احسن من المحرم وافضل لاله الا هو . واقول في النهي عن اتباع الهوى على سبيل الوعظ :

اقول للنفسي ماميين كحالك وما الناس الا هالك واسن هالك (٢)
صن النفس عما عابها وارفض الهوى فان الهوى مفتاح باب المهالك
رأت الهوى سهل المادي ليديها وعقباه مر الطعم ضنك المسالك

(١) قال ابن قيم الجوزية في كتابه (روضة الحبيب ونزهة المشتاقين) صفحة ٣٩٧ طبع المكتبة العربية بدمشق مانصه :

وحرقت اللوطية بالنار اربعة من العلماء ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الميث

(٢) قال ابن خلكان :

رأيت في بعض الكتب ان المأمون كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها ما وصفت بمثل قول ابي نواس :

الاكل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امنحن الدنيا لليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فما لذة الانسان والموت بعدها
 فلا تتبع داراً قليلاً لبانها
 وما تركها اذا اذاهي امكنت
 فما نارك الآمال محملاً حزناً
 وما قابل الامر الذي كان راعياً
 لاحدي عباد الله بالفوز عنده
 ومن عرف الامر الذي هو طالب
 ومن عرف الرحمن لم يعب أمره
 سبيل التقي والنسك خير المسالك
 فما فقد التنقص من عاج دونها
 وطوبى لاقوام يؤمنون نحوها
 لقد فعدوا غل القوس وفضلوا
 فعاشوا كما شاؤوا وماتوا كما شئوا
 عصوا طاعة الاحساد في كل لذة
 بولوا اعتداء (١) الحسم ايفنت انهم
 فبارك قدمهم وزد في صلاحهم
 ويا نفس جدي لا تملي وشكري
 واسمتي دمعت سعيك في الهوى
 فقد بين الله الشريعة للورى
 فامس جدي في خلاصك واندي
 فاد عمل الناس التفكير في الذي

ولو عاش ضعفي عمر نوح لاملك
 فقد اندرتنا بالفناء المواشك
 وكم تارك اضماره غير تارك
 كبتاركها ذات الضروع الحواشك
 بشهوة مشتاق وعقل مبارك
 لدى حنة الفردرس نوق الارائك
 رأى سبباً ما في يدي كل مالك
 ولو انه يعطى جميع الممالك
 وسالكها مستبصر خير سالك
 ولا طاب عيش لأمريء غير ماسك
 بحمة ارواح ولين عرائك
 بمر سلاطين وامن صمالك
 وفاروا بدار الخلد رجب المبارك
 بنور محمل طلحة الغي هاتك
 يعيشون عيشاً مثل عيش الملائك
 وصل عليهم حيث حلوا وبارك
 ليل سرور الدهر فيما هنالك
 علمت ان الحق ليس كذلك
 باين من زهر النجزم الشوابك
 نهاذ السبوف المرهفات البواتك
 له خلقوا ما كان حي بضاحك

﴿ باب فضل التعفف ﴾

ومن افضل ما يأنىه الانسان في حبه التعفف وترك ركوب المعصية والمباحثة وان لا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة وان لا يمضي مولاه المتفضل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لامره ونهيهِ وارسل اليه رسله وجعل كلامه ثباتاً لديه عنايته منه بنا واحساناً الينا وان من هام قلبه وشغل ناله واشتد شوقه وعظم وجده ثم ظفر فرام هواه ان يغلب عقله وشهوته وان يتهر دينه ثم اقام العدل لنفسه حصناً وعلم انها النفس الامارة بالسوء ودكرها بعقاب الله تعالى وفكر في اجتراته على خالقه وهو يراه وحذرهما من يوم المعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج الى بينة ، ونظر بعين ضميره الى انفراده عن كل مدافع بمحضرة علام الغيوب ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ﴾ ﴿ يوم تبديل الارض غير الارض والسموات ﴾ ﴿ يوم تجد كل نفس نفس ما عملت من خير محضر وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ﴾ ﴿ يوم عنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ ﴿ يوم وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً ﴾ يوم الطامة الكبرى ، ﴿ يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى وآثر الحباة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾ واليوم الذي قال الله تعالى فيه ﴿ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسباً ﴾ عندها يقول العاصي ﴿ يا ولاتي ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ﴾ فكيف بمن طوى قلبه على آخر من جمر الفضا وطوى كشحه على احد من السيف وتجرع غصصاً امر من الحنظل وصرف نفسه كرهاً عما

طمعت فيه وتيقنت ببلوغه وتهأت له ولم يحل دونها حائل لحري ان يسر
غداً يوم البعث ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود وان
يأمن روعات القيامة وهول المطلع وان يعوضه الله عن هذه القرحة الأيمن
يوم الحشر

حدثني ابو موسى هارون بن موسى الطيب قال رأيت شاباً حسن الوجه
من اهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا وكان له اخ في الله قد سقطت بينهما
مؤونة التحفظ فراره ذات ليلة وعزم على الميت عنده فعرضت لصاحب المنزل
حاجة الى بعض معارفه بالبعد عن منزله فنهض لها على ان ينصرف مسرعاً
وتزل الشاب في داره مع امرأته وكانت عاية في الحسن وترباً للضيف في
الصبي فاطال رب المنزل المقام الى ان مشى العسع ولم يمكنه الانصراف الى
منزله فلما علمت المرأة بفوات الوقت وان زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة
ناقت نفسها الى ذلك الفتى فبرزت اليه ودعته الى نفسها ولانثالث لها الا الله عز
وحل وهم بها ثم تاب اليه عفله وفكر في الله عز وجل فوضع اصبعه على
السراح فتفقع ثم قال يا نفس ذوقي هذا واين هذا من نار جهنم فهاهنا المرأة ما
رأت ثم عاودته فعاودته الشهوة المركبة في الانسان فعاد الى الفعلة الاولى
فانباح الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار . أفتظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ
الا لفرط شهوة قد كلبت عليه اوترى ان الله تعالى يضيع له المقام كلا انه
لا اكرم من ذلك واعلم

ولقد حدثني امرأة اتق بها انها علقها فتى مثلها في الحسن وعلمته وشاع
القول عليهما فاجتمعا يوماً خالين فقال هلمي نحقق ما يقال فينا فقات لا والله
لا كان هذا ابدأ وانا اقرأ قول الله ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين ﴾ قالت فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال

واتقد حدثني ثقة من اخواني انه خلا يوماً بجارية كانت له معارك في الصبي

فتمرضت لبعض تلك المعاني فقال لها كلا ان من شكر نعمة الله فيها منحى من وصالك الذي كان اقصى آمالي ان اجتنب هواي لامره . ولعمري ان هذا لغريب فيما خلا من الازمان فكيف في مثل هذا الزمان الذي قد ذهب خيره وأتى شره وما اقدر في هذه الاخبار — وهي صحيحة — الا احد وجهين لاشك فيهما : إما طبع قد مال الى غير هذا الشأن واستحكمت معرفته بفضل سواء عليه فهو لا يجيب دواعي الغزل في كلمة ولا كلمتين ولا في يوم ولا يومين ولوطال على هؤلاء الممتحنين ما امتحنوا به لجادت طباعهم واجابوا هاتف الفتنة ولكن الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك نظراً لهم وعلماً بما في ضمائره من الاستعاذة به من انقباض واستدعاء الرشد لا اله الا هو ، واما بصيرة حضرت في ذلك الوقت وخاطر تجرد انقمعت به طوابع الشهوة في ذلك الحين لحير اراد الله عز وجل اصحابه جعلنا الله ممن يخافه ويرجوه آمين

وحدثني ابو عبد الله محمد بن عمرو بن مضاء عن رجال من بني مروان ثقات يسندون الحديث الى ابي العباس الوليد بن غانم انه ذكر ان الامام عبد الرحمن بن الحكم عاب في بعض غزواته شهوراً وثقف القصر بابنه محمد الذي ولى الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلاً وقعوده نهائراً فيه ولم يأذن له في الخروج البتة ورتب معه في كل ليلة وزيراً من الوزراء وفقى من اكابر القتيان بيتان معه في السطح . قال ابو العباس فاقام على ذلك مدة طويلاً وبعد عهده باهله وهو في سن العشرين او نحوها الى ان وافق مبيتي في ليلتي نوبة فتي من اكابر القتيان وكان صغيراً في سنه وغاية في حسن وجهه قال ابو العباس فقلت في نفسي اني اخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك بمواقعه المعصية وتزيين البليس واتباعه له قال ثم اخذت مضجعي في السطح الخارج ومحمد في السطح الداخل المظل على حرم امير المؤمنين والفتى في الطرف الثاني القريب من المظلع فطلعت ارقبه ولا اغفل وهو يظن اني قد نمت ولا يشعر

باطلاعي عليه قال فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعداً ساعة لطيفة ثم تعوذ من الشيطان ورجع الى منامه ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزع عن نفسه وعاد الى منامه ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجله من السرير وبقي كذلك ساعة ثم نادى التى باسمه فاجابه فقال له انزل عن السطح وابق في الفصيل الذي تحته فقام الفتى مؤتمراً له فلما نزل قام محمد واغلق الباب من داخله وعاد الى سريره قال ابو العباس فملت من ذلك الوقت ان الله فيه مراد خير

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور عن احمد بن مطرف عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه عن ملك عن حبيب بن عبد الرحمن الانصاري عن حنص ابن عاصم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (سبعة يظاهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل . وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . ورجل دعت امرأته ذات حسب وجمال فقال اني احاف الله . ورجل تصدق صدقة فاخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) واني اذكر اني دعيت الى مجلس فيه بعض من تستحسن الابصار صورته وتألف القلوب اخلاقه للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه فسارعت اليه وكان هذا سحراً فبعد ان صليت الصبح واخذت زبي طريقي فكر فسنحت لي آيات ومعني رجل من اخواني فقال لي ما هذا الاطراق فلم اجبه حتى اكلمتها ثم كتبته ودفعها اليه وامسكت عن السير حيث كنت نويت ومن الآيات :

أراقك حسن عيه لك تأريق وتبريد وصل سره فيك تحريق
وقرب مزار يقتضي لك فرقة وشيكا ولو لا القرب لم يك تفريق
ولذة طعم معقب ب علماً وصاباً وفسح في تضاعيفه ضيق

ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولا ثواب لوجب علينا افناء الاعداد واتساع
الابدان واجهاد الطاقة واستنفاد الوسع واستفراغ القوة في شكر الخالق الذي
ابتدأنا بالنعم قبل استنهاها وامتن علينا بالعقل الذي به عرفناه ووهبنا الحواس
والعلم والمعرفة ودقائق الصناعات وصرف لنا السموات جارية بمنافها ودبرنا التدبير
الذي لو ملكنا خالقنا لم نهتد اليه ولا نظرنا لانفسنا نظره لنا وفضلنا على اكثر
المخلوقات وجعلنا مستودع كلامه ومستقر دينه وخلق لنا الجنة دون ان نستحقها
ثم لم يرض لعباده ان يدخلوها الا باعمالهم لتكون واجبة لهم قال الله تعالى :
﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ورشدنا الى سبيلها وبصرنا وجه ظلها وجعل غاية
احسانه الينا وامتنانه علينا حقاً من حقوقنا قبله وديناً لازماً له وشكرنا على ما
اعطانا من الطاعة التي رزقنا قواها واثابنا بفضله على تفضله هذا كرم لا تهدي
اليه العقول ولا يمكن ان تكيفه الاسباب ومن عرف ربه ومقدار رضاه وسخطه
هانت عنده اللذات الذاهبة والحطام الفاني فكيف وقد اتى من وعيده ما تقشعر
لسمعه الاجساد وتذوب له النفوس واورد علينا من عذابه ما لم ينته اليه امل
فاين المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم وما الرغبة في لذة ذاهبة لا تذهب
الندامة عنها ولا تنفى التباعة منها ولا يزول الخزي عن راكبها والى كم هذا التماذي
وقد اسمعنا المنادي وكأن قد حدا بنا الحادي الى دار القرار فاما الى جنة واما
الى نار الا إن التثبط في هذا المكان هو الضلال المبين وفي ذلك اقول :

اقصر عن لهوه وعن طربه	وعف في حبه وفي عربه
فايس شرب المدام همته	ولا اقتناص الظي من اربه
قد آن للقلب ان يفيق وان	يزيل ما قد علاه من حجه
الهاه عما عهدت يعجبه	خيفة يوم تبلى السرائر به
يانفس جدي وشمري ودعي	عنك اتباع الهوى على لغبه
وسارعي في النجاة واجتهدي	ساعية في الخلاص من كربه

علي احظى بالفوز فيه وأن
يا ايها اللاعب المجد به ال
كفالك من كل ماوعظت به
دع عنك داراً تفتى غضارتها
لم يضطرب في محلها احد
من عرف الله حق معرفة
مامنقضي الملك مثل خالده
ولا تقي الورى كفاسقهم
فلو أمنا من العقاب ولم
ولم نخف ناره التي خلقت
ليكان فرضاً لزوم طاعته
وصحة الزهد في البقاء وان
فقد رأينا فعل الرمان باه
كم متعب في الآله مهجته
وطالب باجتهاده زهر ال
ومدرك ما ابتغاه ذي جدل
وباحث جاهد لبغيته
بينما ترى المرء سامياً ملكاً
كالزراع للرجل فوقه عمل
كم فاطع نفسه اسى وشجاً
أليس في ذاك زاجر عجب
فكيف والنار للمسيء اذا
ويوم عرض الحساب يفضحه الله ويبيدي الخسني من ربه
أنجو من ضيقه ومن لهبه
دهر اما تتقي شبا نكبه
ما قد أراك الزمان من عجه
ومكسباً لاعباً بمكتسبه
الا نبا حدها بمضطربه
لوى وحل الفؤاد في رهبه
ولا صحيح التقى كمؤتسبه
وليس صدق الكلام من كذبه
نخش من الله متقى غضبه
لكل جاني الكلام محتسبه
ورد وفد الهوى على عقبه
يلحق تفنيدنا بمرتقبه
ليه كفعل الشواظ في خطبه
راحتة في الكريه من تعب
دنيا عداة المنون عن طلبه
حل به ما يخاف من سبه
فانما بحثه على عطبه
صار الى السفلى من ذرى ربه
ان ثم حسن النمو في قصبه
في ثر جد يجد في هربه
يزيد ذا اللب في حلى اديه
عاج عن المستقيم من عقبه
ويوم عرض الحساب يفضحه الله ويبيدي الخسني من ربه

من قد جباه الاله رحمة
فصار من جهله يصرفها
أليس هذا أحرى العباد غداً
شكراً لرب لطيف قدرته
رازق اهل الزمان اجمعهم
والحمد لله في تفضله
أخدمنا الارض والسماء ومن
فاسمع ودع من عصاه ناحية

موصولة بالمزيد من نشبه (١)
فما نهى الله عنه في كتبه
بالوقع في وبله وفي حربه
فينا كجبل الوريد في كتبه
من كان من عجمه ومن عربيه
وقعه للزمان في نوبه
في الجو من مائه ومن شبهه
لا يحمل الحمل غير محتطبه

واقول ايضاً :

اعارتك دنيا مسترد معارها
وهل يتمنى المحكم الرأي عيشة
وكيف تاذ العين هجمة ساعة
وكيف تقر النفس في دار نقلة
وأنى لها في الارض خاطر فكرة
أليس لها في السعي للفوز شاغل
فخابت نفوس قادها هو ساعة
لها سائق حاد حيث مبادر
تراد الامر وهي تطلب غيره
أمسرعة فيما يسو قيامها
تعطل مفروضاً وتعنى بفضلة
الى مالها منه البلاء سكونها

غضارة عيش سوف يذوي اخضرارها
وقد حان من دهم النايا مزارها
وقد طال فيها عايته اعتبارها
قد استيقنت ان ليس فيها قرارها
ولم تدر بعد الموت اين محارها
اما في توقيها العذاب ازديادها
الى حر نار ليس يطفى أوارها
الى غير ما أضحي اليه مدارها
وتقصد وجهاً في سواء سفارها
وقد أيقنت ان العذاب قصارها
لقد شفا طغيانها واغترارها
وعما لها منه النجاح نفارها

وتتبع دنيا جد عنها فرارها
 فله دار ليس تخمد نارها
 دليل على محض العقول اختيارها
 وتسلك سبلاً ليس يخفى عوارها
 لهما يؤذي الرجل فيها عثارها
 اذا ما انقضى لا ينقضي مستأثارها
 وتبقى تباعات الذنوب . وعارها .
 تبين من سر الخطوب استثارها
 نواهي اذ قد تجلى منارها
 وتغرى بدنيا ساء فيك سرارها
 وهاتيك منها مقفرات ديارها
 فان المذكي للعقول اعتبارها
 وكان ضماناً في الاعادي انتصارها
 وعاد الى ذي ملكة إستعارها
 مشمرة في القصد وهو سعارها
 مدل بايد عند ذي العرش ثارها
 على انها باد اليك ازورارها
 وتبدي أناة لا يصح اعتدارها
 وتنسى التي فرض عليك حذارها
 مييناً اذا الاقدار حل اضطرارها
 مضت كان مديكاً في يدي خيارها
 عصيب يواقي النفس فيها احتصارها
 وان من الآمال فيه انهارها

وتعرض عن رب دعاها لرشدتها
 فيا ايها المغرور بادر برجعة
 ولا تتخير فانياً دون خالد
 أتعلم ان الحق فيما تركته
 وترك بيضاء المناهج ضلة
 تسر بلهو معقب بندامة
 وتفتى الليالي والمسرات كلها
 فهل انت يامغبون مستيقظ فقد
 فعجل الى رضوان ربك واجتنب
 يحمد مرور الدهر عنك بلاعب
 فكما قد غرها الدهر قبلنا
 تذكر على ما قد مضى واعتبر به
 تحامي ذراها كل باغ وطالب
 توافت بطن الارض وانشت شملها
 وكم راقد في غفلة عن منية
 ومظلمة قد نالها تسلط
 أراك اذا حاولت دنياك ساعياً
 وفي طاعة الرحمن يقعدك الونا
 تحاذر اخواناً ستفتى وتنقضي
 كأنني ارى منك اتبرم ظاهراً
 هناك يقول المرء من لي باعصر
 تنبه ليوم قد اظلك ورد
 تبرأ فيه منك كل مخالط

فأودعت في ظلماء زينك مقرها
تنادى فلا تدري المنادي مفرداً
تنادي الى يوم شديد مفرع
اذا حشرت فيه الوحوش وجمعت
وزينت الجنات فيه وازلفت
وكورت الشمس المنيرة بالضحى
لقد جل امر كان منه انتظامها
وسيرت الاجبال والارض بدلت
فاما لدار ليس يفنى نعيمها
بحضرة جبار رفيق معاقب
ويندم يوم البعث جاني صفارها
ستغبط اجساد وتحى نفوسها
اذا حفيهم عفو الاله وفضله
سيلحقهم اهل الفسوق اذا استوى
يفر بنو الدنيا بدنياهم التي
هي الام خير البر فيها عقوقها
فما نال منها الحظ الامينها
تمافت فيها طامع بعد طامع
تطامن لغمر الحادثات ولا تكن
واياك ان تغتر منها بما ترى
رأيت ملوك الارض يبعون عدة
يلوح عليها للعيون اغبرارها
وقد حط عن وجه الحياة خمارها
وساعة حشر ليس يخفى اشتارها
صحائفنا واتصال فينا انتشارها
واذكي من نار الجحيم استعارها
واسرع من زهر النجوم انكدارها
وقد حل امر كان منه انتشارها
وقد عطلت من مالكها عشارها
واما لدار لا يفك اسارها
فتحصى المعاصي كبرها وصفارها
وتهلك اهلها هناك كبارها
اذا ما استوى اسرارها وجهارها
واسكنهم داراً حلال عقارها
بجلبه سبق طرفها وحمارها
يظن على اهل الحظوظ اقتصارها
وليس بغير البذل يحصى ذمارها
وما اهلك الا قربها واعتمارها
وقد بان للاب الذكي اختبارها
لها ذا اعتمار يجتبيك غمارها
فقد صبح في العقل الجلي عيارها (١)
ولذة نفس يستطاب اجترارها

وخلقوا طريق القصد في مبتغاهم
 وان التي يغفون نهج بقية
 هل العز الالهة صح صونها
 وهل رايح الامرؤ متوكل
 ويلقى ولاية الملك خوفاً وفكرة
 عياناً نرى هذا ولكن سكرة
 تدبر من الباني على الارض سقفا
 ومن يمسك الاجرام والارض امره
 ومن قدر التدبير فيها بحكمة
 ومن فتح الامواه في صفح وجهها
 ومن صير الالوان في نور نبتها
 فمنهن مخضر يروق بصيصه
 ومن حفر الانهار دون تكلف
 ومن رتب الشمس النير ابيضاضها
 ومن خلق الافلاك فامتد جريها
 ومن ان ألت بالعقول رزية
 تجد كل هذا راجع نحو خالق
 أبان لنا الآيات في انبيائه
 فانطق افواهاً بالفاظ حكمة
 وابرز من صم الحجارة ناقة
 ليوقن اقوام وتكفر عصبة
 وشق لموسى البحر دون تكلف
 وسلم من نار الانوق خليله
 لتبعه الصفار جم صفارها
 مكين لطلاب الخلاص اختصارها
 اذا صان همت الرجال انكسارها
 قنوع غني النفس باد وقارها
 تضيق بها ذرعاً ويفنى اضطبارها
 أحاطت بنا ما ان يفيق خمارها
 وفي علمه معمورها وقفارها
 بلا عمد يبنى عليه قرارها
 فصح لديها ليلها ونهارها
 فمنها يغذى حبها وتمارها
 فأشرق فيها وردها وبهارها
 ومنهن ما يغشى اللحاظ احمرارها
 فتار من الصم الصلاب انفجارها
 غدوا ويبدو بالعشي اصفرارها
 واحكمها حتى استقام مدارها
 فليس الى حي سواء افتقارها
 له ملكها منقادة وأيتارها
 فأمكن بعد المعجز فيها اقتدارها
 وما حلها اثغارها واتغارها
 واسمعهم في الحين منها حوارها
 أتاها باسباب الهلاك قدارها
 وبان من الامواج فيه انحسارها
 فلم يؤذه احراقها واعتارها

ونجى من الطوفان نوحاً وقدهدت به أمة ابدأ الفسوق شرارها
وممكن داوداً بايد ، وابنه فتفسيرها ملقى له وبدارها
وذلل جبار البلاد لامره وعلم من طير السماء حوارها (١)
وفضل بالقرآن امة احمد وممكن في اقصى البلاد مفارها
وشق له بدر السماء وخصه بآيات حق لا يخل معارها
وأفقدنا من كفر اربابنا به وكان على قطب الهلاك منارها
فما بالنا لانترك الجهل ويحنا لنسلم من نار ترمى شرارها

هنا اعزك الله انتهى ماتذكرته ايجاباً لك وتقمناً لمسرتك ووقوفاً عند امرك
ولم امتنع ان اورد لك في هذه الرسالة اشياء يذكرها الشعراء ويكثرون
القول فيها موفيات على وجوها ومفردات في ابوابها ومنعمات التفسير مثل
الافراط في صفة التحول وتشبيه الدموع بالامطار وانها تروي السفار وعدم النوم
اللبنة وانقطاع الغذاء جملة الا انها اشياء لاحقيقة لها وكذب لاوجه له ولكل
شيء حد وقد جعل الله لكل شيء قدراً . والنحول قد يعظم ولو صار حيث
يصفونه لكان في قوام الذرة او دونها ولخرج عن حد المعقول . والسهر قد
يتصل ليالي ولكن لو عدم الغذاء اسبوعين هلك وانما قلنا ان الصبر عن النوم
اقل من الصبر عن الطعام لان النوم غذاء الروح والطعام غذاء الجسد وان كانا
يشتركان في كليهما ولكننا حكينا على الاغلب ، واما الماء فقد رأيت ان ميسوراً
البناء جارنا بقرطبة يصبر عن الماء اسبوعين في حمارة القيظ ويكتفي بما في غذائه
من رطوبة . وحدثني القاضي ابو عبد الرحمن بن جحاف انه كان يعرف من
كان لايشرب الماء شهراً وانما اقتصر في رسالي على الحقائق المعلومة التي
لا يمكن وجود سواها اصلاً وعلى اني قد اوردت من هذه الوجوه المذكورة

اشياء كثيرة يكتفى بها لئلا اخرج عن طريقة اهل الشعر ومذهبهم وسيرى كثير من اخواننا اخباراً لهم في هذه الرسالة مكنياً فيها من اسمائهم على ما شرطنا في ابتدائها . وانا استغفر الله تعالى مما يكتب للملكان ويحصى الرقيان من هذا وشبهه استغفار من يعلم ان كلامه من عمله ولكنه ان لم يكن من اللغو الذي لا يؤاخذ به المرء فهو ان شاء الله من اللهم المعفو والافليس من السيئات والقواش التي يتوقع عليها العذاب وعلى كل حال فليس من الكبائر التي ورد النص فيها

وانا اعلم انه سينكر على بعض المتعصين على تأليني لمثل هذا ويقول انه خالف طريقته وتجاوى عن وجهته وما احل لاحد ان يظن في غير ما قصده قال الله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ﴾ وحدثني احمد بن محمد بن الجسوري ثنا بن ابي دليم ثنا بن وضاح عن يحيى ابن ملك بن انس عن ابي الزبير المكي عن ابي شرح الكعبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ اياكم والظن فانه اكذب الكذب ﴾ وبه الى ملك عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن الاعرج عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقتل خيراً اولي صمت ﴾ وحدثني صاحبي ابو بكر محمد بن اسحق ثنا عبد الله بن يوسف الازدي ثنا يحيى بن عائد ثنا ابو عدي عبد العزيز بن علي بن محمد بن اسحق بن الفرج الامام بمصر ثنا ابو علي الحسن بن قاسم بن دحيم المصري ثنا محمد بن زكرياء العلاني ثنا ابو العباس ثنا ابو بكر عن قتادة عن سعيد بن المسيب انه قال : وضع عمرو بن الخطاب رضى الله عنه للناس ثمانى عشر كلمة من الحكمة منها ﴿ ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيتك ما يغلبك عليه ﴾ ولانظن بكلمة خرجت من فيه امرى مسلم شراً وانت تجد لها في الخير محملاً . فهذا اعزك الله ادب الله وادب رسوله صلى الله عليه وسلم وادب امير المؤمنين وبالجملة فاني لا اقول

بالرأية ولا انسك نسكاً اعجيباً ومن ادى الفرائض المأمور بها واجتنب المحارم
المنهي عنها ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ودعني
حما سوى ذلك وحسبي الله . والكلام في مثل هذا انما هو مع خلاه الذرع
وفراغ القلب وان حنظ شيء وبقاء رسم وتذكر فائت لمثل خاطري لعجب على
هامضى ودهمي فانت تعلم ان ذهني متقلب وبالي مهضم بما نحن فيه من نبو الديار
والخلاء عن الاوطان وتغير الزمان ونكبات السلطان وتغير الاخوان وفساد
الاحوال وتبدل الايام وذهاب الوفير والخروج عن الطارف والتالد واقتطاع مكاسب
الآباء والاجداد والغربة في البلاد وذهاب المال والجاه والفكر في صيانة الاهل
والولد والياس عن الرجوع الى موضع الاهل ومدافعة الدهر وانتظار الاقدار
لاجعلنا الله من الشاكين الا اليه واعادنا الى افضل ماعودنا وان الذي ابقى لاكثر
حما اخذ والذي ترك اعظم من الذي تحيف ومواهبه المحيطة بنا ونعمه التي غمرتنا
لاتحمد ولايؤدى شكرها والكل منحه وعطاياه ولاحكم لنا في انفسنا ونحن منه واليه
منقلبنا وكل عارية فراجعة الى معبرها وله الحمد اولا وآخراً وعوداً وبدأ وانا اقول

جعلت الياأس لي حصناً ودرعاً فلم البس ثياب المستضام

واكثر من جميع الناس عندي يسير صانتي دون الانام

اذا ماصح لي ديني وعرضي فلست لما تولى ذا اهتمام

تولى الامس والغد لست ادري أأدركه ففيا ذا اغتام

جعلنا الله واياك من الصابرين الشاكرين الحامدين الذاكرين آمين آمين والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً . كملت الرسالة
المعروفة بطوق الحمامة لابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم رضي الله عنه
به.... اكثر اشعارها وابقاء العيون منها تحسيناً لها واظهاراً لحاسنها وتصغيراً لحجمها
وتسهيلاً لوجدان المعاني الغربية من لفظها بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وفراغ
من نسخها مستهل رجب الفرد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة والحمد لله رب العالمين .

— الفهرس —

صفحة

١	مقدمة المؤلف
٤	باب الكلام في ماهية الحب
١٠ :	علامات الحب
١٧ :	من احب في النوم
١٨ :	من احب بالوصف
٢٠ :	من احب من نظرة واحد
٢٢ :	من لا يحب الا مع المطاولة
٢٥ :	من احب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها
٢٧ :	التعريض بالقول
٢٩ :	الاشارة بالعين
٣٠ :	المراسلة
٣١ :	السفير
٣٣ :	طبي السر
٣٦ :	الاذاعة
٣٨ :	ومن اسباب الكشف وجه ثالث

صحيفة

باب الطاعة	٣٩
: المخالفة — باب العاذل	٤٣
: المساعد من الاخوان	٤٤
: الرقيب	٤٧
: الواشي	٥٠
: الوصل	٥٦
: الهجر	٦٣
: الوفاء	٧٤
: البين	٨١
: القنوع	٩٣
: الضنى	١٠١
: السلو	١٠٤
: الموت	١١٥
: قبح المعصية	١٢١
: فضل التعفف	١٤١

اصلاح الخطأ وبيان الصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
١	٢٠	خير	خير
٥	١١	تزوجها	تزوجها
١٦	٨	ابن	بن
٠٠	٢٣	حقر	حقرا
١٨	٨	الى	لي
٢٤	٢٢	سقاط	اسقاط
٢٨	٨	بغض	بعض
٣٠	١	احدهما	احداها
٣١	١٩	يصبغ	بصبغ
٣٧	١٤	ينصرم	يتصرم
٠٠	٢٠	صفاه	صفاته
٣٩	٤	الاف	الانف
٤٠	٦	وجفاء	وجفاء
٠٠	٢٠	ابن	ابي
٤١	١٤	عتقها	عتقها
٠٠	٢٠	الري الرد	الري
٤٣	١٤	الغضبا	الغضا
٤٥	١٥	ويحد	ويجد
٤٦	٦	طفرت	ظفرت
٤٨	٢٠	الحوارث	الحوادث

الجديد من مطبوعاتنا

أئمة الأدب

عنوان لرسائل متسلسلة في تراجم اعلام الادب و
قيل فيهم ودراسة ادبهم وشواهد اقوالهم وقد صدر منها :

الخطبة

ألفاظ مع

الاستاذ الكبير خليل مردم بك اشهر من ان يعرف في هذه الكلمة ، وهو الاديب البارع في الابداع ، والمجيد في الوصف ، تقرأ شعره فترى فيه اسمى المواطف ، واجمل الصور ، في خير الاساليب واخف الاوزان... وتقرأ دراسته وتحليله فترى مرآة تمثل فيها زمن من يدرسه او يحلله ومحيطه ، ونفسه واخلاقه وادبه وفنه واضحا يئناً ، وتلك ميزة لادينا الكبير لانكاد نجد مثلاً عند غيره من الادباء الذين يبرعون في الابداع ، ويقضرون في الوصف ، او يتقدمون في هذا ويتأخرون في ذاك ...

وقد لجأت اليه مكتبتنا العاملة على نشر الآداب العربية والآثار المفيدة حينما رأت حاجة دمشق الى هذا النشر ، ففضل عليها بسلسلة من الرسائل دعاها : « أئمة الادب » وجعل فكرتها الاساسية ان يلم لمائة موجزة بزمن الاديب ثم يرى اثر هذا الزمن في تكوين اخلاقه ونفسيته ويرى تجلبي هذه النفسية في آثاره الادبية... وليس الغرض منها التبسط والاسهاب بل الإيجاز والاختصار وسد حاجة الطلاب الى مثلاً

وقد كانت اولى هذه الرسائل في دراسة الجاحظ والثانية في ابن المقفع ، ولأنحاول ان نلخصهما او نبين فضلها وسمو بحثهما خشية منا ان نعطمهما في هذا البيان والتلخيص حقهما بل ندع القاريء يطالعهما ويحكم عليهما بنفسه وسيصدر قريباً الرسالة الثالثة :

الوزيران

ابن العميد و صاحب بن عباد

صفحات الرسالة (٩٦) وثمنها قرشان ونصف مصري

الصُّبْحُ الْمُبِينُ

عَنْ حَيْثِ الْمُنْبِيِّ

للإمام يوسف البديعي المتوفي سنة ١٠٧٣ هـ

يقع في مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير

مانحسب ان في شعرائنا من كتب عنه ودرس اكثر من المنبي ولكننا نرى في كل ما كتب عنه اللهم الا ما كتبه العقاد واضراب العقاد شيئاً يصح ان يسمى نقداً او دراسة... وكل من تكلم فيه لا يعدو ان يكون واحداً من اثنين: مولع بأدب الغرب يحاول تطبيقه على آدابنا واتهاج مناخه دون ان يكون له في الادب العربي قدم ثابتة فيخرف ويسف ويحسب انه يقول شيئاً ، وجامد على آداب العرب لا يرى غيرها فضلاً ولا يعترف بسواها بعقوبة وبراعة فيكتب اليوم كما كان يكتب الناس قبل ثلاثمائة سنة... على ان فيمن كان قبل ثلاثمائة سنة من استطاع ان ينتهج في كتابته نهجاً صالحاً فيه تقصي العرب وجمعهم ، وتحليل الغربيين ودراستهم ، وان من هؤلاء البديعي صاحب الصبح المنبي الذي تنشره اليوم مكتبتنا نشرأ جيداً والذي بلغ من قدره ان واحداً ممن درس المنبي لم يستغن عن الاقتباس منه ولا الاستفادة من مادته

فتاوى الامام محمد بن النوفري

المؤلف سنة ٦٧٦ هـ

المسألة

بالمسائل المنشورة

صفحاتها (١٣٦) منها خمسة قروش مصرية

السيد الشريف المستطيرق

ميان مشهور كتب السنة المشرفة

تقع في (١٨٠) صفحة منها ٥ قروش مصرية

جمع السيد الكتاني بين علمي الظاهر والباطن وامتاز باخلاق لاتعدو ان تكون مرآة تتجلى فيها السنة الطاهرة على صاحبها اشرف الصلاة والسلام . ومهما يكن في الامر فان لكتبه ظاهراً وباطناً اماظهارها فهو ما يرى فيها القاريء من علم وحجة ، واما باطنها فهو ما يفيض من ثنايا سطورها من نور الهي هو نور طريق الله ... ورسائله المستطرفة مفيدة لكل مشتغل بعلم الحديث ومعرفة رجاله

